المطرب من أشعار أهل المغرب

لابن دحية

ذى النسبين ابى الخطاب عمر بن حسن

المتوفى سنة ٦٣٣ هـ

بتحقيق

الأستاذ إبراهيم الأبيارى
مدير إدارة نشر التراث القديم

الدكتور حامد عبد المجيد
وكيل إدارة نشر التراث القديم

الدكتور أحمد أحمد بدوى
مدرس بكلية دار العلوم

راجعه

الدكتور طه حسين

دار العلم للجميع
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

المطرب من أشعار أهل المغرب

لابن دحية

ذى النسبين أبي الخطاب عمر بن حسن

المتوفى سنة ٦٣٣ هـ

بتحقيق

الأستاذ إبراهيم الأبيـارى

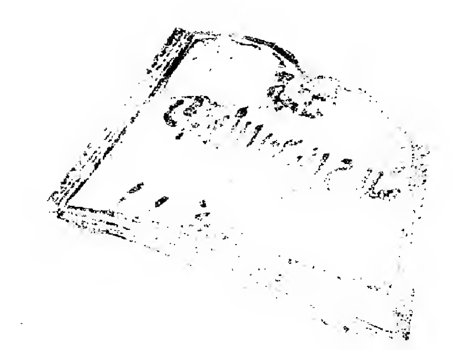
مدير إدارة نشر التراث القديم

الدكتور حامد عبد المجيد

وكيل إدارة نشر التراث القديم

الدكتور أحمد أحمد بدوى

مدرس بكلية دار العلوم



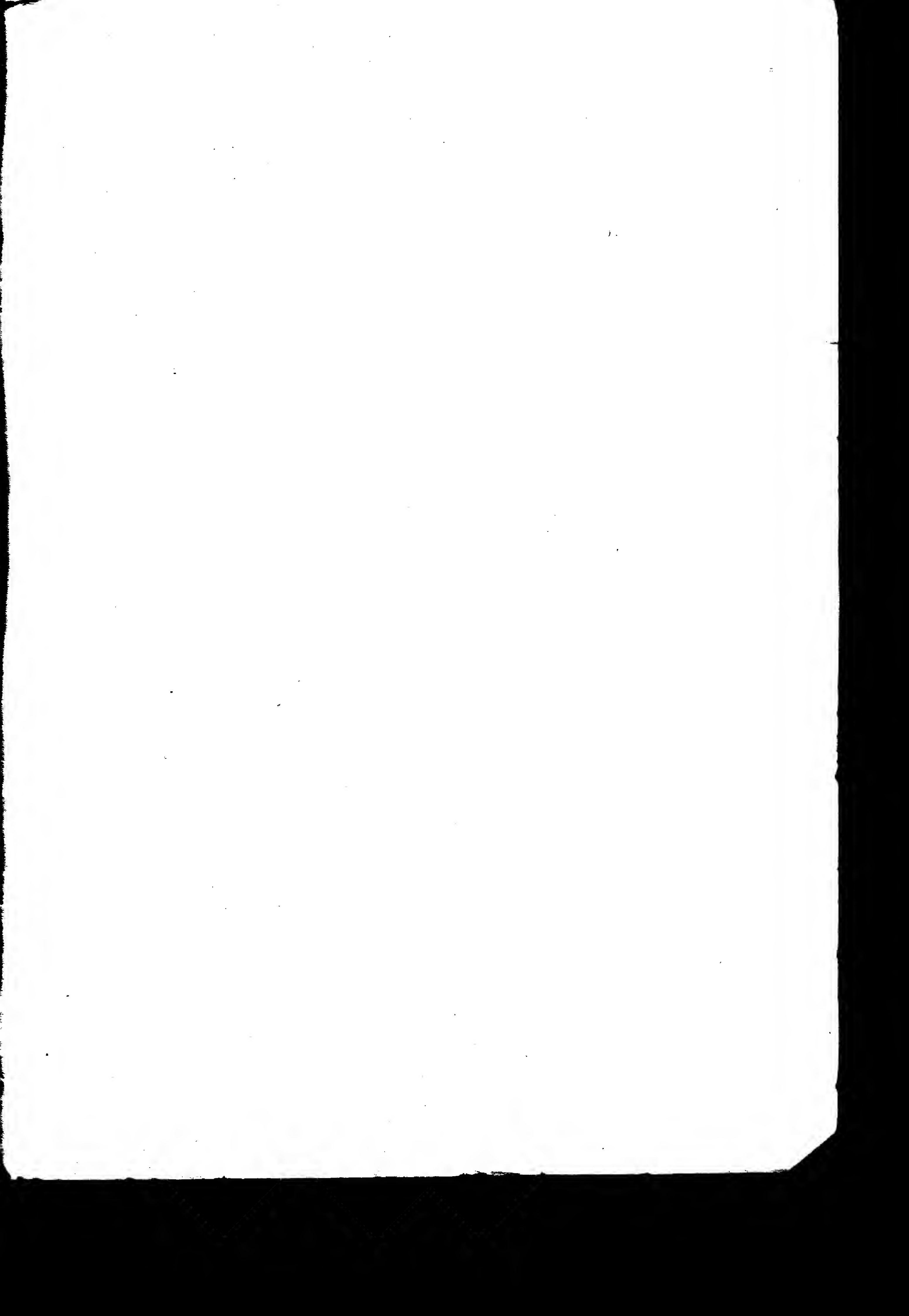
راجعه

الدكتور طه حسين

دار العلم للجميع

شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة

هاتف ٢٤٨٠٢٦ - ص . ب ٩٠٤٨

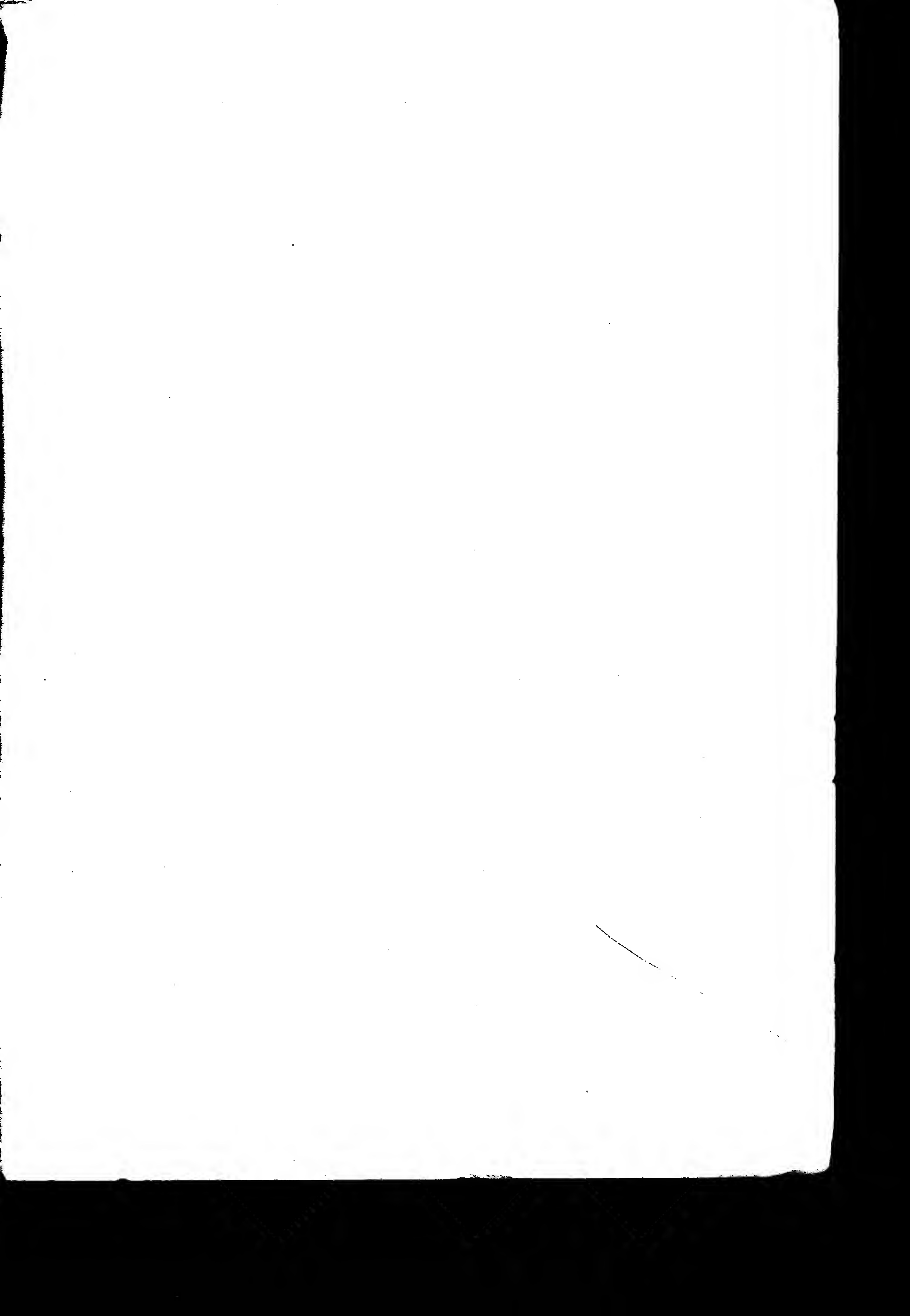


الإهداء

هذا كتاب يعنى أُمتين : العرب والأسبان ، إذ هو يعرض حقبة مشتركة من تاريخهما .

وكم وددْنا لو نَقلناه إلى اللغة الأسبانية ، ولكن الأسباب لم تُسعف ، فلا أقلَّ من أن نُهديه إلى الأُمة الأسبانية عن الأُمة العربية ، توثيقاً لصلة قديمة ، وتمكيناً لثقافة نحن وإياهم فيها قَسيمان .

إبراهيم الابيارى



تعريف بالمؤلف والكتاب

بقلم

ابراهيم الابيارى

الى ذلك التراث الخالد الذى نرجو له بعثاً وشيكا يلم شعثه ، ويُرمّ مُرْتَثّه ، ونحفظ فيه للأبناء موروث الآباء ، يفطّنهم ويعظهم ويرقيهم : نهدى جهدًا ربما ردّ النفوس إلى طمأنينة بأنّا مُدرِكون .

تمهيـــد :

كان ذلك منذ أعوام نَزرة خلتْ حين سألنى صديقاى: حامد وأحمد، أن نتضامّ على تحقيق « المطرب » . وكنت بين إيمـان بنَفْع الكتاب حافز ، ورأى بأتّداع الخطيات الفردة صارف . فـا أكثر ما يستهدف المعنَّى بها. ولكن سَرعان ماغَلب الإيمـانُ الرأى ، ووجدنا فى مشاركة المؤلف غيرَه، أخذا وإعطاء، ما يعوّضنا هَوْنًا مّا عمّا نفقده للأصل من أشباه .

وصَرف الدهر فإذا أنا بمنأًى عن الزميلين بعيد ، وإذا الشُّقة الفاصلة ، دونها تبادلُ العون فى يُسر وخفّة . وتمتد الأيام والكِتاب حَبيس طَبْع ، على مُمضّة منّـا ومكروهة .

ثم يأذن الله فيتّصل ما انقطع ، ويُكتب «للمطرب» أن يَظهر بعدما تغيّبناه .

وإنها لمعذرة يستوحيها قومٌ من أمر الكتاب على موصولة . فما أوجبَ العذر علينا لهم ، وما أحراهم أن يتبيّنوه .

ابن دحية

نسبه :

هو ذو النسبين — فيما يزعم — أمه — كما يقول ابن خلكان — أَمةُ الرحمن بنت أبي عبد الله بن أبي البسّام موسى بن عبد الله بن الحسين بن جعفر بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر ابن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب .

وأما هو ، فعُمر بن الحسن بن علىّ بن محمد بن الجُمَيّل[١] بن فَرْح[٢] بن خَلف ابن قُومِس[٣] بن مَزْلال[٤] بن مَلّال[٥] بن بَدر بن أحمد بن دَحْية[٦] بن خَليفة ابن فَرْوة الكَلبىّ الأندلسى البَلنسى الدانى . وكان يكنى أبا الخطّاب ، وأبا الفضل ، وأبا حَفص ، وأبا على .

وهكذا يجعل نسبه إلى «دحية» الصحابى المعروف ، شبيه جبريل عليه السلام ، وكان ينزل فى صورته . كما يرفع نسبه من أُمه إلى الحسين عليه السلام ، فوالدة «الجميل» هى ابنة الشريف أبي البسام العلوى الحسنى ، كما ترى .

وإلى هذا يشير ابنُ دحية فى عينيته التى مَدح بها السلطانَ الكامل :

بقيتَ لعبدٍ جَدُّه دحْيةُ الذى يُشابه جبريلٌ له ويُضارِعُ
وجدَّتُه الزَّهراءُ بنتُ محمد عليه السلامُ الدائم المُتتابع

---

(١) بضم الجيم وفتح الميم وتشديد الياء ، تصغير « جمل » .

(٢) بفتح الفاء وسكون الراء .

(٣) بضم القاف وفتحها وسكون الواو وكسر الميم .

(٤) بفتح الميم وسكون الزاى .

(٥) بفتح الميم وتشديد اللام ألف .

(٦) بفتح الدال المهملة وكسرها وسكون الحاء .

والمؤرخون يكادون يجمعون على بُطلان نسبته إلى « دحية » ، فالعماد الحنبلى فى «شذرات الذهب» حين تَرجم له يقول: «ودخل دمشق فمال إليه الوزير ابن شُكر، فسأله أن يجمعَ بينه و بين الشيخ تاج الدين زيد بن الحسن الكِندىّ. فاجتمعا وتناظرا وجرى بينهما البَحْث ، فقال له الكِندىّ : أخطأتَ ! فسفه عليه. فقال الكِندىّ : أنت تكذب فى نَسبك إلى دحية الكلبى ،ودحية بإجماع المحدِّثين ما أَعقب،وقدقال فيك ابن عُنين : [1] .

دحيةُ لم يُعْقِب فكم تَنْتمى	إليه بالبُهتانِ والإفْكِ
ماصَحّ عند الناسِ فيه سِوَى	أنّك من كَلْب بلا شَكِّ

والذَّهبي فى «تذكرة الحفاظ» حين ينقلُ هذه النِّسبة،يُعقِّب عليها بما يُفيدتَشكّكه فيها ، فيقول : « يذكر أنه من وَلَد دحية الكلبى، وأنه سِبط أبى البسّام»[2] .

ولاَ يبعُد قولُ ابن الأبّار عن هذا .

ويقول ابنُ حَجر العَسقلانى فى « لسان الميزان » بعدما ساق نَسبه :«فهذا نسب باطل بوجوه :

أحدها : أنّ دحية لم يُعقب .

الثانى : أنّ على هؤلاء لوائحَ البربرية .

وثالثها : بتقدير وجود ذلك ، قد سَقط منه آباء ، فلا يمكن أن يكون بينه و بينه عشرة أنفس » .

---

(1) هو شرف الدين أبو المحاسن محمد بن نصر الأنصارى الدمشقى ، ولد سنة ٥٤٩ هـ ، وكانت وفاته سنة ٦٣٠ هـ وله ديوان مطبوع بتحقيق خليل مردم بك .

(2) الذى فى التذكرة : « أبى البشام » .

ويعود الذَّهبي فى « سير أعلام النبلاء » بعد أن ذَكر هذا النَّسب السابق جُملةً ، فيقول : «هكذا ساق نسبه ، وما أبعده من الصحة والاتصال، وكان يكتب لنفسه : ذو النِّسبتين ، بين دحية والحسين » .

ويقول: « ونسبه شيء لاحَقيقة له ، قرأتُ بخطّ ابن مَنْدى : كان أبوه تاجراً يُعرف بالكابي ، بين الفاء والباء ، وهو اسم موضع بدانية » .

ويقول ابن مَنْدى أيضا : «رأيت الحُذّاق من علماء المغرب لا يزيدون على ذكْر جدهم « فرح » إلا التعريف ببنى الجميل . وقد كان أخوه أبو عمرو عثمان يلقب بالجميل بن الجميل » .

ويقول ابن حجر : « والجميل : تصغير للجمل ، بالعبارة المغربية » .

ويقول ابن عبد الملك فى الصلة : «وكان يسمى نفسه ذا النسبين ، وهو مغربى من أهل سبتة . وأظنه كان قاضيها» .

وثَم شيء يتصل بالحديث عن نسبه ، وهو الحديث عن توثيقه فى روايته . فكلاهما يُلقى ضوءًا على الآخر ويَعضُده . ومَن يجوز عليه التَّخايط فى واحدة يُزَنّ بها ، حرىّ بالتُّهمة غيرُ مُبَرَّأ منها مع الثانية .

نسمع لسِبْط ابن الجوزى يقول عنه : « كان فى المحدِّثين مثل ابن عُنين فى الشعراء ، يقع فى أئمة الدِّين ، ويزيد فى كلامه ، فترك الناس الرواية عنه وكذبوه. وكان الكامل مُقبلًا عليه ، فلما انكشف حالُه أعرض عنه ، وأخذ منه دار الحديث وأهانه » .

ويقول ابنُ واصل : « وكان أبو الخطّاب مع فَرط معرفته بالحديث متَّهما بالمجازفة فى النقل ، وبلغ ذلك الملكَ الكاملَ ، وقد بنى له دار الحديث بالقاهرة ،

فأمره أن يعلّق شيئًا على أحاديث الشّهاب ، فعلّق كتاباً تكلّم فيه على أحاديثه وإسناده ، فلما وقف الملك الكامل على ذلك قال له بعد حين : قد ضاع منّى ، فعلّق لى مثلَه . ففعل ، فجاء فى الثانى بمُناقضة الأول . فعلم السلطان صحّة ما نُقل عنه . وعَزَله من دار الحديث ، ثم ولّى أخاه أبا عمرو عثمان » .

وينقل الدلجى أحمدُ بن علىّ صاحب « الفلاكة والمفلوكون » : « قال ابنُ نقطة : « كان يدعى أشياء لا حقيقة لها . ذكر لى أبو القاسم بن عبد السلام ، وهو ثقة ، قال : نزل عندنا ابن دحية ، فكان يقول : أنا أحفظ صَحيح مُسلم والترمذى ، فأخذت خمسة أحاديث من الترمذى ومثلها من المسند ومثلها من الموضوعات ، فجعلتها فى جزء ، ثم عرضت عليه حديثا من الترمذى . فقال : ليس بصحيح . وآخر فقال : لا أعرفه . ولم يعرف منها شيئا . فأفسد نفسه بذلك » .

ويَروى ابنُ خلّكان ، وهو يتحدث عن الأسعد بن مماتى : « وكان الحافظ أبو الخطاب بن دحية ، المعروف بذى النسبين رحمه الله تعالى ، عند وصوله إلى مدينة إربل ، ورأى اهتمام سُلطانها الملك المعظّم مظفر الدين بن زين الدين يَعمل مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، صنّف له كتاباً سماه : التنوير فى مدح السراج المنير . وفى آخر الكتاب قصيدة طويلة فى مَدح مظفّر الدّين ، أولها :

لولا الوشاةُ وهمُ   أَعداؤنا ما وَهِمُوا

وقرأ الكتاب والقصيدة عليه . وسمعنا نحن الكتاب على مظفّر الدين فى شعبان سنة ست وعشرين وستمائة ، والقصيدة فيه ، ثم بعد ذلك رأيت هذه القصيدة بعينها فى مجموعة مَنسوبة إلى الأسعد بن مماتى المذكور ، فقلت : لعل الناقل

غَلط . ثم بعد ذلك رأيتُها فى ديوان الأسعد بكمالها ، مَدح بها السلطانَ الكامل .
فقَوى الظن . ثم إنى رأيت أبا البركات بن المُستوفى قد ذكر هذه القَصيدة فى تاريخ
إربل عند ذكر ابن دحية ، وقال : سألتُه عن معنى قوله فيها :

يَفديه من عَطا جُما دى كَفِّـــه المُحَرَّمُ

فما أحار جوابا ، فقلت : لعلَّه مثلُ قول بعضهم :

تَسمَّى بأسماء الشُّهور فكَفُّهُ جُمادى وما ضَمَّت عليه المُحَرَّمُ

قال : فتبسَّم وقال : هذا أردتُ . فلما وقفتُ على هـــذا تَرَجَّح عندى أن
القصيدة للأَسعد المذكور ، فإنها لو كانت لأبى الخطّاب لمـا توقّف فى الجواب» .

ويقول الحافظ الضياء : « لم يُعجبنى حالُه ، كان كثيرَ الوقيعة فى الأئمة » ،
ثم قال : « أخبرنى إبراهيم السنهورى أن مشايخ المغرب كتبوا له جَرْحه وتَضْعيفه » .

ويقول ابن النجار : « رأيت الناس مُجتمعين على كذبه وضعفه وٱدعائه سَماع
ما لم يسمعه ، ولقاء مَن لم يَلْقه ، وكانت أمارة ذلك عليه لائحة . وحدَّثنى بعضُ
المصريين ، قال : قال لى الحافظ أبو الحسن بن المُفضَّل ، وكان من أئمة الدين ،
قال : كُنَّا بحضرة السلطان فى مجلس عام وهناك ابنُ دحية ، فسألنى السلطانُ عن
حديث ، فذكرتُه له . فقال لى : مَن رواه ؟ فلم يحضُرْنى إسناده فى الحال .
فٱنفصلنا ، فٱجتمع بى ٱبنُ دحية فى الطريق ، فقال لى : ما ضَرَّك لمّـا سألك
السلطانُ عن إسناد ذاك الحديث ، لِمَ لَمْ تذكر له أىَّ إسناد شِئْتَ ، فإنّ مَن
حضَر مجلسَه لا يعلمون هل هو صحيح أم لا » .

ويمضى ٱبنُ النجّار ، فيقول : « وكان صديقُنا إبراهيم السنهوريّ دَخل إلى الأندلس . فذَكر لمشايخها حال ٱبن دحية وما يدَّعيه ، فأَنكروا ذلك وأَبطلوا لقاءه لهم ، وأنه إنما ٱشتغل بالطلب أخيراً ، وأنّ نَسبه ليس بصحيح » .

وكتب السّنهورى بذلك محضرًا ، وأخذ خُطوطهم فيه . فعلم ٱبنُ دحية بذلك ، فشكاه للسلطان ، فأَمر بالقبض عليه ، فضُرب وجُرِّس على حِمار ، وأُخرج من القاهرة . وأَخذ ابنُ دحية المحضر فخرقه » .

ويحدِّث أبو العلاء الأَصبهانىّ علىُّ بن الحسن ، وهو ما هو جلالةً ونُبلا ، يقول : « لمّا قَدم ابنُ دحية علينا أَصبهان ، نَزل على أبى فى « الخانقاه » فكان يُكرمه ويُجله ، فدَخل على والدى يوماً ومعه سجّادة ، فقبَّلها ووَضعها بين يديه ، وقال : صلَّيتُ على هذه السجادة كذا وكذا ألفَ ركعة وختمتُ القرآن فى جَوف الكعبة مرّات . قال : فأَخذها والدى وَقبَّلها ، ووَضعها على رأسه وقَبِلَها منه مُبتهجًا بها . فلما كان آخر النهار حَضر عندنا رجلٌ من أهل أصبهان ، فتحدَّث عندنا ، إلى أن ٱتفق أن قال : كان الفقيه المَغربىُّ الذى عندكم اليوم فى السُّوق اشترى سجادة حسنة بكذا وكذا . فأَمر والدى بإحضار السجَّادة . فقال الرجل : إى والله ! هذه . فسكت والدى ، وسقَط ابنُ دحية من عنده » .

ويقول ابن كثير : « قد تكلّم الناس فيه بأنواع من الكلام ، ونَسبه بعضهم إلى وَضْع حديث قصر صلاة المغرب . وكنتُ أودّ أن أقف على إسناده ليُعلَم كيف رجالُه . وقد أجمع العلماء — كما ذكره ابن المنذر وغيره — على أن صلاة المغرب لا تُقْصر .

واتفق أنه وصل فى جمادى الأولى سنة ٦١٦ هـ إلى غزة ، فخرج كل من فى غزة بالأسلحة والعصى والحجارة إلى الموضع الذى هو فيـه ، وضربوه ضربا شديدا بعد أن انهزم من كان معه » .

وكذلك نجد ابن عبد الملك فى الصلة ، وما هو بالمشرقى ، يقول فى ترجمة أبى جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سعيد بن حريث : « نسبه أبو الخطاب ابن الجميل فى معجم شيوخه الذى جمعه أبو الخطاب ، فزاد بعد حديث ، فقال : ابن عاصم بن مضاء بن مهند بن عمير اللخمى . فوافقه عليه إلا فى ذكر مهند ابن عمير ، فإنه أنكرهما . فقال له أبو الخطاب : يا سيدى ، هما جداك ذكرهما فلان . فتوقف الشيخ » .

ويقول ابن عبد الملك : « وهذا السند منقطع لبعد عصر « أحمد » من عصر « حريث » . فقد ذكر بعض من صنف للناصر بن المطرف عبـد الرحمن بن محمد صاحب الأندلس فى سنة ثلاثين وثلثمائة وأخبار المراديين ومن دخل معهم الأندلس ، جماعةً من اللخميين ، منهم . النجاشى بن عاصم بن حريث بن عاصم ابن مضاء بن مهند . فلو صح هـذا لـكان النجاشى عم جد صاحب الترجمة . وهو مقطوع ببطلانه فى العادة . فلعل ذلك من تركيبات أبى الخطاب » .

هذا هو أبو الخطاب على لسان من تنقصوه ، فكذبوه فى نسبه وضعّفوه فى نقله ، بل وعابوه بالتدليس ورموه بالكذب ، وساقوا كما رأيت قصصا على لسان موثّقين، عند الله علمُها . وكأنهم كلهم من المشرق ، إلا القليل .

غير أننا نرى ابن جَرير الطَّبرى يذكر فى حوادث سنة ست وعشرين ومائة ، قال : « ولما استوثق ليزيد ابن الوليد على الطاعة أهل الشام ، ندب — فيما قيل لولاية العراق — عبد العزيز بن هارون بن عبد الله بن دحية بن خليفة الكلبى . فقال له عبد العزيز : لو كان معى جُند لقبلتُ . فتركه وولّاها منصور بن جمهور » .

وفيما يرويه الطبرى — أن صح — مقنع لمن ينْبزه ، ويرد عليه نسبته إلى دحية . فدحية — فيما يرويه الطبرى — قد أعقب .

هذا عن نَسبه ، له فيه وعليه ، وكذا الحديث عن روايته ، فلم يعدم ابنُ دحية مَن أثنى عليه ، وإن لم يبلغ ذلك مبلغ التبرئة مما زُنّ به .

فابن حجر يقول : « ورأى المغاربة فى أبى الخطاب غير رأى أهل ديار مصر » .

ويمضى فينقل عن ابن عساكر فى رجال مالقة ، فى ترجمة ابن دحية « ... إلا أنه كان يتهم فى الرواية ، لأنه كان مكّارا» .

ثم يعقب على هذا القول فيقول : «فهذا مغربى وافق المصريين» .

ويقول المَقَّرى فى النفح : «كان من كِبار المحدثين . ومن الحُفَّاظ الثِّقات الأَثْبات المُحصِّلين »

ويقول الغبرينى فى « عنوان الدراية » قد رأيتُ له تَصنيفا فى رجال الحديث لا بأس به ، وارتحل الى المَشرق فى دولة بنى أيوب فرفعوا شأنه وقرَّبوا له مكانه، وجمعوا له علماء الحديث وحضروا له مجلسا أقروا له بالتقدم ، وعرفوا أنه من أولى الضبط والإتقان والفَهم . وذكروا أحاديثَ بأسانيد حوَّلوا مُتونها ، فأعاد المتون المُحوَّلة ، وعرف عن تغييرها ، ثم ذكر الأحاديث على ما هى عليه من متونها الأصلية » .

ويقول أبو جعفر بن الزُّبير فى صلة الصلة : وكان مُعتنياً بالعلم مشاركا فى فنون منه ، مجتهدا مُعتنيا بالأخذ عن الشيوخ، ذاكراً للتاريخ والأسانيد ورجال الحديث والجَرْح والتَّعديل »

ثم يقول : « وعرفنى بحاله وحال أخيـــه ابن عمرو عثمان ، الشيخان أبو الحسن الغافقى وأبو الخطاب بن خليل ، وكانا قـد صحباهما طويلا وخبراهما جـلة وتفصيلا ، الا أنهما ذكراهما بانحراف فى الخلق وتقلب لم يَشِنْهما غيرُه ، ووصفاهما مع ذلك بالثّقة والعدالة والسّداد والآعتناء التام » .

ويقول ابن خلكان : وكان أبو الخطاب من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء مُتقنا لعلم الحديث النّبوى وما يتعلّق به . . . وشُغل بطلب الحديث فى أكثر بلاد الأندلس الإسلامية . ولَقى بها علماءها ومَشايخها . ثم رحل منها الى برّ العُدْوة، ودخل مَرَّاكش وآجتمع بفُضلائها ، ثم ارتحل الى إفريقية ومنها الى الديار المصرية ، ثم إلى الشام والشرق والعراق ، وسمع ببغداد وسمع بواسط . ودخل الى عراق العجم وخراسان وماوالاها وما زندران ، كُل ذلك فى طلب الحديث والاجتماع بأئمته والأخذ عنهم ، وهو فى تلك الحال يؤخذ عنه ويستفاد منه » .

ويقول ابن الأبار : « وكان بصيرا بالحديث مُعتنيا بتقييده مكبًّا على سماعه » .

وقول القائلين فيه كما ترى، فريق مَشرقىّ منهم : الذّهبى، وابن كثير، وابن تغرى بردى، وابن حجر، وابن واصل، يميلون لذكر مثالبه، ولا يذكرون له الخير إلا والنقيصة فى إثره، ومعهم نفر من المغاربة والأندلسيين ، كابن عساكر ، وابن عبد الملك .

وفريق أندلسى مغربى ، وفيهم : المقرى، وابن الأبار ، وابن الزبير ، والغبرينى ؛ يرفعون قدره ، وينوهون بشأنه ، ويلتمسون لنقـــد ناقديه عذره فيه ، فيقول المقرى : « وإن الناس فيه معتقد ومنتقد . وهكذا جرت العادة فى حق القريب المنتسب للعلم :

* وعند الله يجتمع الخصوم *

ولعلك تعرف أن أبا الخطاب كان ظاهريًا ، ذكَرها له المقرّى فقال : « وهو يُعرف به » : « بالظاهرى المذهب » .

وإن من المعتنين بابن دحية من يعزو هذا القَدْح وذاك المدح لذاك . وتكاد تكون علّتها غير تلك . فظاهريّة ابن دحية ، إن ثَبَتت على لسان المقرّى ، فقد وَصَفه ابنُ الزُّبير بغيرها ، فقال : « وكان سُنّيًّا مجانبا لأهل البِدَع » .

فليس الأمر أمرَ مذهب إذن ، ولكنّه شىء أعدلَ من هذا وأصحّ ، فعلْم رواية الحديث مشرقىّ المنبت ، وبالشرق أعلامُه وشُيوخه ، والتَّعديل والتجريح صناعتُهم ، عُنوا بها وعَنَّوا أنفسهم . لم يعلم المَغرب ولا الأندلس عِلْمهم إلا بأخرة ، فكان فيه لاحقًا ، وعنهم آخذا .

والذين جَرَّحوا ابنَ دحية ، وهم من هـذه المدرسة مدرسة الحديث ، كالذهبى وابن حَجر ، عنهم نَقل المؤرِّخون . وأمّا الذين عدَّلوه ، فهم بين مؤرِّخ كالمقرّى ليس هذا فنّه ، أو محدِّث مؤرخ كابن الزبير وابن الأبار ، لم يبلغ مبلغ المشارقة فى ذلك استقصاءً وعُموما .

ثم لا تنس أنّ ابن دحيةَ ، إن كان بالغرب مَنْبته ، ففى الشرق ازدهاره . ومع الثانية الرأىُ له أو عليه .

وابن دحية كان على شىء ممـا وصفه به ثالبوه ، لا شك فى ذلك ، ولم يفقد شيئا من الخير الذى جاء على لسان مطريه .

ولم يكن ثانيهما تَعَصُّبًا له ، كما لم يكن أولها تعصُّبًا عليه ، وإنمـا كان للذى ذهبوا إليه من هذا التقصّى فى العلم والتحرِّى فيه .

وما أكثر ما لقى المحدثون من رجال النقد ، وما أكثر ما وُضع من الكتب فى ذلك ، وما أقل المبرأ منهم الموثَّق فى غير مأخذ ولا هَنَة . ولم يكن ابن دحية

غير واحد من هؤلاء . ولكنه أراد أن يبزّ قُطر قطرا ، لا فَرْدٌ فرداً ، لحمل عبئا كلّفه شيئا من الشطط لم يَقْدر له قَدْره ، فترك خصومه يعدُّون عليه الكثير .

مولده ووفاته :

يذهب المقَّرى إلى أن مولد « ابن دحية » كان فى ذى القعدة سنة سبع وأربعين وخمسمائة .

ويقول ابن خلكان : « وكانت ولادته فى مستهل ذى القعدة سنة أربع — أو ثمان — وأربعين وخمسمائه » .

ويقول : « وأخبرنى بعض أصحابنا الموثوق بقولهم : أنه سأل ولَده عن مولد أبيه ، فقال : فى ذى القعده من سنة ثمان وأربعين » .

ثم قال : « وأخبرنى ابن أخيه قال: سمعت عَمّى أبا الخطّاب غير مرة يقول : ولدت فى مستهل ذى القعدة سنة ست وأربعين وخمسمائة » .

هذا مبلغ ما قيل عن مولده . أما وفاته فكانت سنة ثلاث وثلاثين وستمائة . وأن ذلك كان فى يوم الثلاثاء الرابع عشر من ربيع الأول، عن سبع وثمانين سنة ، كما ذكر العماد الحنبلى .

على ذلك إجماع المؤرخين ، غير آبن الزبير ، فإنه لم يَعْرفها يقينا ، فقال : « وتوفى قبل سنة ٦٤٠ » .

وكانت القاهرة مثواه ، وفى سفح المقطم مقره الأخير .

نشأته وحياته :

لا نملكها كلمة صريحة تقفنا على آسم البلد الذى تلقى «ابنَ دحية» وليداً، وضمّه صغيراً حتى شبّ وأيفع .

فابن الأبار يقول عنه : « الداني الأصل السبتي » وهي عبارة الذهبي أيضا .
والعماد الحنبلي يصفه بقوله : « الداني ثم السبتي » .

ونعود إلى أبي جعفر بن الزبير فنقرأ له فيه : « من أهل سبتة » .

ويوثِّقه ابنُ حجر العسقلاني ، بقوله : « وهو مغربي من أهل سبتة ، وأظنه كان قاضيها » .

وذكره ابن تغري بردي مَرَّتين ، قال في أولاهما : « أبو الخطاب بن دحية المغربي » . وذكره في ثانيتهما بلقب « البلنسي » .

وبهذا اللقب الأخير « البلنسي » ناداه العُمريّ في « مسالك الأبصار » والذهبي في « سير النبلاء » وابن خلكان في « وفيات الأعيان » . ونقله المقري في « النفح » عن هذا الأخير ، فقال : « وهو بلنسي ، كما قال ابن خلكان وغيره » .

وعندي أن صلته بدانية ؛ فتكاد تكون من قِبل أبيه ، وقد تُبعد ، فأبوه : الحسن بن عليّ ، كان تاجرا بها .

ويذكر ابن حجر أن كلبيّته جاءت من « كلب » بين الفاء والباء ، موضع من ساحل دانية .

وينقل الذهبي عن ابن مَنْدي : « كان والد أبي الخطاب تاجرا يعرف بالكلبي ، بين الفاء والباء ، وهو اسم موضع بدانية ، وكان أبو الخطاب يلقب ، الكلبي ، والكلبي معا ، إشارة إلى الموضع وإلى النَّسب » .

ونص ابن الأبار والذهبي يحملان ما ذَهبنا إليه من ظن . وما قول الحَنبليّ عنهما ببعيد .

ويُدنينا من هذا الظن ، ويكاد يُحيله يقيناً ، قولُ ابن الزبير وابن حَجر ، ثم ما ذكره ابن تغري بردي .

وثَمَّ دليل يحمله « المطرب » نفسه ، فابن دحية صاحبه ، يذكر عن نفسه أنه لقى بالمغرب بمرَّاكش منه أبا بكر العبدرى محمد بن عبد الله سنة خمس وستين وخمسمائة[1]. ومن قبل تلك السنة لقى بمراكش أيضا سنة أربع وستين وخمسمائة أبا عبد الله بن حيوس محمد بن حسين[2] .

أى حين كان « أبو الخطاب » ابن عشر وثمانية ، أو أعْلَى من ذلك بقليل ، ولمّا يُتم العشرين ، فأخذ عن هذا وذاك وسمع منهما .

ثم عرفناه فى « دانية » قاضياً ، ولى قضاءها مَرّتين ، ثم فُصل عنها إلى غير عودة . وما نظنُّه ولى قضاء «دانية» فى سن قبل تلك التى لقيناه بها فى المغرب .

ولم يذكر لنا هو أنه سمع بدانية فى سن مُبكرة ، كما سمع بالمغرب ، الذى كان وجوده به سابقا فيما يبدو ، ومانحب أن نَقطع .

وأما عن نِسْبته إلى « بلنسية » فسوف نسكُت عنها كما سكت ابن خلّكان ، وهو صاحبها على الأرجح ، فما بين أيدينا عنها مزيد . ولعل إلمامَه بها أربى على إلمامه بغيرها ، أو كان له بها واصلة تَخفى .

نحب أن نزيد أن أبا الخطاب لم يترك المغرب — فيما نظن — إلى الأندلس قبل أن يَشهد جنازة شيخه «ابن شقريق» بسبتة سنة ٥٧١ هـ ، أو بعد ذلك بقليل ، وأنا رأيناه بعد ذلك يَستمع إلى ابن خير بإشبيلية سنة ٥٧٢ هـ ، ولم نَر له ذكراً قبل هذا فى الأندلس ، فيما ذكره هو لنا أو ذكره غيره عنه .

---

(١) أنظر صفحة ١٩٨

(٢) « « ٤٠٠

ولا ندرى متى كانت ولايته لقضاء دانية ، وإن كنا نرى أنها لم تكن قبل هذا ، وليه بها مرة أولى ، وكان هـذا أولَ ماولى ، كما يقول صاحبُ سير النبلاء ، ثم وليه مرة ثانية ، كانت بينهما فترة يسيرة ، ليس فى ذلك شك ، ثم صُرف عنه .

يذكر ذلك ابن حجر ، فيقول : « وقـد كان ولى قضاء دانية ، فأُتى بزامر فأمر بثَقْب شدقه وتشويه حلقه . وأخذ مملوكًا له فجَبّه ، واستأصل أنثييه . فرُفع إلى المنصور ملك الوقت ، وجاءه النَّـذير فاختفى وخَرج خائفاً يترقّب ، وخرج نحو إفريقية وشرّق ثم لم يعد » .

ومن هنا تبدأ رحلته عن الأندلس ، بعد ماطوّف بها ماطوّف ، يستمع إلى شيوخها ويروى عنهم .

يقول صاحب سير النبلاء : « فرحل ولقى بتلمسان أبا الحسين بن أبى حيون ، فحمل عنه وهو فى تونس سنة ٥٩٥ هـ ، ثم حج وكتب بالمشرق بأصبهان ونيسابور ، وعاد إلى مصر فاستأدبه الملك العادل لابنه الكامل ، ولىّ عهده ، وأسكنه القاهرة » .

ويقول الذهبى « فرحل عنها ، وحمل بتلمسان عن قاضيها ابن أبى حيون . وحدث بتونس فى سنة خمس وتسعين . وحج وكتب بالمشرق وبأصبهان وبالعراق ونيسابور ، وأدرك أبا جعفر الهمدانى ، وأبا الفتح الفراوى ، والحافظ أبا الفرج بن الجوزى ، وعاد إلى مصر » .

ويقول ابن خلكان : « ثم رحل عنها — أى عن الأندلس — إلى بر العدوة . ودخل مراكش ، واجتمع بفضلائها ، ثم ارتحل إلى إفريقية ومنها إلى الديار المصرية — فى زورته الأولى — ثم إلى الشام والشرق والعراق ، وسمع ببغداد من بعض أصحاب ابن الحصين ، وسمع بواسط من أبى الفتح محمد بن أحمد

ابن الميدانى ، ودخل إلى عراق العجم وخراسان وما والاها ومازندران ... وسمع بأصبهان من أبي جعفر الصيدلانى، وبنيسابور من منصور بن عبد المنعم الفراوى ، وقدم مدينة إربل فى سنة أربع وستمائة، «وهو متوجه إلى خراسان ، فرأى صاحبها الملك المظفر بن زين الدين مولعـا بعمل مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، عظيم الاحتفال به ، فعمل له كتابًا سماه : التنوير فى مولد السراج المنير . وقرأه عليه بنفسه . وسمعناه على الملك المعظم فى ستة مجالس ، فى جمادى الآخرة سنة ست وعشرين وستمائة » .

هذا هو تطواف أبي الخطاب فى البلاد بعد هجرته عن الاندلس، وكانت إربل آخر المزار ، ألقى بعدها بمصر عصا التسيار .

فهو قد جاز مصر إلى الشرق ، ومالبث أن عاد إليها ثانية ليقضى فيها مابقى من عمره. وقد لا يكون الأمر أمر استقرار ،فى مصر من هذه الأمصار. بل كانت غدوات وروحات يطول معها المقام أو يقصُر. ومصر كانت المـآب والمنزل .

ويذكر ابن خلكان أن « العادل » استأدبه لابنه الكامل ، والكامل لم تعرفه الحياةُ إلا عام ٥٧٦ . وعندها كان أبو الخطاب بين ربوع الأندلس ، أو لعله كان عندها فى دست قضاء دانية . وهو حين حَلّ تونس راحلاً عن الأندلس حلها فى عام ٥٩٥ ، كما حدثنا الذهبى فى سير النبلاء ، فرحلته إلى مصر كانت بعد عامه ذاك .

وفى هذا العام نفسه استدعى الملك « العادل» ولده «الكامل» إلى مصر ، فخرج من دمشق فى الثالث والعشرين من شعبان ، وودّعه أخوه الملك المعظّم عيسى إلى رأس المـاء—موضع بالقرب من حوران—وكان العماد الكاتب فى صحبته، فأنشد:

دعتك مِصر إلى سُلطانها فأجب ... دُعاءها بنُهوضٍ غير مكذوب

ووصل «الكامل» مصر فى عاشر شهر رمضان ، وتلقاه أبوه «العادل» من العباسية وأنزله فى دار الوزارة . وكان قد زوجه بنت أخيه صلاح الدين ، فدخل بها . وكان مولد «الكامل» سنة ٥٧٣ — وقيل خمس وسبعين ، كما قيل : ست وسبعين — فسنه حين استدعاه أبوه كانت نحوا من آثنين وعشرين عاما ، أو تسعة عشر عاما .

وكان استقلاله بمصر بعد وفاة أبيه « العادل » بعد أن تولاها فى حياة أبيه ، تلك الأعوام التى خلت من مجيئه إليها سنة ٥٩٥ إلى عام وفاة أبيه العادل ، أى سنة ٦١٦ هـ .

وإخال بين هذه وتلك كان اللقاء الأول بين ابن دحية والكامل ، حين استأدبه أبوه له ، ثم كان اللقاء الثانى حين عهد إليه الكامل برياسة المدرسة الكاملية : دار الحديث الكاملية . وهى التى أنشأها الملك الكامل فى سنة ٦٢٢ ، وكانت ثانى مدرسة عملت للحديث — وكانت أول دار للحديث على وجه الأرض لنور الدين محمود بن زنكى بدمشق — وقد وقف الكامل مدرسته الكاملية على المشتغلين بالحديث النبوى ، ثم من بعدهم على الفقهاء الشافعية [1] .

ويذهب السيوطى فى حسن المحاضرة ، إلى أن الكامل حين بنى المدرسة سنة ٦٢١ هـ جعل شيخها أبا الخطاب .

وأحب أن أعود إلى ابن دحية فأحدثك عن سماعه حديثا جامعا أو قريبا من ذلك ، لتعرف كيف آثره « الكامل » على غيره ، وخصه بهذا المنصب دون سواه من معاصريه وأقرانه .

---

(١) مكان هذه المدرسة بين القصرين من القاهرة ، ولا تزال موجودة الى اليوم بشارع بين القصرين بجوار جامع السلطان برقوق ، وتعرف باسم جامع الكاملية أو جامع الكامل . وقد جدد فيها الأمير حسن كتخدا سنة ١١٦٦ هـ . (وانظر الخطط للقريزى ٢ : ٣٧٥) .

يقول ابن الأبار : « سمع بالأندلس أبا عبد الله بن المجاهد ، وأبا القاسم بن بشكوال ، وأبا بكر بن الجد ، وأبا بكر بن خير . وأبا عبد الله بن زرقون ، وأبا القاسم بن حبيش ، وأبا محمد بن عبيدان ، وأبا العباس بن مضاء ، وأبا محمد بن بونة ، وجماعة .

وقد حدث بتونس بصحيح مسلم عن طائفة من هؤلاء وعن آخرين، منهم: أبو عبد الله بن بشكوال ، وأبو الوليد بن المناصف ، والقاسم بن دحمان ، وصالح بن عبد الملك، وأبو إسحاق بن قرقول ، وأبو العباس بن سيده ، وأبو عبد الله بن عميره، وأبوخالد بن رفاعة ، وأبو القاسم بن رشد الوراق، وأبو عبد الله القباعى، وأبو بكر بن مغاور ، وأبو العباس البلنسى » .

ويقول : « وكان بصيرا بالحديث معتنيا بتقييده ، مكبا على سماعه » .

ويقول المقرى : « كان من كبار المحدثين ، ومن الحفاظ الثقات الأثبات المحصلين، استوطن بجاية وروى بها وأسمع » .

وينقل ابن حجر فيما ينقل عنه : « وكان حافظا ماهرا فى علم الحديث حسن الكلام فيه فصيح العبارة » .

وينقل أيضا : « وكان له معرفة حسنة بالنسبة بالحديث والفقه على مذهب مالك » .

ويقول ابن الزبير : « وكان مجتهدا ومثبتا بالأخذ عن الشيوخ ذاكرا للتاريخ والأسانيد ورجال الحديث والجرح والتعديل » .

ويقول ابن خلكان : «وكان أبو الخطاب متقنا لعلم الحديث النبوى ومايتعلق به . واشتغل بطلب الحديث فى أكثر بلاد الأندلس الإسلامية ولقى علماءها ومشايخها » .

وقد سقنا قبلُ شيئا من حديث ابن خلكان عن سماع أبي الخطاب بالمشرق .

ويقول الذهبي فى تذكرة الحفاظ : « وسمع بمصر من البوصيرى وطبقته ، وسمع مسند الإمام أحمد بواسط من الميدانى، وسمع معجم الطبرانى كله من الصيدلانى ، وحدث فى سنة ستمائة بالموطأ ، وزعم — ولم يدخل فى الأذن دعواه — أنه قرأ صحيح مسلم من حفظه على بعض شيوخه » .

ويقول ابن شهبة : « كان متقنا الحديث » .

ويقول الغبرينى فى عنوان الدراية: «رأيت له تصنيفا فى رجال الحديث لا بأس به ، وارتحل إلى المشرق فى دولة بنى أيوب ، فرفعوا شأنه وقربوا مكانه ، وجمعوا له علماء الحديث ، وحضروا له مجلسا ، أقروا له بالتقدم ، وعرفوا أنه من أولى الضبط والإتقان والتفهم . وذكروا أحاديث بأسانيد حولوا متونها ، فأعاد المتون المحولة ، وعرّف عن تغييرها ، ثم ذكر الأحاديث على ما هى عليه من متونها الأصلية» .

ويذكر له المقرى من شيوخه فى الأندلس : ابن حبيش ، وابن حوط الله ، وأبا الربيع الكلاعى .

ثم لا تنس ولايته القضاء مرتين بدانية من قبل ، ولها ما لها . فهذا كله ، على الرغم مما قيل فيه من تجريح ، لا يسقط الرجل ، إذ هو لم يبلغ مبلغ المجرَّحين إلا بعد أن عُدّ فى زُمرة المحدِّثين . وقَلَّ مُحدِّث لم تُعَدَّ عليه سَقطاتُه إلى جانب حسناته .

وقد عرفنا الملكَ « الكامل » ذكيًّا فطنا يُحب العلمـاء والأماثل ويُلقى عليهم المشكلات ، ويتكلم على صحيح مسلم .

ويزيد ابنُ مسعود الأندلسي الغرناطيّ فى معجمه : «كان الكامل محبا للحديث وأهله ، حريصا على حفظه ونقله ، وللعلم عنده شرف » .

ويَحكى أن أباه العادل استجاز له « السلفى » قبل موت « السلفى » بأيام .

ويقول الحافظ المنذرى عنه : «وكان معظما للسنة النبوية وأهلها راغبا فى نشرها والتمسك بها ، مؤثرا للاجتماع مع العلماء والكلام معهم حضرا وسفرا» .

وهذا أبو الخطاب محدِّث ، له سماع وتحديث أثار عليه المنافسين ، فأخذوا عليه ، وأثبتوا له ، ثم هو حافظ لصحيح « مسلم » كما يدعى .

فاجتمع الرجلان — الكامل وابن دحية — على مُؤَلِّفة . ومن قبل تولّى أبو الخطّاب الكاملَ مؤدِّبا . وما يُدرينا ، فلقد يكون هو الذى غَرس فى نفسه هذا المَيل ، أو قُل : لقـد أعدى ميلٌ ميلا ، فنشأ الكاملُ على سُنة شيخه ، وطُبع بطابعه الغالب عليه ، فنشأ المشغولَ بالحديث ، المعنىَّ بأهله . ثم لقد كان الكامل لأبى الخطاب مُجِلًّا ، رَعى له تأديبه ، وحَفظ له حق المتعلِّم للمُعلِّم .

يقول ابن النجار : « وكان الكامل يعظِّمه ويحترمه ويعتقد فيه ، ويتبرك به ، حتى سمعت أنه كان يسوِّى له المَداس إذا قام » .

إذًا فإلى من يكل « الكامل » بهذه المدرسة إذا لم يُولِّها أبا الخطاب ، حتى لنراه يجعلها إرثاً فى آله ، يوليها من بعده أخاه أبا عثمان بن دحية ، ثم ابنه شرف الدين بن أبى الخطاب ، بعد أن وَليها المُنذرى عبدُ العظيم فترة .

ويتحدث المؤرخون عن تغير «الكامل» عليه، وعزله إياه عن دار الحديث، فيقولون: «إن «الكامل» بلغه أن «ابن دحية» غير ثقة فيما يحدث به، فأمره أن يعلّق شيئا على كتاب «الشهاب»، فعلق كتابا تكلم فيه عنه أحاديثه وأسانيده، فلما وقف الكامل على ذلك قال له بعد أيام: قد ضاع شيء من ذلك الكتاب فعلّق لي مثلَه، ففعل، فجاءت في الكتاب مناقضة للأول، فعرف السلطان صحة ماقيل عنه، وعزله من دار الحديث، وولى أخاه أبا عمر وعثمان».

غير أن ابن حجر يعقب ويقول: «وقيل إنما عزله، لأنه حصل له تغير ومبادئ اختلاط».

ويكاد يكون ما عقب به «ابن حجر» أَولى، فقد كان طول المُصاحبة كفيلا بأن يتعرف «الكامل» هذا المَطعن في أستاذه، والألسنة من حوله ما تفتر في أفواهها، تجريحًا للشيخ بهذا وغيره.

إذًا فابن دحية ترك المدرسة، ليعتزل الحياة العلمية، حين بات لاغناء عنده ولا انتفاع فيه، وقد أقعدته السنّ. والمؤرخون يسكتون فلا يذكرون متى كان عزل هذا بهذه، وإن كانوا يشيرون إلى أن ذلك لم يكن قبل موت ابن دحية بكثير.

ولم نعرف «أبا عمرو» انتفع بها كثيرا، فقد مات بعد أخيه بعام أي سنة ٦٣٤ هـ. ثم آلت بعد فترة إلى «شرف الدين بن أبي الخطاب».

كل ذلك في حياة «الكامل». ولو أن أبا الخطاب عرف به مجرَّحًا مطعونا، ما التفت «الكامل» لأخيه أو لابنه ينحيهما ويستبقيه، وما نظنه بالغا مبلغه سماعا ودراية.

حظه من اللغة والأدب :

لعل «العمرى» فى «مسالكه» خير من وفّى «ابن دحية» وصفاً حين يقول: «وَقف للاّطلاع على كل ثَنِيّة ، وهَتف للاّستطلاع بكل قضية ، وقاد نافر اللغة حتى جعل الغريب قريبا ، والحُوشىّ رَبيبا ، وأَتى بها إلى الحاضرة قَسْراً من باديتها ، وقهرا لها فى تأديتها ، فعادت إلى الحسنى ورقّ كلامها ، ودق حتى خَفى إلمـامُها ، وله رسائل حوشية كَتبها لتدلَّ على غَزارة مادته ، وإنارة جادته ، وقد أضربتُ عن ذكرها صفحا ، ولم أسمع لها صَدحا،لثقل وطأتها على الأسماع ، وشدة مُنافرتها للطباع ، كأنها كلام النائم ، ونَقيق الضفادع فى الليالى العَواتم ؛ تظن أنها ليست مركّبة من الحروف ، ولا دالّة على مَعنى معروف ، على أن له فى أُخر ما يخفّ ، ولكنه مما لا يَشف ، ولا يَندىَ ورقه ولا يرفّ ، فلذلك أيضا ألغيتُها ، وأعرضت عنها فما أردتها ولا ابتغيتها » .

ويتلوه الغبرينى فيقول : «وكان من أحفظ أهل زمانه باللغة ، حتى صار حُوشى اللغة عنده مستعملا غالبا عليـه . ولا يحفظ الإنسانُ من اللغـة حوشيّها إلا وذلك أضعافُ أضعاف محفوظه من مُستعملها . وكان قَصْده — والله أعلم — أن ينفرد بنوع يَشتهر به دون غيره من الناس ، كما فعل كثير من الأدباء حيث تركوا طريق المعرب ، وانفردوا بالطريق الآخر ، لأنهم انفردوا به واشتهروا فيـه ، ولو سلكوا طريق المعرب لكانوا فيه كآحاد الناس ، وكذا الشيخ أبو الخطاب بن دحية الكلبى» .

ويقول المقرى: «له رسائل ومخاطبات ، كلها مُغلقات مقفلات ، وكان — رحمه الله تعالى — إذا كتب اسمه فيما يُجيزه أو غير ذلك يكتب: ابن دحية ، ودحية معاً ، المتشبِّه به جبريل وجبرائيل ، ويذكر ما ينيف على ثلاثَ عشرة لغة مذكورة فى جبريل» .

وإنك لتقرأ لابن دحية فى ثنايا كتابه « المطرب » حديثا سهلا تكاد تنفى به ما يُلصقه به واصفوه بالإغراب . كما تقرأ له فى « النبراس » وينقله عنه المقرى فى « النفح » فيقول: « وما أحسن قول أبى الخطاب بن دحية الحافظ » ثم يسوق ما اقتبس،وهو: «وأخذت من طريق خوزستان إلى طريق حلوان ، وقاسيت من الغربة أصناف الألوان ، ومررت على مدائن كسرى أنو شروان ، وزرت بها قبر صاحب النبى صلى الله عليه وسلم الزاهد العابد المعمَّر سلمان ، وأعملت منها السير والإغذاذ ، إلى مدينة بغداذ .

فهذا وغيره يدلك على سهولة وخفة ، ماأحق صاحبهما بشىء من الإنصاف .

ولكنه هنا مؤلف يسرد ، لا كاتبا ينثر . وفرق بين صناعة وصناعة . ولقد قرأتَ له سهلَه ، فما أحوجك إلى أن تقع على صعبه :

ذكروا أنه كان له خديم يخدُمه ، واحتاج الوالى إلى تجهيز قِطع فى البحر يبعث بها للغرب ، فأخذ خَديمَه فى جُملة الغُزاة . فكتب لأبى على بن يرمور والى بجاية ، وكان مِن أحفظ أهل زمانه باللغة — وكان ابن دحية فى ظلّه — يُنبهه على خَديمه ليسرحه :

«الشيخ الفقيه الأديب الجحجاح الهِرْماس أبوفلان ، جَمظ الله قعثبان شَفترته . هـذا الغِطريس فى اليَمّ أخذ رجلًا لا يملك حَذْرَفُوتا ، فيرى الزِّبرقانَ فيخاله حُوَّارَى ، ويَرى الجُعَل فيحسبه زَعْبجا . وله قُرحة أُمحشت من الحرّ ، وتعطّل كبرها . فابعث إلى هذا العَثَرىّ من يَخْضد شوكته . والسلام» .

ويقال إنه لما وصلت هذه أبا علىّ بن يرمور ، لم يَفهم لغتها ، فاستحضر كُتب اللغة وغيرَها ليفهم غَريبها ، فلم تَتضح له إلا بعد أيام ، بعد أن سافرت الأجفان .

هذا مثل له نَفقد أشباهه ، ولكنه وحده يقوم دليلا على تكلفه الإغراب على سماجة . ولعله فيه يقصد إلى المعاياة والتظرف ، ولا سيما والمكتوب إليه فى هذا الشأن — كما تَصفه المراجع — متحذلق ، فلِمَ لا يُثقل عليه أبو الخطاب ويجلب إليه من « هَجره » ويحمل إليه من بضاعته . وما نظن مثل هذا يقوم دليلا على ظلم الرجل ، وغيرُه كثيرٌ ينصفه .

يبقى له بعد صناعة النثر قرض الشعر ، وصف وجدناه له على لسان بعض من أرخوا له . وما ذكروا له ديوانا مجموعا أو شبه مجموع . وإن كانوا قد أوردوا له مقطوعة أو اثنتين ، وثمت أبيات متفرقة ذكرت له فى ثنايا ما ألّف وبقى لنا .

قال الغبرينى ونقل عنه المقرى : « ومن شعر أبى الخطاب ما وقعتُ عليه فى ورقة بخطّ بعض المشارقة ونصُّه : قال الحسن بن أحمد بن عبد الرحيم البَيْسانى : كتب إلىّ الفقيهُ الحافظ أبو الخطّاب عمر بن دحية ، وأجازنى الروايةَ عنه وشافهنى بالإجازة، قال : كتب إلى السلطان الملك الكامل أبى المعالى محمد بن أبى بكر بن أيوب هذه القصيدة :

مالى أسائل برقَ بارقَ عنكُمُ ... من بعد ما بَعُدت ديارى منكُمُ
وبمُنْحنَى الأضلاع بل وادى الغَضا ... من مُهجتى ياراحلين نَزلتم
فحلّكم قلبى وأنتم بالحَشا ... لا بالعَقيق ولا برامةَ أنتم
وأنا المُقيم على الوفاء بعهدكم ... يا مالِكين وفيتُم أو خُنتم

أظننتم أنى سلوتُ وأننى خُنت العُهود كخُنتم وغدرتم
هيهات هل يَسلو بذكر مآلكٍ من حُبكم مَن للغرام مُتيم
أمنازلَ الأحباب أين أحبّتى فهمُ إذا جنَّ الظلام الأنجم
ولقد وقفتُ بربع عَزّة مُنشداً ياربع أين تُرى الأحبة يمموا
نَزلوا الحَطيم وماء زَمزم أوردوا نِعَم الحطيم بهم ورقّت زمزم
وسرَوْا وقد أسروا الفؤادَ وحرّموا طِيبَ الهُجوع علىّ لمّا أحرموا
ناديتُهم وهم المُنى بمنًى وقد ضَربوا بها حُمْر القباب وخيّموا
لم تَسكنوا البلدَ الحرام وإنما حرمَ الفؤاد المُستهام سكنتم
هم فى السَّواد وفى السُّوَيْدا خَيّموا ما أعرقوا ما أيمنوا ما أشأموا
وهمُ الذين إذا سُئلت مَن الذى تَهواهمُ قلتُ الذين همُ هم
أنا باخعٌ نفسى على آثارهم أسفاً فلا خَلَت المنازلُ منهم
أحبابَنا طال المطَال بوعدكم لِى بالوصال وطال ليلى فيكم
عُودوا يعود الليلُ صبحاً مُسفراً والصبحُ بعدكمُ بَهيمٌ مُظلم
والذّنب ذنبى فى الهوى وخَطيئتى من دونكم وأنا المسىء المُجرم
حكَّمتكم فى مُهجتى فحكمتمُ فيها بما شاء الغرام وشئتم
ورحلتمُ بالقلب يومَ رحلتم وظَعنتم بالصَّبر يوم ظَعنتم
ولقد كتمتُ هواكمُ حتى وشى سُقمى بذاك ودمعُ عينى المُلزم
والسقمُ يُفصح بالصبابة والأسى والدمعُ يكتُب ما المُعنَّى يكتُم
حاشاكمُ من أن تجوروا فى الهوى ونَعمْ ظلمتم بالبعاد وجُرتْم
والعدلُ بالمَلك الهُمام محمد بادى المَنار لكُل من يَتظلّم
عزُّ المُلوك الكامل الشرف الذى لعَلائه السبعُ الكواكب تَخدم

فالُمشترى كالُمشترى لسُعــوده ... يُمسى ويُصبح حيث أَمَّ يُؤمِّم

والقوسُ يَرمى عن إرادة عَزمه ... غرضَ المقاصد والمَقادرُ أَسْهُم

فدَعِ التخرُّس يا مُنجِّم وآتئــد ... فالُحكم عندى غيرُ ما قد تَحْكم

ما كوكبُ المصباح ذو التُّرب الذى ... فى القُرب من بعد الغروب يُعتِم

رفعت له الأملاك منــه سجية ... ملك السماك الرمح وهــو محرم

لمـا اغتدى فى الُجند يخدم سابعاً ... بهـرام سيّـاف النُّجوم الضّيغم

هذا الصحيح من المَقالات التى ... فيهـا بَمكنون الغُيـوم يرجِّم

لذوى النُّهى والفَهم سرّ حكومة ... قــد حار فيهـا كاهنٌ ومنجِّم

وآقصد مرادك حيث صرتَ مظفَّرا ... فالله يكلأ والكواكب قُــوّم

وَلْيهنك الشهــرُ السعيدُ تَصومه ... وتفوز فيــه بالثَّواب وتَغــنم

فلأنت فى الدنيا كلَيْلة قَــدْره ... قَدْرًا فقــدْرُك فى الملوك معظَّم

أُثنى عليك لأنّ شــكرك واجبٌ ... إذ أنت فى الخلق المُغيثُ المُنعِم

وكذا الأيادى البِيضُ سُحْب نوالها ... تَسْرى كما يَسرى السحابُ المُسجِم

ولِىَ السَّوارى فى عُلاك مدائحاً ... كالشُّهب تُنْجِــد فى البلاد وتُتْهِم

فبقيتَ ما بقيتْ حمـامةُ أَيكةٍ ... من فــوق غُصن يانعٍ تترنَّم

تَحمى فلا مُتهضِّم يَسطــو ولا ... متحــرِّم يَشكو ولا مُتظــلِّم

ورأيت نقلَها هنا كاملة لأجمع بين يديك جُملة صالحة للحكم على « ابن دحية » شاعرا . والقصيدة كما ترى فى الكامل سلطانا ، أى بعد عام ٦١٦هـ. وكان ابن دحية عندها شيخاً من الشيوخ قد أشرف على السبعين أو جاوزها .

ويقولون : إن السلطان أجابه بنثر ونظم . وكان من نثره إليه :

«الحمد لله ولىّ الحمد . وقف ولدُه على الأبيات التى حَسُن شعرُها، وصفا دُرّها. وليس من البديع أن يَقذف البحـر دُرًّا ، أو يَنظم الخليلُ شعرا . وقد أخذت الورقة لأتنزّه فى معانيها ، وأستفيد بما أَودعه فيها . والله تعالى لا يُخلينا من فوائد فكرته ، وصالح أدعيته . والسلام » .

فهذا كتاب سلطانى ينطق بالبربه ، ضُمَّه إلى ما قيل قبلُ عن رعاية الـكامل لأبى الخطاب .

وبعد هذا النثر من كتاب «الـكامل» تضطرب المراجع فى ذكر أبيات عينية ، يَقتطع المقرى منها طائفةً ويدّعيها للكامل ، تتمةً لخطابه إلى أبى الخطاب . ثم يذكر بعدها طائفة أخرى من البحر والروى ، يدَّعيها لابن دحية ردًّا على « الكامل » . ويضمُّها «الغبرينى» بعضها إلى بعض ويجعلها كلها لابن دحية يجيب بها «الكامل» .

ويروى «ابنُ دحية» كثرةً من هذه الأبيات فى كتابه المطرب (ص ١٨٤ — ١٨٥) ويمهد لهـا بقوله: «ولبعض أهل العصر فى قصيد فريد يمدح فيها مولانا السلطان الملك الـكامل على ملوك العصر ، أيده الله بالنصر » .

وما نظن أن «أبا الخطاب بن دحية» أراد نفسه تلميحا ، فمـا عودنا هذا فيما يكتب ، وهو الحريص على ذكر لقبـه «ذو النسبين» مع كل مَقول له . ولقد اجتزأت بذكر « ابن دحية » لهـا فى هذا الكتاب ، والعودُ إليها من التكرار .

وثَمّ أبيات أخرى لابن دحية ختم بها « مطربه » يخاطب بها « الـكامل » تراها فى (ص٢٤٢—٢٤٣) على رَوىّ الدال وفيهـا يقول :

فهاك ما شئت من نظم له سبق كالدر فُصّـل فامتازت فرائده

فمن عنده الميمية ثم الدالية و[illegible] — إن صحت أنها له — نرى أن ابن دحية على حظ من قول الشعر ، لا [illegible] فيه إلى أن يعدّ من رجاله ؛ إلا أن تقصد أنه من قائليه .

ولعلنا إلى رجعة عن هذا الحكم إن طالعتنا له الأيام بجديد فيه خاطر وفكرة ، وإلا فنحن عند ما ذهبنا إليه ، والشيء يدلّ قليله على كثيره .

مؤلفاته :

ولقد مضى «ابن دحية» بعد أن نيف على الثمانين، جوّابا للآفاق، قَطع الدنيا العربية من مغربها إلى مشرقها ، وجيهاً حيث حَل ، بعد أن خلف لنا مؤلفات بقي أكثرها بأسمائها ، وسلمت قلتها من الضياع ، وهى بعد « المطرب » الذى سنتحدث إليك عنه بآخر ، مرتبة على حروف الهجاء :

١ — الآيات البينات فى ذكر ما فى أعضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات — بهذا الاسم ذكره المقرى. واقتصر «حاجى خليفة» فى «كشف الظنون» على ذكر الشق الأول من اسم الكتاب. ثم ذكره «اسماعيل عارف باشا» «فى هدية العارفين فى أسماء المؤلفين والمصنفين» كاملا كما ذكره المقرى . ويذكره ناسخ «الابتهاج» فى ثبت جعله آخر المخطوط ويزيد: «فى شرف أعضاء النبى صاحب المعجزات» . ويضيف «بروكلمان» أن هناك بالجزائر منه نسخة برقم (١٦٧٩) ويجعل اسم الكتاب «الآيات البينات فى خصائص أعضاء رسول الله » .

٢ — الابتهاج فى المعراج — كذا فى ثبت كتب «ابن دحية» التى أثبتها له كاتب « نهاية السول » فى صفحة أخيرة مستقلة . وقد ذكره السخاوى فى كتابه « الإعلان بالتوبيخ » (ص ٩١) فقال: «ولأبى الخطاب بن دحية وغيره : المعراج » .

٣ — استيفاء المطلوب فى تدبير الحروب — لم يذكره إلا صاحب الثبت المتقدم فى آخر « نهاية السول ».

٤ — الإعلام المبين فى المفاضلة بين أهل صفين — كذا ذكره المقرى . وسماه الذهبى فى «تذكرة الحفاظ» و«سير النبلاء». وابن الأبار فى «التكملة»: «النص المبين ...». وذكره صاحب الثبت باسم «التبيين فى التفاضل بين أهلى صفين». ومنه نسخة بمكتبة الأسكوريال برقم (١٦٩٣) تحمل هذا الاسم: « كتاب إعلام النصر المبين فى المفاضلة بين أهلى صفين » . وفى أولها : « أما بعد حمدا لله مقدر الحياة والاجال . فإنك سألتنى ... عن أخبار حرب صفين ، وما جرى فيه بين المسلمين المختلفين، وحصل (وفضل) على التعيين . فوجب أن أبين ذلك أحسن تبيين : حدثنا غير واحد من شيوخنا » . ثم استطرد يذكرهم شيخا شيخا ، حتى انتهى إلى أبى غنيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق .

٥ — أنوار المشرقين فى تنقيح الصحيحين المشرقين — كذا ذكره صاحب الثبت السالف .

٦ — تاريخ الأمم فى أنساب العرب والعجم — مما ذكره صاحب الثبت أيضا.

٧ — التحقيق فى مناقب أبى بكر الصديق — ذكره اسماعيل عارف باشا فى «هدية العارفين فى أسماء المؤلفين والمصنفين » عند ذكر ترجمة « ابن دحية » .

٨ — تعليق على شهاب الأخبار فى الحكم والأمثال والآداب من الأحاديث النبوية للقضاعى أبى عبد الله بن سلامة المتوفى سنة (٤٥٤ هـ) ذكره صاحب « هدية العارفين » .

٩ — تنبيه البصائر فى أسماء أم الكبائر — ذكره حاجى خليفة وقال: « وهو مختصر على الحروف. أوله الحمد لله الذى رضى دين الإسلام لعباده المسلمين» وذكر « بروكلمان » أن منه نسخة بمكتبة « ليدن » .

١٠ — التنوير فى مولد السراج المنير. وقد مر بك ما دعاه إليه . ويقول حاجى خليفة : « ألفه بإربل سنة ٦٠٤ هـ وهو متوجه إلى خراسان، بالتماس الملك المعظم الأيوبى. وقد قرأه عليه بنفسه وأجازه بألف دينار غير ما أجرى عليه مدة إقامته » .

وفى المكتبة الأهلية بباريس منه نسختان برقمى (١٤٧٦، ٣١٤١) .
ويذكر الأستاذ العزاوى ، أنه كان عنده منه نسخة ولكنه أضلّها .

١١ — سلسلة الذهب فى نسب سيد العجم والعرب — ذكره ابن دحية فى النبراس (ص١٩) وقال : « وباقى هذا النسب ذكرته فى كتاب «سلسلة الذهب فى نسب سيد العجم والعرب » .

١٢ — شرح أسماء النبي صلى الله عليه وسلم — وقد ذكره المقرى أيضا .

١٣ — الصارم الهندى فى الرد على الكندى — وكان حضر هو والتاج الكندى عند الوزير ابن شكر فتناظرا . وأورد ابنُ دحية حديثَ الشفاعة . فلما وصل إلى قول الخليل عليه الصلاة والسلام « إنما كنت خليلًا من وراء وراء » فَتح «ابن دحية» الهمزتين. فقال الكندى : «وراء وراء، بضم الهمزتين». فعسر ذلك على «ابن دحية» ، فصنَّف فى هذه المسألة هذا الكتاب « الصارم » . وبلغ ذلك الكندىَّ فعمل مصنفا سماه « نتف اللحية من ابن دحية » . ذكر ذلك غير واحد ممن ترجموا لأبى الخطاب ونقله حاجى خليفة .

ويذهب العماد الحنبلي إلى أن تأليفه للكتاب كان لتعريض الكندي بنسب ابن دحية ورده عليه .

١٤ — عصمة الأنبياء — مما ذكره صاحب الثبت أيضا .

١٥ — العلم المشهور في فضائل الأيام والشهور — أشار اليه ابن دحية في المطرب (ص ٢٢٣) . ومن الكتاب مخطوطة بمكتبة الإمام يحيى باليمن رقمها (٢١٤)أدب ، قديمة الخط ، عدد أوراقها ٣٢٠ وهي ناقصة من آخرها ، وربما كان ما ينقصها ورقة أو نحوها . وقد صورتها بعثة مصر إلى اليمن على شريط ، محفوظ برقم (٢٩١). والمخطوطة فيما تبدو، قد ذكرت فيها الشهور مرتبة، وذكر ما يتصل بكل شهر من فضائل ، ولغة ونحو وغريب . وقد نقل عنه في كتابه « النبراس » في أكثر من موضع فقال (ص ١٠٤) : « وقد تكلمنا على هذه اللفظة ، أعني الدجال ، في المجلد السادس من كتاب « العلم المشهور في فضائل الأيام والشهور » وذكرنا فيه عشرة أقوال » . ثم قال في (ص ١٢٣) : « وذكرنا اشتقاق قرمط ونكتا من أخباره المسترذلة أو آثاره القبيحة المستفحلة . في فضل المحرم في كتاب العلم المشهور» . ثم قال في (ص ١٦٩) : « وقد تكلمت على هذا الحديث وأثبت أنه من الصحيح لا السقيم . وخرجت طرقه في كتاب العلم المشهور بعون من العزيز الرحيم » .

١٦ — مرج البحرين في فوائد المشرقين والمغربين — ذكره صاحب الثبت. وزاد «بروكلمان» أن منه نسخة بليدن برقم (٩٠٣) .

١٧ — المستوفى من أسماء المصطفى — وقد ذكر حاجى خليفة أن القاضى «ناصر الدين» لخصه فى كراسة . وقال : « ذكره السخاوى فى القول البديع » .

وأشار إليه السخاوى فى الإعلان بالتوبيخ (ص ٩٠) .

وسماه صاحب الثبت « المستوفى فى ... » .

١٨ — مصنف فى رجال الحديث — ذكره الغبرينى فقال: «رايت له تصنيفا فى رجال الحديث لا بأس به » .

١٩ — النبراس فى تاريخ خلفاء بنى العباس — وقد قام على تحقيقه ونشره الأستاذ عباس العزاوى . وخرج به على الناس (سنة ١٣٦٥ هـ — ١٩٤٦ م) . وقدم له ببحث طريف جامع عن الكتاب ومؤلفه، أفدتُ منه كثيرا .

٢٠ — نهاية السول فى خصائص الرسول — ومنه مخطوطة بدار الكتب المصرية رقمها (٦١٢ حديث). بخط قديم حسن، فى ١١٣ ورقة. قال فى أولها «الحمد لله الذى تنزهت عن درك الإحاطة ذاته ... وبعد فإنى ذكر فى هذا الكتاب بإذن الله الذى لا تسقط ورقة إلا بعلمه ، ولا يلفظ بكلمة إلا بإذنه وحكمه ، مايسر لى حفظه وعلمه ، وقدر لى شرحه وفهمه ، من خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم التى لم تجمع قبل فى مخلوق » .

٢١ — وهج الجمر فى تحريم الخمر — ذكره ابن دحية مرة فى «المطرب» عند الحديث عن « ابن زرقون » (ص ٢١٩) فقال : « وقد تكلمنا على نسبه ولقبه فى كتابنا المسمى بوهج الجمر فى تحريم الخمر » . ثم أخرى (ص٢٢١) حين ساق أبياتا على روى الميم لابن زرقون وقال : « وقد تكلمنا على هذه الأشعار ومن انتقدها عليه

من العلماء الكبار، واعتذرنا عنها بأبلغ الاعتذار، وذلك فى كتاب «وهج الجمر فى تحريم الخمر» . وكأن الكتاب كما يدلك العنوان ، وتطالعك عبارتاه ؛ مآخذ على من ذكر الخمر والعيب من القائلين فيها . وهو فى خلال هذا وذاك يترجم للناس، ويعرض لشعر الشعراء منهم .

٢٢ — خطب — ذكرها صاحب الثبت فقال : « وخطب بليغة وغير ذلك » .

فأنت ترى أن كُثْرها لرجل عاش للحديث حقًّا برئ — من الزلات أو لم يبرأ — فُتن بصاحبه محمد صلى الله عليه وسلم فخصّه من بين مؤلفاته بالنصف، أو بما يُربى عليه قليلا . وإن كانت هذه الكتب لم تقع لنا إلا بأسمائها ، فمبلغ القول فيها أنها نفحة مؤمن . أما ما وراء ذلك من علم يُفاد ، أو رأى ينتفع به ، فرهن بالعثور عليها .

ثم هو بعد ذلك مؤرخ، يدلنا فى كتابه «النبراس» على أنه مقل والمؤرخون مكثرون . يقتطف رؤوس الحوادث اقتطافا ، ويغلب عليه الحديث فيسند أخباره، شأن من سبقوه وكان علمهم مثل علمه مزيجا من الفنّين .

وهو بعد هذين بين اللغة والأدب، فى المطرب ، ووهج الجمر ؛ والعلم المشهور . وللحديث أيضا منها جميعا نصيب .

فأبو الخطاب حين ألف صوّر نفسه . وفاض عن زاد مذخور . ولم يقحم نفسه فى غير ما هو له ؛ وما أظنه عنّى نفسه عناء المؤلفين يستقصون لما يجمعون، وينقبون عما يلمون به ، بل كأنى به أملى ما وَعى ، وما أفاده مما إليه سعى . وقد يكون كتابه المطرب خيرَ ما ألف ، وأفسح مجالًا لمتحدث .

٢٣ — المطرب :

وكتابه المطرب صورة صادقة لهذا ، فكَثْرته تحديث ومُشافهة . فهو لا يَقنع إلا أن يسوق السند موصولًا ، تدفعه إلى ذلك إمّا صناعة غالبة، أو تقليد لما سبق إليه من

كتب المشارقة فى الأدب والتاريخ . وكان ذلك نهجا غاليا عليهم ، لم يبرأ منه إلى عصر ابن دحية — فيما نظن — أحد .

يحدثنا ابن دحية فى «المطرب» عن «الرمادى» فيقول : « أنشدنى غير واحد من شيوخى رحمهم الله ، منهم الشيخ الفقيه الأجل قاضى الجماعة الأجزل أبو الحسن على بن عبد الرحمن لفظا بمنزله بمدينة تلمسان ، قال : أنشدنا الفقيه الإمام العالم أبو عمران موسى بن عبد الرحمن بن خلف بن موسى بن أبى تليد الشاطبى ، قال : أنشدنا الإمام الحافظ أبو عمر بن عبد البر ، قال : أنشدنا مقدم الشعراء أبو عمر يوسف بن هارون الرمادى لنفسه،وتوفى سنة ثلاث وأربعمائة » . ثم يسوق له بعد هذا السند الطويل أبياتا ستة يعقب عليها بكلمة قصيرة لا تجاوز السطرين .

وفى هذا السنن يجرى ابن دحية فى كتابه ، يثقله بالأسانيد التى لو جرده منها لعاد إلى النصف أو نقص قليلا .

ثم هو لم يعمد فيه إلى تبويب وتنسيق ، بل هو ، كما وصفه فى مقدمته، قد استرسل فيه مع الخاطر ، على ما يجود به ويسمح ، ويعن له ويسنح .

وهذا أيضا من نهج المُحدِّثين المُمْلِين ، لا المؤلفين المبوِّبين .

فالكتاب كما ترى من حيث النهج حديثىّ ، ومن حيث الموضوع أدبىّ ، يضم إلى ذلك طرفا من أخبار تاريخية . ثم هو لم يُخله — كما يقول — من مُشكلى علمى الغريب والعربية .

وقد كتبه ابن دحية استجابة لرغبة سلطانية ، لسلطان مصر حينذاك «الكامل» ، كما أشار فى تصديره . وقد سبق أن «الكامل» ولى ملك مصر عام ٦١٦ هـ . وإن صح

أنه طلبه عَجِلًا مع تولّيه، فالكتابُ وليد تلك الأعوام اللاحقة لا يعدوها كثيرا، لأنه سهل المنال على رجلٍ يقول : «إنه يُملى من حفظ ،ويحدّث عن سَماع،ويروى عن مشاهدة». وغير بعيد — وهو يُعَدّ لمثل هذا من نشأته — أن يكون له تدوين أفاد منه حين ألّف ؛ لكثرة ما وَرد فى الكتاب من سماع طويل ثقيل على الواعية . وقد لا يكون ، فهو محدِّث آختبر فى مثلها فروى كتباً بأسانيدها .

ولا أدرى أكان قَصْره الكتابَ على كُل أندلسى وآخر مغربى شيئاً أراده منه السلطان أم أراده هو للسلطان . فإن كانت الأولى ، وقد قالها هو ، فما من شك فى أنه مُثيرها والمُوحى بها والمشَوّق إليها ، ليعرِّف بفَضل آله وذَويه ، ويَدفع نقصًا لَمسه ، ويرفع من هوانٍ أحسَّه ، وفى الكتاب أكثر من إشارة، تُعبِّر فى صريح عبارة، عن عِلْم الرجل بآهتضام المَشارقة للغاربة، وإنزالهم فى الأدب منزلًا غيرَ لائق ، والغضّ من شأنهم الفائق .

وهو فى ذلك: إمّا نازعٌ مَنْزِع غيره من مغاربةٍ سبقوه ، أو مُصدر عن خاطرٍ يحدُوه . فهو حين يُطرى «آبنَ زيدون»مُقتبس قولَ «الفتح بن خاقان» غيرَ مُشير إلى ذلك الآقتباس . وكأنّ وُحدة الخاطر أنستْه ما للغابر ، فيقول والقول للفَتح : «فمن قصائده — يعنى ابن زيدون — التى ضربت فى الإبداع بسهم ، وطَلعت فى كل خاطر ووَهم ، ونَزعت منزعًا قصر عنه حبيب وابن الجهم » .

وإما نافث عن صدر مَصدور مُلِىء غيظا وحنقًا ، فأراد أن يُنصف قومه فى مؤلف أراده لذلك،حين خصّهم به دون غيرهم . فكيف به لا يَقتنص الفرصة حين يجد مجال المُفاضلة يُعطيه ، وإحسانَ ذويه مُواتيه . آستمع إليه يعقّب على شعر الغزال (ص١٤٥) : «وهذا الشعر لو رُوى لعمر بن أبى ربيعة، أو لبشّار

ابن بُرد ، أو العبّاس بن الأحنف ومَن سلك هذا المسلك من الشعراء المُحسنين — يريد شعراء المشرق — لا ستُغرب له . وإنما أوجب ذلك أن يكون ذكره مَنسيّا ، أن كان أندلسيّا . وإلا فما له أُهمل ، وما حقُّ مثله أن يُهمل» .

والرجل « وطنى» بما فى معنى هذه الكلمة من معانيها الطيبة . ما نظنّه رُزق خيراً مما رُزقه فى الشرق ، ولاسيما فى مصر . وما خلت جوانحُه من حَنين باقٍ إلى الأندلس ، يروى الفضل لغيره من بنى وطنه فيفخر ، وكأنّ نفسَه يذكر ، فيقول عن الغزال أيضا : « وأقام الغزال فى رحلته تلك مدة يجول فى ديار المشرق ، وما انفك فى كل قطر منه من غريبة يطلعها ، وطريفة يبدعها . ثم إنه رجع إلى نفسه وحنّ إلى مَسقط رأسه وانصرف إلى الأندلس » .

وما أَصرحه حين يقول (ص ١٤٥) : « ألا نظروا — يعنى المشارقة — إلى الإحسان بعين الاستحسان،وأقصروا عن استهجان الكريم الهجان،ولم يُخرجهم الإزراء بالمكان عن حد الإمكان . لئن أرهفت بصائرهم البصرة ، وأرقتها الرقتان ، فقد درجنا نحن بحيث مرج البحرين يلتقيان ، فإن منهما مخرج اللؤلؤ والمرجان» .

وما أَذكره بأهله حين يقول (ص ٢٠٤) : « وهى زبدة الشعر وخلاصته — يريد الموشحات — وخلاصة جوهره وصفوته ، وهى من الفنون التى أغرب بها أهل المغرب على أهل المَشرق ، وظهروا فيها كالشمس الطالعة والضياء المُشرق» .

هذا هو قلب ابن دحية الخالص لوطنه،وهو الذى حرّكه من غير شك لأن يشير فى مقدمته فى تصريح أو غير تصريح ، فنرى أن « الكامل » هو الآمر أو الطالب ، وأن ابن دحية بعدها هو المجيب إلى رغبة السلطان على شرط مشروط ، وهو أن يكون الكتاب خالصا لكل أندلسى ومغربى .

وما أَمَر السلطان ولا رغب،ولكنه ابن دحية سفير الغرب إلى الشرق ، نشأوفى نفسه أن المشارقة لأهله ظالمون،وكأنه لقى فى تطوافه مازاده دليلاً وملأه يقينا. وهو الوطنى الذى لم ينس وطناً بوطن ، ولا أهلا بأهل ، مع سابغ نعمة ، وموفور رعاية . فشمّر يؤلّف هذا الكتاب. وفى ظنّى أنه كان لهذا الغرض الوطنى النبيل فى نفسه .

ولا يدفع هذا الظن أن الرجل ذو علم أندلسى مغربى ، فهو يغرف من بحره . وأن فى تكليفه بمثله غير عناء و إعنات: ولكنها خمسون عاما قضاها هناك :للأندلس والمغرب منها سنو صباه وطفولته ،ومثلها إلا قليلا قضاها بالمشرق ، مع كمال عقل وحسن استعداد،وقد عاشر هنا فأطال ، ولقى العلماء وتحدث إليهم ، وسمع فأكثر. فما أفاده هناك أفاد مثله هنا. ولكنه أراد النصفة فحققها بهذا الإيراد الخالص لأهله ، وأكدها ثانيا بالمُفاضلة يسوقها والرأى يُدلى به .

هذا هو كتاب المطرب فيما أرى مُؤلِّفَه وَضَعه له. وما أُعيب عليه ما أتمنّاه لكل مُوطن . وإنه لَنهج سليم إن حِيط بالقَصْد ، ولم يُثِرْها شحناءَ مُفرِّقة .

وقد أخذ الرجل أخبارَ من جمع لهم عن سابقين راوياً عن حفظ. أشار إليهم فى الكثير وأغفل فى القليل . وما هو بشائنه ، فالعـــذر مُلتمس ، وما فاتتِ الإشارةَ إلا عباراتٌ تدخل على محفوظ الإنسان فتنضاف إليه ، وكأنها منه حين تصدر عنه .

وقد جاء فى كتابه بطائفة لا ينتظمها زَمن ،ولا تجمعها وُحدة ، حديثٌ حُرّ مختار ، فيه تعريف بجديد، أو زيادة على قديم، أو اختيار من مطوَّل، أو تطويل لمُختصر، أو تدوين لمفقود ،أو توثيق لموجود . وإن جاء بعضُــه حديثاً معادا أو تكرارا ،

فالأدب هذا أمره ؛ يقال هنا ليُعاد هناك ، ويُفرَد مرةً ليُجمع أخرى. وهو فى كُلها حلو مُستطاب ، سائغٌ غير مَملول .

وقد نَقل عنه المقّرى فى أكثر من موضع ، كما نقل عنه السيوطى .

المخطوطة :

والكتاب فى نسخة يتيمة. لانعرف غيرها إلى اليوم، يحتفظ بها المتحف البريطانى بلندن فيما يحتفظ بهمن مخطوطات عربية(برقم ٦٣١)،انتهى منها كاتبها حسن بن محمد بن جعفر البغدادى يوم الخميس ثامن عشر جمادى الآخرة سنة تسع وأربعين وستمائة. أى بعد وفاة المؤلف بنحو من ستة عشر عاما . وعن هذه المخطوطة مصورة دار الكتب المصرية التى نشرنا عنها الكتاب ، والأرقامُ التى فى هامش المطبوعة تذكُر لك عددَ لوحاتها ، واختلافُها حين تختلف يُحدِّثك باضطراب اللوحات فى ذلك المكان ، قبل أن نُسويها .

وقد كنت أشير على زميلىّ أن نَدع هذه المُصوَّرة الوحيدة جانباً،لأنها لم تُرزق نِدًّا . ثم أخذتُ برأيهما حين وجدتُ أن نُصوصها المُستقاة،من مَراجع موجودة تكاد تُغنى عن الأنداد ، وما بَقِى فالخَطْب فى تَصويبه يسير .

ولكن هذا وذاك لايرزقنا اليقين بأن الكتاب سليم فى جُملته،لم يُصَب باقتطاع، أو تَعَرّض لِمحنة من تلك المِحن الكثيرة التى تُمْنَى بها المخطوطات .

ونكادنشك أن المخطوطة تنقص شيئا،وتضطرب فى شىء آخر . يقربنا من أولهما مانرى المقرى يذكر أنه نقله عن ابن دحية—ونظن أنه من المطرب— ثم لا نجده

فيه — أى فى المطرب — من ذلك حديثه عن أبي بكر عبد الرحمن بن محمد بن مغاور السلمى ، وهو ممن ذكرهم « ابن دحية » فى « المطرب » .

يقول المقرى (٤ : ٣٠٦) : « وقال أبو الخطاب بن دحية : دخلت على الوزير الفقيه الأجل أبي بكر عبد الرحمن محمد بن مغاور السلمى . فوقع الكلام فى علوم لم تكن من جنس فنونه ؛ فقال بديها :

أيها العالم ادّركنى سماحا فلمثلى يحق منك السماح
إن تخلنى إذا نطقت عيا فبنانى إذا كتبت وقاح
أحرز الشأو فى نظام ونثر ثم أثنى وفى العنان جماح
فيهزل كما تأود غصن ويجد كما تهز الصفاح »

وقال: « دخلت عليه منزله بشاطبة فى اليوم الذى توفى فيه وهو يجود بنفسه ؛ فأنشد بديها :

أيها الواقف اعتبارا بقبرى استمع فيه قول عظمى الرميم
أودعونى بطن الضريح وخافوا من ذنوب كلومها بأديمى
ودعونى بما كتبت رهينا غلق الرهن عند مولى كريم »

فهذا كله يكاد يكون متمما لحديث ابن مغاور فى المطرب ، و يكاد يكون نقل المقرى عنه ، ولكن حرفاً منه لم يرد فى مخطوطتنا .

وشىء ثانٍ إلا أنه أقطع فى الحجة ، فالمقرى فيه جد صريح حين يقول (٦ : ٢٧):

« وذكرها — أى مريم بنت أبي يعقوب الأنصارى — ابن دحية « فى المطرب » وقال : إنها أديبة شاعرة مشهورة . وكانت تعلم النساء الأدب ، وتحتشم لدينها وفضلها . وعمرت عمرا طويلا . سكنت إشبيلية ، واشتهرت بها بعد الأربعمائة » .

وما فى المطرب شى من هذا . وكأن صاحبة الحديث سقطت منه بحديثها .

فهذا أو ذاك ، من النقص الذى فرضناه ، ثم تيقناه ثانيا فيما ساقه المقرى عن مريم بنت أبي يعقوب ، مصرِّحا بأنه عن « المطرب » يدلل على ما ذهبت به الأيام من هذا الكتاب .

أما الاضطراب فدليله تحمله النسخة،وقد أشرنا إليه فى ص(١٩٥) من الكتاب عندما عادت المخطوطة لذكر « البتى » وكانت سبقت إلى ذلك (ص ١٢٤) .

اسم الكتاب :

ولا ندرى أتسميته الكتاب من تسميته للمؤلف ؛ أو هى شىء غيرها . فقد جعله « المطرب فى أشعار أهــل المغرب » ولم يكتبه كما صوره حاجى خليفة « المطرب من ... » وما نظن هذا الأخير ابتدعها .

ونقف عند هاتين يثنى سوء الظن بالناسخ عن اعتماد ماكتب ويميل بنا الميل إلى ماذهب إليه حاجى خليفة، لأن كلام المؤلف فى تصديره يكاد يملى فيه العنوان « بمن » التى هى بالسياق أليق .

وفيما أنت بين سبيلين لاتدرى أيهما تأخذ ؛ إذا « ثبت نهاية السول » يطالعك بغير هذا وذاك ؛ ويسمى الكتاب « المعرب فى أشعار أهل المغرب » .

وتسكت المراجع جملة عن ذكر هــذا الكتاب باسمه ، إلا « المقرى » و « السيوطى » فيذكرانه ولكنهما لايزيدان عن تقديمه باسم « المطرب » . كلمة واحدة لا يذكران معها سيئا .

وقد أردناه كما أراده « حاجى خليفة ظنا منا بعثوره على منقولة نقل عنها ؛ ولأن سياق المؤلف فى تصديره يعضده وأطرحنا ماتحمله النسخة ؛ لأن الناسخ — كما قلنا — لم يجمعنا على الثقة به .

والنسخة بعـــد هذا ، وإن وضح خطها وجادت حروفها نوعاً مَا ، لا تزكّى الكاتب ولا تَسمه بفهم. وما أكثر ما حكى راسماً ؛ ونقل مُصوِّرا. وهو على قرب عهده بالمؤلف ، يكتب اسمه فيخطىء ، فيجعله « عمر بن على بن حسن » وسواء أكانت له أم لسابق سبقه ، فهى دالة عليه. وقد نُحسن فعندُّها مما يسبق به القلم ؛ وحسبه غيرهما مما فى الكتاب من هنات[1] .

وبعد :

فها هو ذا المطرب منشورا ، أردنا به النفع ، وبذلنا فيه ما وسعنا من جَهد ، وما هو إلا ركن أقمناه ؛ فإن سلم على الزمن فحمدا ، وإن جدّ عليه جديد فما أكثرنا له حمداً والمرء قد يصيب وقد يخطئ ، والغرض أوسع من أن يحاط به ، والهدف أبعد على الرامين ، فلا أقل من كلمة مع التوفيق ، وإعذار على ما فات .

ولى زميلان نَصبا معى وما قَصّرا ، وكان للزميل الدكتور حامد عبد المجيد ، بعد جولاته الموفقة معنا فى تحقيق النص وتحريره وتوجيهه ، جولة أخرى انفرد بها ، وهى إعداده الفهرس الشامل للكتاب ، وما هو بالجهد القليل !

ثم ما أظننا بما عملنا إلا أنصفنا أبا الخطاب فيما هدف إليه ، فقد ألف هذا الكتاب ليشيع بين الناس فيعرفوا لقومه ما عرف ، ويؤمنوا معه أنهم مجودون محسنون ، وأنهم جديرون بنظرة عادلة لا تَغمطهم حقًّا ، ولا تسلبهم فضلا .

---

(١) وانظر اللوحات اللاحقة .

وختاما

فإلى أب النهضة الأدبية—الدكتور طه حسين — ومنه الرأى ، وعنه التوجيه، رد عَملنا ، بعد ما أسدى فيه ، وشجّع عليه ، ليطمئن قلبه على تراث للعرب أثير عنده ، يرجو بعثه ، ويبغى بثّه .

والله تعالى ولينا ووليه ، فيما أردناه وأراد . منه العون و إليه التوفيق ،،

القاهرة ديسمبر سنة ١٩٥٤ إبراهيم الابيارى

المراجع

الاستيعاب فى أسماء الأصحاب، لابن عبد البر أبى عمر يوسف بن عبد الله .

الإصابة فى تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلانى أحمد بن على .

الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، للسخاوى محمد بن عبد الرحمن .

البداية والنهاية، لابن كثير اسماعيل بن عمر.

بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ، للسيوطى عبد الرحمن بن أبى بكر .

تاريخ الأمم والملوك، للطبرى أبى جعفر محمد بن جرير .

تذكرة الحفاظ ، للذهبى أبى عبد الله محمد بن أحمد .

التكملة لكتاب الصلة، لابن الأبار أبى عبد الله محمد بن عبد الله .

تهذيب التهذيب ، لابن حجر أحمد بن على .

حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، للسيوطى عبد الرحمن بن أبى بكر .

الخطط (المواعـــظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) للمقريزى أحمد بن على .

دول الاسلام، للذهبى، أبى عبد الله محمد بن أحمد.

ديوان ابن عنين محمد بن نصر .

الذيل على الروضتين ، لأبى شامة أبى محمد عبد الرحمن بن إسماعيل .

سير أعلام النبلاء ، للذهبى أبى عبد الله محمد ابن أحمد .

شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، لابن العماد الحنبلى عبد الحى .

صلة الصلة ، لابن الزبير أبى جعفر أحمد .

عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، للعينى أبى محمد محمود بن أحمد .

عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء فى المائة السابعة ببجاية ، للغبرينى أبى العباس أحمد ابن محمد .

الفلاكة والمفلوكون ، للدلجى أحمد بن على .

كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، لحاجى خليفة ابن عبد الله مصطفى .

لسان الميزان، لابن حجر العسقلانى أحمد بن على .

مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق (ج١٩ : ٢٢١)

مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية (ج ١ : ١٦١)

مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، لسبط بن الجوزى يوسف بن قير. أو غلى .

مسالك الابصار فى أخبار ملوك الأمصار ، للعمرى أحمد بن يحيى .

معجم الأدباء (ارشاد الأريب الى معرفة الأديب) لياقوت بن عبد الله الحموى .

مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، لابن واصل محمد بن سالم .

النبراس فى تاريخ خلفاء بنى العباس ، لابن دحية .

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، لابن تغرى برد أبى المحاسن يوسف .

نفح الطيب من غصن الأندلس ارطيب للمقرى ، أحمد بن محمد .

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لابن خلكان أحمد .

[4A]

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمـد لله الّذى شرّفنا باللّسان العربىّ ، وجعلنا من أمّة سيّد ولد آدم محمّد النّبىّ الأمّىّ ، الدّاعى إلى الطّريق الواضح الجلىّ ، صلّى الله عليه وعلى آله المتسنّمين من الفضل صهوةَ المنصب العلىّ ، ما ولى الأرضَ بعدَ وسم الوسمىّ سلطانُ الولِىّ[1] ، ونمّ بأسرار الرّياض نسيمُ شذاها الذكىّ .

أمّا بعد . فإن مولانا سلطانَ العرَب والعجم ، عزَّ الملوك العصرية ، ومالكَ فضيلتَى السّيف والقلم ، وملكَ اليمن والشّام والدّيار المصريّة ، أبَا المعالى أبا المظفّر محمّدًا الكاملَ، الكاملَ الأوصاف ، لا برحتْ ببقائه الممالكُ مهتزّةَ الأعطاف ، معتزّةَ الأطراف ، تقدّم إلىّ أمرُه / المطاعُ ، الواجبُ له علىَّ من الجهد غايةُ ما يُستطاع ، أنْ أجمع له ما اجتَمعَ عندى من الأناشيد ، التى رويتُها عن شعراء الأندلس وسائر المغرب بأقرب الأسانيد ، فجمعت منها لخدمة مقامه العالى ما يُؤكَلُ بالضمير ويُشرب ، ويُهتزُّ عند سَماعه ويُطرَب ، فى الغَزل والنّسيب ، والوصف والتّشبيب ، إلى غير ذلك من مستطرفاتِ التشبيهات المستعذبة ، ومبتكراتِ بدائع بدائه الخواطرِ المُستغْرَبة ، ولُمَحِ سِيرِ ملوك المغرب ومُلَحِ أخبار أُدَبائه ، ورقيقِ معانى كُتّابه وجَزل ألفاظ خُطبائه .

[4B]

---

(1) الوسمى : مطر الربيع الأول . والولى : المطر بعد المطر .

وبالجملة ، فقد تَنَلْتُ فى هذا المجموع كِنَانَةَ محفوظاتى فى المعارف الأدبيّة ، [5A] ولم أُخْلِه من أخايِر ذخائرِ ما التقَطْتُهُ من أفواهِ/مشايخى من مُشكِلِ علمِي الغريبِ والعربيَّة . إلّا أنّى لم أقصـدْ جمع ذلك على الترتيب ، ولا سلكتُ فيه مسلكى المعهودَ فى التّبويب والتّهذيب؛ بل استرسلتُ فيه مع الخاطرعلى ما يجودُ به ويَسمح، ويَمنُّ له ويَسنَح . فالنّاظر فيه يسرَحُ فى بساتين ، ويمرح فى ميادين ؛ ويخرج من فنٍّ إلى فُنون ، والحديث ذو شُجُون .

[أبو عمر يوسف بن هارون الرمادى][١]

أنشدنى غيرُ واحد من شيوخى ، رحمهم الله ، منهم الشيخُ الفقيه الأجلّ قاضى الجماعة الأجزل[٢] . أبو الحسن علىُّ بن عبد الرّحمن ، لفظًا بمنزله بمدينة تِلِمسان[٣] ، قال : أنشدنا الفقيهُ الإمام العالم أبو عمرانَ[٤] موسى بنُ عبد الرّحمن [بن خلف بن موسى][٥] ابن أبى تليد[٦] الشَّاطبىُّ[٧] ، قال : أنشدنا الإمامُ الحافظُ أبو عُمَرَ بنُ / عَبدِ البرِّ[٨] قال : أنشدنا مُقَدَّمُ شعراء الأندلس : أبو عمر [5 B] يوسفُ بنُ هارونَ الرَّمادىّ لنفسه ، وتوفى سنة ثلاثٍ وأربعمائة :

وليلةٍ راقبتُ فيهــا الهَوى   على رقيب غيرِ وسْنَانِ
والرّاحُ ما تَنزِل عن راحَتى   وقتًا وعن رَاحةِ نَدْمَانى

---

(١) شاعر قرطبى كثير الشعر سريع القول ، كان كثير من شيوخ الأدب فى وقته يقولون : فتح الشعر بكندة وختم بكندة . يعنون امرأ القيس ، والمتنبى والرمادى ، وكانا متعاصرين . أخذ عن القالى كتاب النوادر. واكتسب صناعة الأدب من شيخه أبى بكر يحيى بن هذيل . وقد مدح الرمادى هذا المستنصر وهشاما ابنه ، والمنصور بن أبى عامر . وعاش الى أيام الفتنة . (ابن خلكان ٢ : ٦١١ — وبغية الملتمس ت ١٤٥١) .

(٢) الجزل من الرجال : المثقف العاقل الأصيل الرأى .

(٣) تلمسان ، بكسرتين وسكون الميم : مدينتان بالمغرب متجاورتان ، إحداهما قديمة والأخرى حديثة .

(٤) فقيه حافظ محدث مشهور . ولد سنة ٤٤٤ هـ وتوفى سنة ٥١٧ هـ . (انظر بغية الملتمس ت ١٣٣١ — والمعجم فى أصحاب الصدفى ت ٦٦٦) .

(٥) التكملة من البغية والمعجم .

(٦) فى القاموس : «تليد ، كأمير وزبير ، اسمان» .

(٧) شاطبة : مدينة شرقى قرطبة بالأندلس .

(٨) هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر الفقيه الحافظ . كان عالما بالقراءات وبالخلاف فى الفقه وعلوم الحديث والرجال . وكان يميل الى مذهب الشافعى . وله تواليف نافعة سارت عنه ، منها : التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد ، وكتاب فى الصحابة سماه الاستيعاب ، وكتاب الشواهد فى إثبات خبر الواحد ، وغير ذلك . ولد سنة ٣٦٢ هـ وتوفى بشاطبة سنة ٤٦٠ هـ (بغية الملتمس ت ١٤٤٢) .

وربَّ يومٍ قيظُه مُنضِجٌ   كأنَّه أحشـــاءُ ظمآن

أبرزَ فى خدَّيه لى رشحُـه   طَلًّا على وَرد وسَوْسَان[١]

فكان فى تحليـــل أزرارِه   أقودَ لى من ألفِ شَيطان

فُتِّحت الجنَّـةُ من جَيبه   فبِتُّ فى دَعوة رِضـوان

مُروءةٌ فى الحُب تَنهى بأنْ   نُجـاهِرَ الله بعصـيان

قال ذُو النَّسبين[٢] ، رضى الله عنه : لقد أحسن هذا الشّاعرُ ما شاءَ من الإحسان ، لا سيما فى قوله « تنهى بأن * نجاهر الله بعصيان » .

[أبو عمر أحمد بن محمد بن فرج الجيانى][٣]

[6 A] / ومن مليح هذا الباب ، أعنى الاتصافَ بالعفاف ، قولُ الأديب اللُّغوىِّ النحوىِّ ، أبى عَمَر أحمَد بن محمد بنِ فرج الجيّانى ، صاحبِ كتاب الحدائق ، ألّفه للحكم المُستَنصر بالله ، وعارَض به كتاب الزَّهرةِ[٤] لأبى بكرٍ محمدِ بن داودَ بن علىٍّ

---

(١) وكذلك : سوسن ، وكلاهما بالفتح والضم . والكلمة من أصل مصرى قديم .

(٢) هو ابن دحية صاحب هذا الكتاب .

(٣) وافر الأدب كثير الشعر معدود فى العلماء . وجيان التى نسب إليها : مدينة لها كورة واسعة بالأندلس تتصل بكورة البيرة . (انظر بغية الملتمس ت ٣٣١ ومسالك الأبصار جـ ١١ ص ٢٠٠ مصورة دار الكتب المصرية — وجذوة المقتبس ص ٤٥ — ومعجم البلدان لياقوت) .

(٤) طبع جزء من الكتاب بتحقيق الدكتور : ل . نيكل L. N. Nyckl ببيروت سنة ١٩٣٢

الأصبهانىّ ، إلّا أنَّ أبا بكرٍ إنّما ذكر مائةَ بابٍ فى كلّ باب مائةُ بيت ، وأبو عمرَ أورد مائتى باب فى كلّ باب مائتا بيت ، ليس منها باب تكرَّرَ آسمه لأبى بكر، ولم يُورِد فيه لغير أندلسىّ شَيئاً .

قال الحُمَيْدىُّ[١] فى جذوةِ المقتبس له : قال لنا أبومُحمد علىُّ بنُ أحمدَ[٢] : «وأحسن الاختيار ما شاء وأجاد فبلغ الغاية ، فأتى الكتابُ فردًا فى معناه » .

فمن قوله :

/بأيِّهما أنَا فى الشُّكر بَادِى ... بِشُكرِ الطَّيف أمْ شُكرِ الرُّقَادِ [6 B]

سَرى فأرَادَه[٣] أمَلى ولكنْ ... عَفَفْتُ فلم أنَل منه مُرادى

وما فى النَّوم من حَرَجٍ ولكن ... جريتُ من العفَاف على اعتيادى

---

(١) هوأبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الحميدى . ولد سنة ٤١٨ هـ . قدم مصر وسمع بها ، وسمع بالأندلس وشهر بصحبة ابن حزم . وكان ورعا ثقة إماما فى الحديث وعلله ومعرفة متونه ، محققا فى علم الأصول على مذهب أصحاب الحديث ، متبحرا فى الآداب والعربية . ومن تصانيفه : جذوة المقتبس فى أخبار علماء الأندلس . وقد ألفه ببغداد . وله غير ذلك : كتاب الذهب المسبوك فى وعظ الملوك . وتوفى سنة ٤٨٨ هـ .

(٢) هو على بن أحمد بن سعيد بن حزم ، كان حافظا عالما بعلوم الحديث والفقه ، مستنبطا للأحكام من الكتاب والسنة ، عاملا بعلمه زاهدا فى الدنيا ، زاهدا فى الرياسة التى كانت له ولأبيه من قبله . وله تواليف كثيرة ، منها : كتاب الإحكام لأصول الأحكام ، وكتاب الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، وغير ذلك . ولد بقرطبة سنة ٣٨٤ هـ ومات سنة ٤٥٦ هـ (بغية الملتمس ت ١٢٠٤ — والصلة ت ٨٨٨) .

(٣) عند الشريشى (١ : ٢١١) : «سرى لى فازدهى أملى ولكن» .

لكن أخذه من قول المتنبّي :

يَرُدُّ يداً عن ثوبها وهو قادر ويَعصى الهَوى فى طَيفها وهو راقد

وأنشدونى أيضا لأبى عُمَر الرَّمادى المذكور :

أحمامةً فَوق الأراكة بَيِّنى بحَياة من أبكاكِ ما أبكاكِ

أمّا أنا فبكيتُ من حُرَق الهوى وفِراقِ من أهوى أأَنتِ كذاك

[أمة العزيز]

وأنشدتنى أختُ جدّى[١] الشّريفة الفاضلة، أَمَةُ العزيز ، ابنةُ الشّريف الأجلّ العالم أبى محمد عبد العزيز[٢] بنِ الحسن بن الإمام العالم أبى البسّام مُوسى بن عبد الله ابن الحُسين بن جعفر الزكّى بن / علىّ الهادى بن محمد الجواد بن علىّ الرضَى بن موسى الكاظم بن جعفر الصّادق بن محمّد الباقر بن علىّ زينِ العابدين بن الحسين الشّهيد ، سيّدِ شباب أهل الجنّة ، ابن أُمّ أبيها[٣] فاطمةَ الزهراءِ البَتُولِ ، سيّدةِ نساءِ أهلِ الجنّة ، صلّى الله على أبيها وعليها ، ورضى الله عن بعلها وبَنيها : [7 A]

لِحاظكُمُ تَجرحُنا فى الحَشَى ولحظُنَا يجرحكُمْ فى الخدودْ

جُرحٌ بجُرحٍ فاجعلوا ذَا بذَا فما الّذى أوجَبَ جرحَ الصُّدودْ[٤]

---

(١) فى الأصل : «جدتى» . وما أثبتنا من النفح (٥ : ٣٠٢) .

(٢) ولد بجيوفة وأخذ بها العربية . وتوفى سنة ٥٦٤ هـ (ابن الآبار ت ١٧٦٢) .

(٣) الضمير فى « أبيها » يعود إلى أمة العزيز ، يشير إلى كرم طرفيها .

(٤) انظر جوابا على هذا أورده المقرى للتلمسانى (٥ : ٣٠٢) .

[المعتمد بن عباد]

وأنشـدونا المعتمد[١] على الله أبي القاسم محمّـدٍ ملك إشـبيلية ، وابن ملـكها عبّـاد :

لكِ اللهُ كم أودعت قلبى أسهماً[٢] وكم لكِ ما بين الجوانح من كَلْم
لحاظُكِ طولَ الدّهرِ حربٌ لمُهجتى ألَا رحمةٌ تَثنيك يوماً إلى سَلْمِى

[ولّادة]

/ وحدّثنى القاضى العدلُ أبُو القـاسِمِ خَلَفُ بنُ عبد الملك بنِ بشْكُوال[٣] [7 B] الأنصـارىُّ ، بقراءتى عليه بِقُرْطبة أمِّ بلاد الأندلس ، فى العشر الآخر من صفر سنة أربع وسبعينَ وخمسمائه ، قال فى كتاب الصّلة له[٤] :

ولادةُ بنت المستكفى بالله ، أميرِ المؤمنين ، محمّدِ بن عبدِ الرحمن بن عبيد الله بن النّاصرِ عبدِ الرّحمن بن محمد المَرْوَانىّ ، من بنى أميّةَ با ندلس ، أديبةٌ شاعرةٌ ، جزلةُ القول ، حسنةُ الشّعر ، وكانت تخالط الشّعراء وتساجلُ الأدباء ، وتفوق البُرَعاء .

---

(١) كان ملكا وشاعرا محسنا ، و بطلا شجاعا وجوادا ممدحا . كان بابه محط الرحال وكعبة الآمال وشعره فى الذروة العايا . بقى فى مملكته اشبيلية نيفا وعشرين سنة ، وقبض عليه يوسف بن تاشفين لما قهره وغلب على ملكه ، وسجنه بأغمات حتى مات سنة ٤٨٨ هـ . وانظر ما سيورده ابن دحية من شعره (ص ١٤) .

(٢) فى رواية : « من أسى » . مكان «أسهما» .

(٣) كان من علماء الأندلس وله التصانيف المفيدة ، منها : كتاب الصلة ، الذى جعله ذيلا لتاريخ علماء الأندلس تصنيف القاضى ابن الفرضى ، وقد جمع فيه خلقا كثيرا . وله كتاب صغير فى تاريخ أحوال الأندلس . وكتاب الغوامض والمبهمات ، ذكر فيه من جاء ذكره فى الحديث مبهما فبينه . ولد سنة ٤٩٤ هـ وتوفى فى رمضان سنة ٥٧٨ هـ بقرطبة . (ابن خلكان ١ : ٢٤١ — والتاج المذهب ص ١١٤) .

(٤) (الصلة ت ١٤١٨) .

سمعت شيخنا أبا عبد الله جعفرَ بنَ محمدِ بن مكّى[١] رحمه الله ، يصفُ نباهتَها وفصاحتَها وحرارةَ نادرتها وجزالةَ منطقها وقال لى : لم يكُن لها تَصَاونٌ يطابق شرفَها . وذكر لى أنّها أتته معزّيةً له فى أبيه[٢] إذ توفّى رحمه [الله] سنة أربع وسبعينَ وأربعِمائة ، وتوفيت رحمها الله يوم/مقتل الفتح[٣] بن محمد بن عبّاد [8 A] يوم الأربعاء لليلتَين خَلَتَا من صفر سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، ولم تتزوّج قطّ ، وعُمّرت عمرًا طويلا إلى أيّام المعتمد[٤]

قال ذُو النّسبين رضى الله عنــه : كانَتْ الحَسيبة ولّادةُ فى زمانها واحدةَ أوَانها ، حُسن مَنظر ومَخبر ، وحَلاوة مَوردٍ ومَصْدر . وكان مجلسُها بقُرطبة ، مُنتدًى لأحرار المِصْر ، وفناؤها ملعباً لجياد النّظم والنثر ، يعشو أهل الأدب إلى ضوء غُرَّتها ، ويتهالَكُ أفرادُ الشعراء والكُتّاب على حلاوةِ عِشْرَتِها ، إلى سُهولة حِجَابها ، وكثرة مُنْتَابِها ، تَخلطُ ذلك بعلوّ نِصَاب ، وسُموّ أحساب ، على أنّها — سمحَ الله لى ولها ، وتَغَمَّدَ زَللى وزَلَلَهَا — اطَّرحت التَّحصيل ، وأوجدت إلى القول فيها السَّبيل/، بقلّةِ مُبالاتها ، ومجاهَرَتِها للذّاتها[٥] . كتبتْ — زعموا — على عاتقَ ثوبها : [8 B]

أنَا واللهِ أصلُحُ للمعَالِى   وأمشى مِشيَتِى وأتيــهُ تِيهَا
وأُمكنُ عاشقِى من صَحْنِ خَدِّى   وأُعطِى قُبلتِى من يَشْتَهِيهَا

---

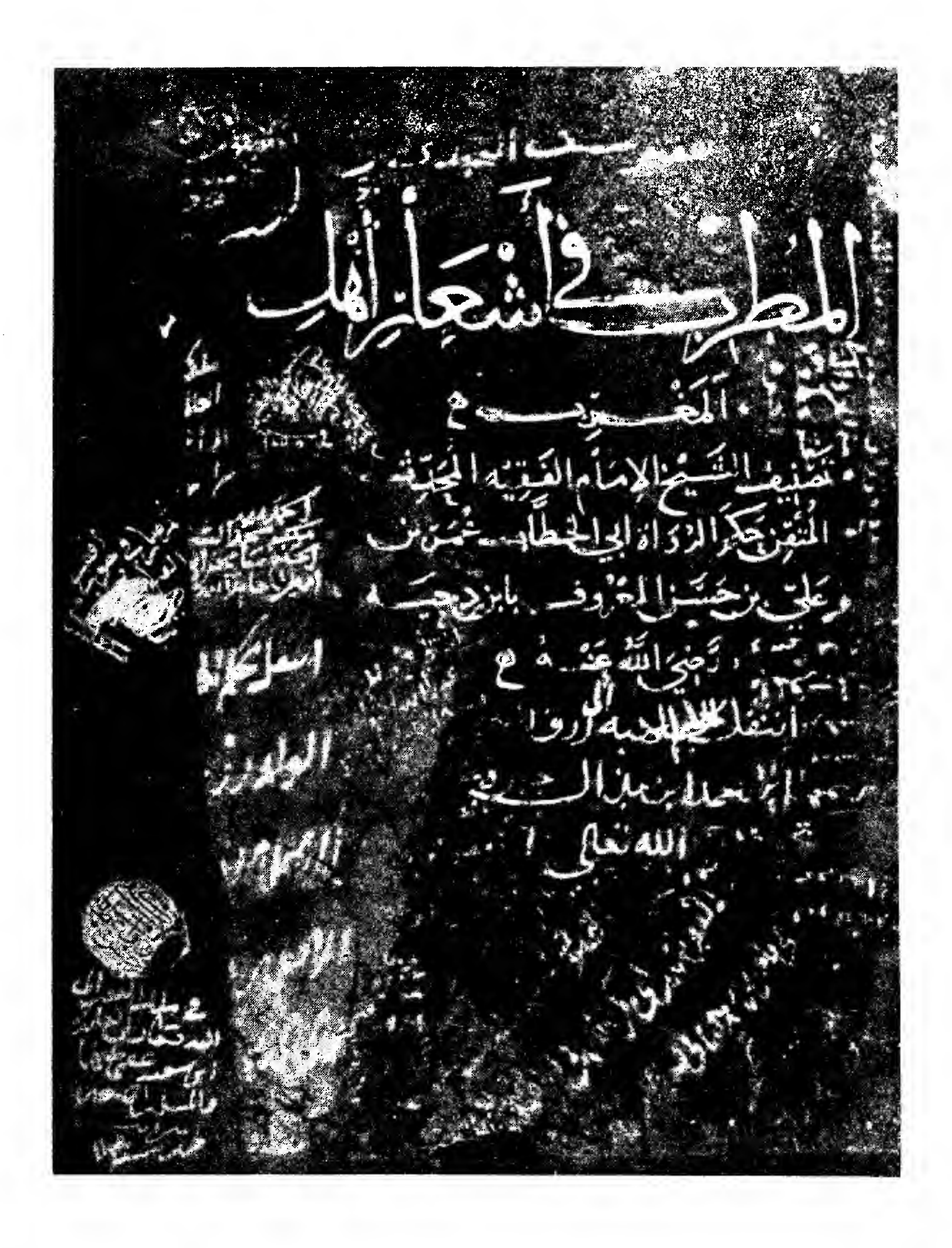
(١) من أهل قرطبة . روى عن أبيه محمد بن مكى ، ولزم أبا مروان بن سراج الحافظ واختص به خمسة عشر عاما . كان عالما بالآداب واللغات ذاكرا لها ضابطا لجميعها . ولد بعد الخمسين وأربعمائة وتوفى سنة ٥٣٥ هـ . (ابن الآبار ت ٢٩٤) .

(٢) فى الأصل : «ابنه» وما أثبتنا عن الصلة .

(٣) لقب عباد بن المعتمد . ويكنى أيضا : المأمون ، وأبا ناصر . وهو أكبر أولاد المعتمد ، استخلفه أبوه على قرطبة بعد تغلبه عليها وإخراج ابن عكاشة منها وقتله إياه انتقاما منه لولده سراج الدولة بن المعتمد الذى قتل سنة ٤٦٨ هـ . وظل الفتح على قرطبة إلى أن زحف عليها أحد جيوش يوسف بن تاشفين بقيادة أبى عبد الله بن الحاج فقتل بعد دفاع مجيد فى صفر سنة ٤٨٤ هـ .

(٤) النص هنا يخالف ما فى الصلة قليلا .

(٥) انظر الذخيرة لابن بسام (١ : ٣٧٦ طبعة لجنة التأليف) .



المطرب في أشعار أهل
المغرب
تصنيف الشيخ الإمام الفقيه المحدث
المتقن حكم الرواة أبي الخطاب عمر بن
علي بن حسن المعروف بابن دحية
رضي الله عنه



وكتبت إلى ذى الوزارتين أبِى الوليد أحمد بن عُبيد الله بن أحمدَ بن زيدون المخزومىّ القرطبىّ [١] :

ترقّب إذا جنّ الظّلامُ زِيارتى ... فإنى رأيتُ الليلَ أكتَمَ للسّرِّ

وبِى مِنك ما لوكان بالبَدْر ما بَدا ... وبالليل ما أَدْجَى وبالنَّجم لم يَسْرِ

إلى أن يقول ابنُ زيدون : وبتنا بليلة نجتنى أُقحوان الثّغور ، ونقطفُ رمّان الصّدور ، فلما انفصلتُ عنها صَباحا ، أنشدتها ارتياحا [٢] :

ودَّع الصَّبْر محبٌّ ودَّعَك ... ذائعًا [٣] من سرّه ما استودَعَكْ

/ يقرَعُ السِّنَّ على أن لَم يكُن ... زادَ فى تِلك الخُطا إذ شَيَّعَكْ

[9 A]

يا أخَا البدرِ سَنَاءً وسَنًى ... حَفِظَ الله زَماناً أطلَعَك

إن يطُل بَعدَك لَيلِى فلَكَم ... بِتُّ أشكُو قِصَرَ اللَّيلِ مَعَك

وله يتغزّل فيها :

يانازحًا وضميرُ القلب مثواهُ ... أنْسَتك دنياكَ عبدًا أنت مولاهُ [٤]

ألهتْك عنه فُكاهاتٌ تَلذُّ بها ... فليس يَجرى ببالٍ منك ذِكراه

عَلَّ اللّيالى تُبقّينى إلى أمدٍ [٥] ... الدّهرُ يعلم والأيّام معناه

---

(١) فى نفح الطيب : إن هذين البيتين كتبت بهما ولادة إلى الأصبحى لما أولع بها بعد طول تمنع .

(٢) فى النفح : إن هذه الأبيات لولادة أيضا كتبت بهما إلى الأصبحى لما أرادت الانصراف عنه ، بعد ما وفت بما وعدت . وقد وردت الأبيات منسوبة إلى ابن زيدون فى ديوانه .

(٣) فى قلائد العقيان (ص ٧١) ونفح الطيب وديوان ابن زيدون : « ذائع » . وكلاهما صحيح . فعلى النصب تكون « ذائعا » حالا من فاعل « ودعك » و « ما » فاعل لـ « ذائعا » . وعلى الرفع تكون « ذائع » خبرا مقدما ، و« ما » مبتدأ مؤخرا

(٤) فى ديوان ابن زيدون : « دنياه »

(٥) « « : « أمل » .

ولە فيها :

يا قمــرًا مطلعُــه المغــربُ قد ضاقَ بى فى حُبِّكَ المذهب
فإنَّ من أعجب ما مَرَّ بِى أنَّ عَذابِى فيــك مُسْتَعـذب
ألزمْتَنِى الذَّنبَ الذى جئتـه صَدقتَ فاصفح أيُّهـا المذنب

وقال :

ما بالُ خدِّكَ لا يَزال مُضَرَّجا بدمٍ ولحظُك لا يزالُ مُرِيبَـا[١]

[9 B] / وقال فيها :

حَلَّيْتَنِى[٢] بحُلًى أصبحت زاهية بها على كلِّ أنثى من حُلًى عُطُلِ
لله أخلاقُكَ الغُــرُّ التى سُقِيَتْ من الفُرات فرقَّت رِقَّةَ الغَزَل
أشبهتِ فى الشّعرمن غارَتْ بدائعه وأنجدت وغَدَتْ من أحسَنِ المُثُل
من كانَ وَالدهُ العضْبَ المهنَّدَ لَم يَلِدْ من النَّسل غيرَ البِيضِ والأَسَل

حفصةُ[٣] بنت الحاج[٤]

من بُشُرَّات[٥] غَرناطة ، رَخيمةُ الشّعر ، رقيقةُ النَّظم والنَّثر . أنشدنى لها غير واحد من أهل غرناطة :

ثَنائى على تلك الثَّنَايا لأنَّنى أقولُ على عِلْمٍ وأنطِقُ عن خُبْرِ
وأُنْصِفُها لا أكذبُ اللهَ أنَّنى رَشَفْتُ بها رِيقًــا ألَذَّ من الخمر

---

(١) من قصيدة لابن زيدون فى مدح جهور (ديوانه ص ٧٠) . (٢) لم ترد هذه الأبيات فى ديوانه .

(٣) فى الأصل هنا قبل هذا العنوان وفيما سيأتى قبل العنوان التالى كلمة « ومنهن » والسياق يأباها وهى بسياق النفح أليق ، فقد مهد المؤلف هناك بقوله : «فى النساء المشهورات بالأندلس» وكذا أسلوب الإحاطة .

(٤) من أهل غرناطة اشتهرت بالظرف والأدب والجمال والمال والحسب ، ولها شعر فى أمير المؤمنين عبد المؤمن ابن على ارتجالا بين يديه ، وقد ذكرها صاحب رايات المبرزين ونفح الطيب .

(٥) البشرات (Alpujarras.) : منطقة جبلية فى اقليمى غرناطة والمرية . (انظر Diccionairo de Historia de Ispaña V. 1. P. 70) معجم تاريخ أسبانيا .

[I0 A]

/ ابنة زيادٍ المؤدِّب[1] [2]

من أهل مدينة وادي آش[3]، أنشدني الأديب أبو عبد الله محمد بن عليّ الهمذاني قال، أنشدتني لنفسها :

أباحَ الدّمعُ أسرارِي بوادي — به للحسن[4] آثارٌ بوادي[5]

ومن بين الظِّباء[6] مهاةُ رملٍ[7] — تبدّت لي وقد ملكَتْ قيادي[8]

إذا سَدَلَت ذوائبَها عليها — رأيتَ الصُّبح أشرقَ في الدَّآدي[9]

تخالُ البدر ماتَ له خليلٌ[10] — فمن حُزْنٍ تَسربَلَ بالحداد

لها لحظٌ تُرَقِّدُه لأمرٍ — وذاك الأمرُ يمنعُني رُقادي

الدّآدي : ثلاثُ ليالٍ من آخر الشهر، هكذا قال الأثباتُ من اللغويين .

وقال أحمد بن يحيى ثعلب : يقال لليوم / الّذي يشكّ فيه من الشهر الحرام : [I0 B] دأداء[11] .

---

(١) انظر الحاشية (رقم ٣) بالصفحة السابقة .

(٢) لزياد المؤدب بنتان : حمدة، وقيل حمدونة، ثم زينب، وكانتا من مشهورات نساء الأندلس . وكان يقال لحمدة : خنساء المغرب وشاعرة الأندلس . وقد ذكر المقري في النفح وابن سعيد في رايات المبرزين هذه الأبيات لحمدونة، وكانت خرجت الى وادي شنيل .

(٣) مدينة بالأندلس قرب غرناطة . (الروض المعطار) .

(٤) في رايات المبرزين : « له في الحسن » . وفي النفح : « له للحسن » .

(٥) بعده في المصدرين السابقين :

فمن واد يطوف بكل روض — ومن روض يطوف بكل وادي

(٦) في بغية الملتمس (ت ١٥٨٧) : « وبين الكانين » . (٧) في رايات المبرزين والنفح : « أنسي » .

(٨) في الرايات : « لها لبي وقد سلبت فؤادي » . وفي النفح : « سبت لبي .. » .

(٩) رواية هذا العجز في النفح : « رأيت البدر في أفق السواد » .

(١٠) في الرايات والنفح : « كأن الصبح مات له شقيق » .

(١١) نص ما في مجالس ثعلب (ص ١٨٩) إن صح أن النقل عنه : « وتسمى ليلة ثمان وعشرين وتسع وعشرين وثلاثين : الدآدي . والواحدة دأداءة » .

[الحكم المستنصر[١]]

وأنشدونا لخليفة الأندلس ،الحكم المستنصر بالله صاحب الفتوحاتِ العظيمة، والمعرفة بالعلوم الحديثة والقديمة ، كُتب به إلى مصر[٢] :

أَلسنَا بنى مَروان كيفَ تبدَّلَتْ بنا الدَّارُ[٣] أوَدارت علينا الدَّوائرُ
إذا وُلد المولودُ منّا تهلَّلَت له الأرضُ واَهتزّت إليه المَنابرُ

وتُوفى يوم السَّبت لثلاثٍ خَلون من صفرٍ سنة ستّ وستّين وثلثمائة ، وقد انقرض عَقبه .

[المعتضد بن عباد[٤]]

وأنشدونا للسّلطان المعتَضد بالله أبى عمرٍو عَبّادِ بن محمّدِ[بن إسماعيل بن قريش] ابن عبّادٍ اللخمىّ . والمعتضدُ هذا هو قطب رحى الفتنة ، ومُنتهى غايةِ المحنـــة ؛ لم يثبت له قائمٌ ولا حصيد / ولا سلم من سيفه قريبٌ ولا بعيد[٥] : [11 A]

شَربنا وجفنُ الّليل يَغسلُ كُحلَه بمـاء صباح والنسيمُ رقيـــقُ
معتّقــةً صفراءَ[٦] أمّا نِجارُها فضخمٌ وأما جسمُها فدقيق

---

(١) هو الحكم بن عبد الرحمن الناصر . ولد سنة ٣٠٢ هـ . وولى الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٣٥٠ هـ .

(٢) ذكر ابن سعيد فى رايات المبرزين (ص ٣٨/٣٧) البيتين لمحمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر وأنه كتب بهما الى العزيز صاحب مصر بن المعز . وقال الثعالبى فى اليتيمة (١ : ٢١٤) أنشدنى الوليد بن بكر الأندلسى الفقيه المالكى لأميرهم محمد بن أبى مروان بن أخى المستنصر بالله المدعو الخليفة بالأندلس ، وهو الحكم بن عبد الرحمن المروانى من قصيدة كتب بها الى صاحب مصر يفتخر ، ثم ذكر البيتين .

(٣) فى الرايات واليتيمة : «الحال» .

(٤) ثانى أمراء الدولة العبادية بإشبيلية . ولى بعد وفاة أبيه سنة ٤٣٩ هـ . انظر المعجب للمراكشى والذخيرة لابن بسام . ووفيات الأعيان لابن خلكان فى ترجمة المعتمد .

(٥) انظر الذخيرة .

(٦) فى الذخيرة ووفيات الأعيان : « معتقة كالتبر » .

وقال يخاطب الملك أبا الجيش مجـاهدَ بنَ عبدِ الله[١]، صاحبَ الجزائرِ ومدينَةِ دانية . ويقال إنّها من أبيات لكاتبه ذى المعارف والفنون، أبي الوليد ابن زيدون :

خِلّي[٢] أبَا الجيش هل يُقْضَى اللقاءُ لَنَا ... فَيَشْتَفِي منك طرفٌ أنتَ ناظِرُهُ

شَطَّ المزارُ بنـا والدّار دانيةٌ ... يا حبّذَا الفألُ لو صحّت زواجرُه

قال ذو النّسبين، رضى الله عنه : قوله «والدّار دانية» / من مليح التّورية، وهى ضربٌ من صنْعَة البـديع . ودانية : مدينة كبيرة بشرق الأندلس، وهى مشتقّة من : دنَا يدْنُو : إذا قَرُب .

[H B]

وأنشـدنى شيخ الإتقان، وواحد أسانيد الفُرقان ، أبو العباس أحمـدُ ابنُ عبدِ الرّحمن اليافِعِيُّ - ويافع بالياء المثنّاة باثنتين من أسفل، قبيلة من رُعين - قال : أنشـدنى الاستاذُ المقرئُ : أبو داودَ سُليمانُ بن يحيى[٣]، قال : أنشـدَنا الأستاذُ الأعلى أبو الحسَن علىُّ بنُ عبدِ الغنىِّ الفِهرىُّ الحُصْرِى القَيْروانىُّ المكفوف[٤]

---

(١) هو أبو الجيش الموفق مجاهد بن عبد الله العامرى مولى عبـد الرحمن الناصر، وأصله مملوك رومى من مماليك ابن أبي عامر. نشأ فى قرطبة ثم كانت الفتنة فى الأندلس، وتغلب العساكر على النواحى، فسار فيمن تبعه إلى دانية وميورقة وتغلب عليهما، وكان من الكرماء على العلماء حتى صارت دانية مدينة العلماء. (ياقوت ٦ : ٢٤٣). وانظر أعمال الأعلام، والبيان المغرب .

(٢) البيتان من مقطوعة خماسية من شعر المعتضد الملحق بديوان ابن زيدون . والرواية فيه : « ذخرى » .

(٣) هو أبو داود سليمان بن يحيى بن سعيد المعافرى القرطبى المقرى. كان مقرئا محققا ماهرا، تصدر للإقراء والعربية بقرطبة، وأخذ عنه أبو بكر بن خير صاحب الفهرست وغيره. وتوفى بعد الأربعين وخمسمائة. (انظر ابن الأبار ت ١٩٨١) .

(٤) أديب رخيم الشعر حديد الهجو. دخل الأندلس بعد الخمسين وأربعمائة فانتجع ملوكها واتصل بعلمائها، كأبى العباس النحوى البلنسى وغيره. وشعره كثير وأدبه موفور. وتوفى سنة ٤٨٨ هـ (انظر بغية الملتمس ت ١٢٢٩ والصلة لابن بشكوال ت ٩٢٣) .

قال: دخلتُ على السلطان المعتمد على الله أبي القاسم محمد بن المعتضد بالله ، حين مات أبوه ، فأنشدته ارتجالا :

[12 A]

مات عبّادٌ ولكن   بَقِيَ الفرعُ الكريمُ
فكأنَّ الميْتَ حَيٌّ   غير أنَّ الضّادَ مِيم

ونسبه : محمّدُ بنُ عبّاد بن محمّدِ بن إسماعيلَ[١] بن قريش بن عبّاد بن عمرو ابن أسلم بن عمرو بن عطّافِ بن نُعَيْم . وعطّاف ونعيم هما الدّاخلان بالأندلس :

مِن[٢] بنى المنذرين وهوانتِسابٌ   زادَ فى فخره بنو عبّادِ
فئةٌ لم تَلِد سواها المَعَالى   والمعالى قليلَةُ الأولاد

وهذا النّسب يطّردُ اطّرادَ الشّآبيب ، ويتّسق اتّساقَ الأنابيب ، إلى مركز الدّائرةِ من لخمْ ، وإلى قُنُص بنِ معدّ من ابنه عجَم[٣] . وُلد رحمه الله بمدينة باجةَ[٤] ، سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ، وولى سنة إحدى وستّين ، وخُلِع سنة أربع وثمانين ، وتوفّى رحمه الله فى شوّال لإحدى عَشَرَة ليلة خَلت منه سنةَ ثمانٍ وثمانين وأربعمائة . وخُلع عن ثمانمائة امرأة ، أمّهاتِ أولاد ، جوارى مُتعَة، [11 B] وإماء تَصَرُّف . وملك من البلاد بين مُدن وحُصونٍ مائتى مُسَوَّر ، وإحدى

(١) زيد فى الأصل بعد هذه الكلمة : « بن محمد بن » . وظاهر أنها تكرار من الناسخ .

(٢) البيتان لبعض الشعراء فى المعتمد وأبيه (انظر وفيات الأعيان) .

(٣) فى الأصل : « غمم » تحريف . (انظر الطبرى والسيرة لابن هشام ١ : ١٢ طبعة الحلبى) .

(٤) باجة : من أقدم مدن الأندلس ، بنيت أيام الأقاصرة ، وبينها وبين قرطبة مائة فرسخ .

وثلاثين مَسَوَّرًا . وقد ذكرها الوزير أبو بكر[١] محمدُ بنُ عيسى بن محمّد اللخميُّ ، الدّاني — يعرف بابن اللبّانة — فى كتاب نظم السّلوك[٢].

وأنشدونا للمعتمد ، وقد ناولَه بعض نسائه كأس بلّور مُترعا شرابا ، ولمع البرق فارتاعت ، فقال بديهةً :

رِيعت من البرقِ[٣] وفى كفِّها برقٌ من القهوة لمّاعُ
ياليت شعرى[٤] وهى شمسُ الضّحى كيف من الأنوارِ ترْتاعُ

وأمر الأديبَ المصيبَ أبا محمّدٍ عبدَ الجليل بنَ وهبُونَ بإجازة البيت الأول ، فقال :

[13 A] /ولن تَرَى[٥] أعجب من آنسٍ من مثل ما يُمْسِكُ يرْتاعُ[٦]

وهذا من نوادر الخواطر ، وليس يُنكَر على هذا الشّاعر . فمن جودة شعره ترتيبُ اللفظ فيه مع جَودَةِ معانيه ، أوّلها المطابَقَةُ بلفظتى الأُنس والارتياع ، وتشبيهُ لمعان البرق بلمعان الخمر .

وقال المعتمد فى السلطان عباد أبيه ، من قصيد كبير يمدحه فيه[٧] :

سميدعٌ يهب الآلافَ ، مبتدئا ويستقلُّ عطاياه ويعتذرُ
له يدٌ كلُّ جبّار يقبّلها لولا نَدَاها لقلنا إنّها الحجرُ

---

(١) من أهل دانية ، كان من فحول الشعراء ، غزير الأدب ، قوى العارضة . وله غير نظم السلوك من التصانيف ، كتاب : مناقل الفتنة ، وكتاب سقيط الدرر واقيط الزهر . وكان الدانى ممن رفع المعتمد مكانه ، وميزه بالتقريب عنده . وتوفى بميورقة سنة ٥٠٧ هـ (بغية الملتمس ت ٢١٢ وابن الأبار ت ٥١١) .

(٢) هو كتاب نظم السلوك فى وعظ الملوك فى أخبار بنى عباد ، ضمنه مقطعات وقصائد فى البكاء على أيامهم وما انتثر من نظامهم . (المراجع السابقة) .

(٣) فى نفح الطيب : « روعها البرق » .

(٤) فى نفح الطيب وبدائع البدائه والمعجب : « عجبت منها » .

(٥) فى النفح : « ولن أرى » .

(٦) رواية بدائع البدائه : « ... ما تمسك ترتاع » .

(٧) مطلعه :

سكن فؤادك لا تذهب بك الفكر ماذا يعيد عليك البث والحذر

يسليه فيها عن مصابه فى هزيمته أمام باديس فى مالقه . (وانظر خريدة القصر ١١ : ١٤٥ والذخيرة ٢ : ٢٦ والمرقصات والمطربات ص ٦٠ — والحلة السيراء ص ٦٣ — وديوان المعتمد ص ٣٦) .

يريد الحجرَ الأسودَ الذى يجب تقبيلُه على جميع الطّائفين بالمسجد الحرام ، على ماثبت عن رسول الله عليه أفضلُ الصّلاة وأشرفُ السّلام . [و] السّميدَع ، بفتح السّين فى لغة العرب : السّيِّد .

وفضّلَ يَدَهُ على الحجر بما خُصّت به من النّدى ، وكَثْرة الجدَى ، ففضّل يد الممدوح على الحجر الأسود / وهذا من باب غلوّ الشّعراء وإيغالهم ، فيما يمّقون [13 B] من زخارف أقوالهم ؛ فشتّان بين يديه وبين الحجرَ الأسودِ فى الممات والمحيا ، لأنّه يشهد يوم القيامة لمن استلمه فى الدّنيا ، وينال بذلك عند الله جلّ جلاله المنزلة العليا .

وقال أيضا فى أبيه يسترضيه :

مولاىَ أشكو إليك داءً أصبح قلبى به قَريحًا[١]

سُخطك قد زادنى سَقَاما فابعث إلىّ الرّضا مَسيحا[٢]

فقولُه «مسيحًا» من القوافى الّتى يُتَحدّى بها ، لصُعوبتها على من رامَها وأدخلها هو فى بابها ، إذ كان المسيحُ بن مريم يَشْفى من العِلَلِ وأوصابها .

وأَدخل عليه يومًا بعضُ فتيانه باكورةَ نَرجس ، فكتب إلى ابن عمّار يستدعيه :

قَد زارنا النَّرجسُ الذّكىُّ وحانَ من يومنا العَشِىُّ

---

(١) ورد بعد هذا البيت فى الحلة السيراء ومجموع شعر المعتمد :

إن لم يزحه رضاك عنى فلست أدرى له مزيحا

(٢) ورد بعد هذا البيت فى الحلة السيراء هذان البيتان :

فاغفر ذنوبى ولا تضيق عن حلها صدرك الفسيحا

لو صور الله للمعالى جسما لأصبحت فيه روحا

[14 A] / ونحنُ في مجلسٍ أنيقٍ وقد ظَمِئنَا وثَمَّ[١] رِيُّ
ولى نديمٌ[٢] غدا سَمِيِّ يا ليتَه ساعد السَّمِيُّ

فأجابه ذو الوزارتين أبو بكرٍ محمَّدُ بن عمّار :

لبّيك لبّيك من مُنادٍ له النَّدى الرّحبُ والنَّدِيُّ
ها أنا بالباب عبدُ قِنٌّ قِبْلَتُه وجهُك السَّنِيُّ
شرَّفهُ والداهُ بٱسمٍ شرَّفته أنتَ والنَّبِيُّ

وكتب أيضا إلى أبى بكر بن عمّار :

لمّا نأَيتَ نأَى الكرى عن ناظرى ورَدَدْتَه[٣] لما ٱنصَرَفْتَ عليه
طلب البشيرُ بشارةً يُجزى بها فوهبتُ قلبى وٱعتذرت إليه

أنا أستحسنُ قول أبى فراس لسيف الدّولة :

نفسى فداؤُكَ قد بَعَثْـ ـتُ بِعُهْدتِى بيد الرّسول
وجعلتُ ماملكت يَدى صِلَةَ المبشّر بالقبول

وقال ابنُ عبّاد :

[14 B] / تظنّ بنا أمُّ الرّبيع سآمةً ألاّ غفَر الرّحمنُ ذَنبًا تُواقِعُهْ
أأهجرُ[٤] ظبيًا فى فؤادى[٥] كِناسُه وبدرَ تمامٍ فى جُفونى[٦] مَطالعه[٧]
إذَا هَجرتْ[٨] كفّى نوالًا تُفيضه على مُعتفيها[٩] أو عدوًّا تُقارِعه

---

(١) فى النفح : «وفيه» .
(٢) فى الخريدة (١١ : ١٤٦) والذخيرة (٢ : ١٠)والنفح : «خليل» . وانظر ديوان المعتمد (ص ٦٤) .
(٣) فى مجموع شعر المعتمد النسخة الخطية : «وصرفته» .
(٤) فى المجموع : «أأسأم» . (٥) فى خريدة القصر : (١١ : ١٤٧) وفى المجموع : «ضلوعى» .
(٦) فى الخطية المصرية من الذخيرة (٢ : ٢٤) : «فى الضلوع» . وفى المجموع : «فؤادى» .
(٧) ورد بعد هذا البيت فى الأصول السابقة :

وروضة حسن أجتنيها وباردا من الظلم لم تحظر على شرائعه

(٨) فى المجموع : «سئمت» . (٩) فى تاريخ بنى عباد لدوزى : «معتفيه» .

وقال :

أكثرتَ هَجرى غير أنّك ربّما   عطفتْــك أحيانا علىّ أمــورُ
فكأنّما زمنُ التّهاجُر بيننا   ليـلٌ وساعاتُ الوصالِ بدُور

وقال :

حكّمَــه فى مُهجتى حُسْــنُه   فظــلَّ لا يَعــدِلُ فى حُكْمه
أفــدِيه ما ينفكُّ لى ظالمًا   يا رَبِّ لا يُجْزَى على ظُلْمِــه

وله فى جارية تُسمى بوداد ، وقد سافر عنها إلى تفقّد بعض البلاد :

اشربِ الكأسَ فى وِدَادِ ودادِكْ   وتأنَّس بذكرها فى انفِــرادِكْ
قمــرٌ غاب عن جُفونك مَرْآ   هُ وسُكناهُ فى سَــوادِ فؤادك

/وقال من أبيات فى فَتاة يومَ وداعها ، عند تفطّر كبده وانصداعها : [15 A]

ولمّا التقينا للــوَداعِ غُدَيَّةً   وقد خَفَقَتْ فى ساحة القصر رايات[1]
بكينَا دمًا حتى كأنّ عيونَنَا   لجرى الدّموع الحُمرِ منها جراحاتُ[2]

من هذا الباب قول الآخر :

بكيت دماً حتّى لقــد قال قائلٌ   أهذا الفتى من جفن عينيه يرعفُ

---

(١) بعد هذا البيت فى المجموع من شعر الملكين :

وقربت الجرد العتاق وصفقت   طبول ولاحت للفراق علامات

(٢) بعده فى المجموع :

وكنا نرجى الأوب بعد ثلاثة   فكيف وقد كانت عليها زيادات

وقد وردت الأبيات الأربعة أيضا بين الشعر المنسوب الى ابن زيدون فى ديوانه .

ومن شعره الحسن وغرضه المستحسن :

وربَّ[١] ساقٍ مُهفهف غَنِجٍ — قام ليَسقى بجاء بالعَجَبِ

أبدى[٢] لنا من لطيف حِكمته — فى جامد الماء ذائبَ الذَّهب

قال ذو النّسبين ، رضى الله عنه : أكثر الشعراء من وصفها بذوب الجامد ، ووصف كأسها بجامد / الذّائب ، فمن ذلك : [51 B]

لَاح وفاحت روائحُ النّدّ[٣] — مُهْتصرُ[٤] الخصر أهيف القدّ

وكم سقانى واللّيلُ معتكرٌ — فى جامدِ الماء ذائبَ الوَرْدِ

وقال الصَّنَوْبرى[٥] :

أقولُ والكأسُ على فيه قد — صوَّبَها كالكوكب الصَّائبِ

وجسمُها من ذهب جامدٍ — وروحُها من ذهبٍ ذائب

ذَا كوكبٌ يغرُب فى كَوكبٍ — ويلِي من الطَّالِع لَا الغَارِب

ومما يقاربُ هذا الباب ما يُروى من قولِ كِسْرى : لست أدرى ، هل التُّفَّاحُ خمرٌ جَامد أم الخمر تفّاح ذائب ؟ أخذه الخليع[٦] ، فقال :

الرّاحُ تفّاحٌ جرى ذائبًا — كذلك التُّفَّاح راحٌ جَمَد

فاشرب على جامده ذَوْبَه — ولا تَدعْ لذَّةَ يوم لِغَد

---

(١) فى قلائد العقيان (ص ٩) ونفح الطيب (٢ : ٦٢٣ طبعة أوربه) : «لله ساق» . وانظر ديوان المعتمد (ص ٣) .

(٢) فى المصدرين السابقين : « أهدى » .

(٣) الند ، بفتح النون وكسرها : ضرب من الطيب يدخن به . قال أبو عمرو بن العلاء يقال للعنبر : الند ، وللمسك الفتيق . وقال ابن دريد : لا أحسب الند عربيا صحيحا .

(٤) المهصر : الجذب والإماله وعطف شيء رطب كالغصن ونحوه . وفى الأصل : «مختصر» تحريف . والبيتان للمعتمد .

(٥) هو أحمد بن محمد بن الحسن بن مرار أبو بكر الضبي . توفى سنة ٤٣٤ ه . وقد نشر له الأستاذ محمد راغب الطباخ ما عثر عليه من شعره بعنوان « الروضيات » .

(٦) هو الخليع السامى أبو عبد الله . قال الثعالبي : «وقد ذهب عنى اسمه . قد أدرك زمان البحترى و بقى الى أيام سيف الدولة » .

وكلّ هذا من قول الشّريف عبـد الله بن المعتزّ العبّاسيّ[١] :

[16 A] / وخمـارةٍ من بنات المجو ... سِ ترى الدَّنَّ[٢] في بيتها شائلاَ
وزنَّا لهـا ذهباً جامـــدا ... فكالت لنـا ذهبا سَائلا[٣]

وقال الأستاذ أبو الحسن عليُّ بنُ عبد الغنيّ الحُصْريّ[٤] :

أقول لَه وقـــد حيَّا بكأسٍ ... لَهـا مِنْ مِسْك ريَّاهُ[٥] ختامُ
أمِن خَدَّيك تُعصر قال كلّا ... متى عُصرت من الوَردِ المُـدام

حدّثني بهذا شيخ الإتقان ، وواحد أئمّة الفرقان ، الفقيه الأستاذ أبو العبّاس احمدُ بن عبد الرحمن ، سبطُ الأستاذ المعزول[٦] ، قال : حدّثني الفقيه الأستاذ أبو داودَ سُليمان بن يحيى ، قال : سمعت الفقيه الأستاذ أبا الحسن الحُصريَّ يقول .

قال ذو النّسبين رضي الله عنه : وسمعت الوزير الفقيه المحدّث الكاتب العدل أبا عبد الله محمَّدَ بنَ أبي القاسم بن عميرة[٧] ، قال : سمعت الوزيرَ الكاتبَ أبا نصر الفتحَ بن عُبيد / الله القَيسيّ — هو ابنُ خاقان[٨] — يقول : أخبرني أبو بكر بنُ عيسى [16 B] الدَّانيّ ، المعروفُ بابن اللّبّانة ، أنَّه استدعاه المعتمد ليـلة إلى مجلسٍ قد كساه الرّوضُ وشيَه ، وامتثَل الدّهر [فيه] أمْرَه ونهيه ؛ فسقاه السّاقي وحيَّاه ، وسَفَر له

---

(١) ولد سنة ٢٤٧ هـ . وتوفى سنة ٢٩٦ هـ .

(٢) في نفح الطيب : «الزق» . وشائلا ، من شال الذنب ونحوه ، إذا ارتفع ، والزق اذا امتلأ شالت قوائمه .

(٣) ذكر المقرى نقلا عن ابن بسام أن المعتمد غنى بين يديه بهذين البيتين ، فقال بديها يجيز :
وقلت خذى جوهرا ثابتا ... فقالت خذوا عرضا زائلا

(٤) انظر الحاشية (٤ ص ١٣) من هذا الكتاب . (٥) في وفيات الأعيان عند ترجمة الحصرى : «ريقته» .

(٦) في الأصل : «المعـذور» . وما أثبتناه عن بغية الملتمس (ت ٩٠٨) وفيها أن اسمه : عبد الله بن إبراهيم ابن معزول أبو محمد ، يروى عن الصدفى .

(٧) من أعيان المائة السادسة (ابن الأبار ت ٧٨٧) .

(٨) هو الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان الإشبيلي صاحب قلائد العقيان ، وقد جمع فيه من شعراء الأندلس طائفة كبيرة . وله كتاب مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس . توفى قتيلا سنة ٥٣٥ هـ بمراكش . (انظر ابن خلكان) .

الأُنْس عن مُونق مُحيّاه ؛ فقام للمعتمد مادحا ، وعلى دوحة تلك النّعماء صادحا ؛ فاستجادَ قوله ، وأفاض عليه طوله ؛ وصَدَر وقد امتــلأت يداه ، وغَمَرهُ جودُه ونداه . فلمّا حلّ بمنزله وافاه رسوله بقطيع[1] وكأْس من بُلّار[2] ، قد أُترعا بصرف العُقار ، ومعهما :

جاءتك ليــلًا فى ثيابٍ[3] نهــار من نُورها وغلالةِ البُـــلّار
كالمُشترى[4] قد لفَّ من مرِّيخه إذ لَفّـــه فى المــاء جذوةَ نار
لَطُفَ الجمــودُ لذا وذا فتألّفَـا لم يلق ضِدٌّ ضِـــدَّه بنِفــار
يتحيّر الرّاءُون فى نَعْتيهما أصفاءُ ماءٍ أو[5] صفاء درارى

/ السّلطانُ المتوكّلُ على الله

[17 A]

أبو محمدٍ عُمرُ، ابنُ السّلطان عالِم مُلوك الأندلس المظّفرِ أبى بكرٍ محمدِ بن عبد الله بنِ مَسْلَمة . وكان أعلَمهم بالنّسبِ وأيّامِ العرب ، وأجمعَهم لغرائب اللّغات والأخبار ومحاسنِ الأشعار . وألّفَ تأليفا بديعا فى خمسين مجلّدا[6] ، يُنسب إليه ، وقد

---

(١) كذا وردت هذه الكلمة هنا وفى نفح الطيب والقلائد (ص ٦) وظاهر من السياق هنا وهناك أنها إناء للخمر .

(٢) البُلّار : البلّور . وأهل الجزائر اليوم ينطقونها بفتح الباء . (انظر تكملة المعجمات لدزى Supplément aux Dictionnaires Arabes (1 : 110) .

(٣) فى القلائد : « ثياب نهار » .

(٤) المشترى والمريخ : كوكبان ، أولهما يضرب إلى البياض ، وثانيهما إلى الحمرة .

(٥) فى القلائد وبغية الملتمس (ت ٢٤٨) : « أم » .

(٦) هو المترجم بالتذكرة والمشتهر بالمظفرى . ويشتمل على فنون وعلوم من مغاز وسير ومثل وخبر ، وجميع ما يختص به علم الأدب . (انظر نفح الطيب ، والذخيرة ، والمعجب) .

طالعته . وتُوُفِّى رحمه الله بحضرة مُلْكه مدينة بَطَليوس[١] فى منتصف شهرِ رمضانَ المعظّم سنةَ سِتّين وأربعمائة ، وهو ابن سبعين عاما .

حدّثنى الوزيرُ الكبيرُ الحكيمُ الفقيه الأديبُ النّحريرُ،أبو بكر بنُ زُهر[٢] قال: حدثنا عظيمُ دولتهم ووزيرُ مملكتهم العالمُ الأوحد أبو محمد عبدُ/ المجيد بنُ عبد الله بنِ عبدون القرشيُّ الفِهرى[٣] قال: سمعت السّلطانَ المظفّرَ رحمه الله يقول. فذكر تواليفه كلّها دِقّها وجِلّها . [17 B]

وأمّا ولده السّلطانُ المتوكّل على الله ، فله نثرٌ تَسرى فيه رقّةُ النّسيم ، ونظمٌ يُزرِى بالدُّرّ النّظِيم ، مع جودٍ وكرم خِيم ؛ كما قال فيه ابنُ حنظلة البطليوسى :

زعم النّاسُ أنّ حاتِمَ طيٍّ أوّلٌ فى النّدَى وأنتَ الثّانِى
كذَب النّاس ليس ذاك صحيحًا هو مَرْعًى وليس كالسَّعْدان

وأمّا عدلُه فشاع فى بلادِه وذاعَ ، وملأ الأصقاعَ والبِقَاع . فمن قوله يستدعى الوزير أبَا طالبِ بن غانمٍ ، أحدَ نُدمائه ونجومِ سمائه :

أقْبِلْ أبَا طالبٍ إلينا واسقُطْ سُقوطَ[٤] النّدى علَيْنَا
فنحنُ عقدٌ بغير وُسْطَى ما لم تكن حاضِراً لدينا

---

(١) بطليوس : بالأندلس ، من إقليم ماردة بينهما أربعون ميلا .

(٢) هو أبو بكر محمد بن أبى مروان بن عبد الملك بن أبى العلاء زهر بن أبى مروان . كان من أهل بيت كلهم علماء رؤساء ، حكماء وزراء ، نالوا المراتب العلية وتقدموا عند الملوك ، وتوفى سنة ٥٩٥ هـ . (ابن خلكان ٢ : ١٢) .

(٣) ترجم المؤلف له (ص ١٨٠) . توفى سنة ٥٢٠ هـ . (فوات الوفيات ٢ : ٨) .

(٤) فى القلائد (ص ٤٦): «وقع وقوع» . وقد نسب هذا البيت فى النفح للمعتصم بن صمادح صاحب المرية — والذى ستأتى أخباره بعد فى (ص ٣٤) من هذا الكتاب — حين تشوف إلى الوزير أبى طالب بن غانم .

[18 A] / وحدّثنى الوزيرُ الكاتبُ المحدّث الفاضل أبو عبد الله محمدُ بنُ أبى القاسم ابنِ عُميرة[١] ، قال: سمعتُ الوزيرَ الكاتبَ أبا نصرٍ الفَتح بنَ محمدِ بنِ عُبيدِ الله بن خَاقَان[٢] يقول: أخبرنى الوزيرُ أبو محمدٍ بنُ عبدُونَ أنّه سايرَه إلى شَنْترين[٣] قاصية أرضِ الإسلام ، السّامية الذُّرى والأعلام ؛ التى لا يرُوعها صَرف ، ولا يفْرعها طَرف ؛ لأنّها متوعّرة المرَاقى ، مُعثرة للرّاقى ؛ متمكنةُ الرَّواسى والقَواعد ، على ضفّة نهرٍ استدارَ بها استدارةَ القُلُب بالسَّاعد ؛ قد أطلّت على خمائلها إطلالَ العروس من منصَّتها ، واقتطعت فى الجو أكثر من حِصَّتها، فمروا ببلَّش[٤] قُطر سَالت به جداوله ، واختالت فيه خمائلُه ؛ فما يجولُ الطَّرف منه إلّا فى حديقة، أو بقُعة أنيقة . فتلقّاهُم / ابن مُقَانا[٥] قاضى حضرته وأنزلَهم عندَه ، وأورَى لهم بالمَبرَّة زندَه ؛ وقدَّم طعاما ، واعْتَقَد قبولَهُ مَنًّا وإنعاما . وعندما طَعِمُوا قعد القاضى بباب المجلس رقيباً لا يَبْرح ، وعينُ المتوكِّلِ حياءً منه لاتجولُ ولا تَمْرَح. فخرج أبو محمّدٍ وقد أبرمَه القاضى بتثقيله ، وحرمه راحة رَوَاحه ومَقِيله ؛ فلقى ابن جَيْرُون منتظراً له ، وقد أعدّ لحلوله مَنْزلَه ؛ فصار إلى مجلس قد ابتسمت ثُغور نُواره ، وخجلت خُدود ورده من زُوَّاره ؛ وأبدت صدورُ أباريقة أسرارَها، وضمت عليه المحاسنُ أزرارَها . ولما حضر له وقتُ الأُنس وحِينُهُ ، وأرجت له رياحينه ؛ وجّه من يرقبُ المتوكّل حتى يقوم جَليسُه ، ويزولَ مُوحشُه [18 B]

---

(١) انظر الحاشية (٧ ص ٢٠). (٢) انظر الحاشية (٨ ص ٢٠).

(٣) شنترين : مدينة بالأندلس من كور باجة بينها وبين بطليوس أربع مراحل .

(٤) بلش (Bullas) : من أعمال مالقة . انظر النفح (٢ : ٤١١ ؛ ٦ : ٧٦ مطبعة السعادة) .

(٥) هو أبو زيد عبد الرحمن بن مقانا أحد شعراء غرب الأندلس المشهورين ومن شعراء الذخيرة . عاش فى القرن الخامس ومدح كثيرا من رؤساء الجزيرة . (انظر الذخيرة ٢ : ٢٩٤ ، ونفح الطيب ، وبغية الملمس ت ١١٨) .

لا أنيسُه ؛ فأقام رسولُه وهو بمكانه لا يَرِيمُهُ ، قد لازمه كأنّه غَرِيمُه ؛ فما انفصَل ، /حتَّى ظنّ أنّ عارِضَ اللّيل قد نَصل . فلما عَلِم أبو محمّدٍ بانفصالهِ بعثَ [19 A]
للمتوكِّل قطيعَ[1] خمرٍ وطبقَ وردٍ وكتب معهما :

إليكَها فاجْتَلِهَا مُنيرةً ‏ وقد خَبا حتَّى الشِّهابُ الثّاقبُ
وَاقفةً بالبابِ لم يُؤذن لها ‏ إلّا وقد كادَ ينام الحاجبُ
فبعضُها من المَخَاف جَامِدٌ ‏ وبعضُها من الحياء ذائبُ

فقبلها ، وكتب اليه :

قَد وصلت تلك الّتي زَفَفْتَها ‏ بكْرًا وقد شابَتْ لها ذوائبُ
فَهُبَّ حتى نستردَّ ذاهِبًا ‏ من أُنسِنا إنِ ٱسْتُرِدَّ ذاهبُ

فركب اليه ، ونقلَ ما كان معه فى المجلس ، وباتا ليلتهما لا يَرِيمان السّهرَ ، ولا يَشِيمان بَرْقاً إلّا الكأسَ والزَّهر .

قال ذُو النَّسبين رضى الله عنه : وقد أخذ الآن هذه البلادَ ابنُ الرّيق[2] اللّعين ، وحان لها يومُ شرّ / ما كان أحدٌ يظنُّ أنّه يحين ، فتَمَلَّكت شَنْتَرِين والأُشْبُونَةُ[3] [19 B]
لَمّا خاف أهلهما من القتل ورأوا أن الأسر دونه ؛ لكثرة من جاءهم فى البرّ والبحر ، وقُعودِ المسلمين عن الحماية لهم والنَّصر ؛ حتى ملك الكُفَّار معاقلهم الممتنعة ، وحصونَهم المرتفعة .

(١) القطيع : إناء مقطوع الرأس .

(٢) درجت المصادر العربية على تسمية (هنريك) مرة بالريق وأخرى بالريك ويريد : بابن الريق : بيدرو (Pidro) الثانى ملك أرجون بن الفونسو هنريكيز . (انظر المعجب ص ٣٢٠ ، وتاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين لأشباخ . و Diccionario de Historia de España) .

(٣) شنترين : مدينة معدودة فى كورة باجة . والأشبونة : بغربى باجة . (الروض المعطار) .

وأبو نصرٍ الفتحُ المتقدم الذِّكر ، لقِيِّتُ جماعة من أصحابه ، وحدّثونى عنه بتصانيفه وعجائبه . وكان رحمنا الله وإيّاه ، مخلوعَ العذار فى دُنياه ؛ لـكنَّ كلامَه فى تواليفه كالسّحر الحــلال ، والمـاء الزُّلال . قُتل ذبحـًا فى مسكنه بفنــدق لبيب[1] من حضرة مَرَّاكُش ، صدرَ سنة تسع وعشرين وخمسمائة . أخبرنى بذلك الوزيرُ الكاتبُ العالم أبو عبد الله محمّدُ بن أبي القاسم بن عُمَيْرة ، وأنّ الّذى أشار بقتله أميرُ المســلمين وناصرُ الدّين أبو الحسَن علىُّ بنُ يوسفَ بن تاشفين . وكان صاحبَ بطليوس أبُو بكرٍ محمّدُ بنُ عبدُ الله بنِ مَسلمة ؛ ذو الملك الأكبر، المنعوتُ [20 A] بالسّلطان المظفَّر ؛ وبنوهُ ملوكًا لأعيان، وأعيانُ ملوك ذلك الزّمان . ولِـكِبَر قدرهم فى الملوك، وكونهم فيهم كالواسطة فى السّلوك؛ نزلَتْ عليهم ملوكُ بلاد الأندلس من المسلمين، وهوعام الزّلّاقة[2] سنة تِسْع وسبعين . فقام ولده وولىّ عهده المتوكّلُ على الله أبو محمّدٍ عُمرُ بن الملك المظفَّر ، المخدومُ بسعده فى إقامتهم بجميع ما يحتاجونه ، ووجدوا عنــده فوق ما يرجُونه ؛ وفى جملتهم أبو يعقوب يوسفُ بن تاشفين ، المتسمّى بأمير المسلمين ، مع جماعة لاتُحصى من الملثّمين ؛ لأنّه وصل من مَرَّاكش مُستدعًى لقتال العدوّ المتحرّك إلى البلاد، برغبة الملك المعتمد على الله أبي القاسِم محمّدِ بن عبّاد ؛ / لأنّه جاز البحر إليه ، فأنعمَ بالإجابة عليه ، لِمـَا أرادَ الله من [20 B]

---

(١) فى هامش الأصل : « يروى : بفندق الأندلس » .

(٢) حدثت معركة الزلاقة بين جيوش المعتمد وأمراء الأندلس والمرابطين و بين الفونس السادس ملك قشتاله . وكانت الدائرة على الفونس . وقد اختلفت المصادر العربية فى تحديد تاريخ هذه المعركة .

ففى وفيات الاعيان (٢ : ٤٨٤) أنها كانت يوم الجمعة ١٥ رجب سنة ٤٧٩ هـ . وفى الحلل الموشية (ص ٤٠) وروض القرطاس أنها كانت يوم الجمعة الثانى عشر من رجب سنة ٤٧٩ هـ . ويرى ابن الأثير (١٠ :) أنها كانت يوم الجمعة فى العشر الأول من رمضان سنة ٤٧٩ هـ . والمراكشى فى المعجب (ص ٤٠) يذكر أنها كانت يوم الجمعة الثالث عشر من رمضان سنة ٤٨٠ هـ . وفى شذرات الذهب (٣ : ٣٦٢) أنها كانت فى أول جمعة من رمضان سنة ٤٧٩ وانظر ديوان المعتمد بن عباد .

إخراجهم من الملك على يديه. ثمّ لمـّا كانت المقاتلة قُتل فيها من شجعان النّصارى ثلاثون ألف فارس ومن الرّجّالة مالا يُحصى،وبعيدٌ أن يُستقصى؛وفرّ أذفونش[1] ليلًا وهو يدعو حَرباً وويلَا . وفى ذلك يقول أبو محمّـدٍ عبدُ الجليل بن وَهْبون :

نضَا أدراعه واجتاب ليـــلًا يودّ لو انّه فى الطّول عَامُ

ستسألك النّســاء ولا رجالٌ فحــدّث «ما وراءك يا عصام»

فلمّا قُضيتْ غزَاتهم ، وعادت صُـقُورهم وبُزاتهم ؛ طمع المُلثّمون فى بلاد بنى المظفَّر ، فحوَّلوهم من العيش الأخضر ، إلى الموت الأحمر ؛ وحاصروهم وصابرُوهم . ودخلوا المدينـة بالسّيف ، وحكّموا فيهم أيدى الحَيف ؛ / ودخلوها [21 A] عليهم قهرا وقسرا ، وقتلوا الملـكَين الجليلَين ولدى المتوكّل صَبْرا ، وقدّموهما قبله لرغبته لهم فى تقديمهما بين يديه لينال أجرهما ويكونا فى ميزانه . فَقُدِّما عليه، وجعلوهُما منه بمرأى العين . وقام بعدهما كى يصلّى ركعتين فطعنُوه بالرّماح ؛ وقد اختلط كلامه فى صلاتِه ، حتّى أتَوا على نَفْسه ووفاته ؛ وكذلك غَلبوا على ملوك الأندلس الباقين ، ودخلوا إشبيليةَ قهراً ذاتِ الأنهارِ والبساتيـــن ؛ وأخرجُوا المعتمدَ على الله من قصره ، إلى كَبْله وأَسْره ، وفى ذلك يقول فى أبيات :

كَبْلى أما تَعــرفُنى مُسلما أبيت أن تُشفِق أو ترحماَ[2]

---

(١) يتردد اسم الفونسو (Alphonso) فى المصادر العربية القديمة مرة باسم أدفونس، وثانية باسم أذفونش كما هنا، وثالثة باسم الفونس .

(٢) فى ديوان المعتمد : «قيدى» . والبيت من أبيات قالها المعتمد حينما دخل عليه ابنه أبو هاشم فى الأسر بأغمات، وكان أصغر أولاده فارتاع لرؤية القيد .

وحملوه إلى أقصى العُدوة إلى مدينة أَغْمَاتَ[١]، فبقى فقيرا عديما أسيرا إلى أن مات . ثمّ سلّط الله على/ الملثّمين جماعةَ الموحّدين ، فأزالوا الملك من أيديهم ، [21 B] وتحكّموا فى أنفسهم وساحاتهم وناديهم ، فصلبُوا أمير المسلمين أبا مُحمّد تَاشفينَ[٢] بحصن العُبّاد[٣] خارج مدينة وهران ، وذلك ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان . ثمّ دخلوا مدينة مَرّاكش سنة إحدى وأربعين وخمسمائة بالحُسام المسلول، وتركوا القصور خاوية خَالية كالطُّلول،وحكّموا فى أعناق سلاطين الملثّمين ظُباةَ السّيوف وأسنةَ الرّماح ، وضربوا عُنق ولىّ عهد أميرِ المسلمين إسحاقَ بنِ علىّ بن يوسفَ ابن تاشفين بحدّ الصّفَاح ، وجَرت أنهار الدّم فى سكك المدينة ، وأزال الله جلّت قدرتهُ عنهم مُلاءَةَ السّكينة . ولمّا غلبهم الموحّدون ودخلوها ، واستولوا على جميع الدّيار وتركوها،/ بِيعَتْ الحُرةَ الجميلة بدجاجة ، حتّى تعلَمَ أن [22 A] ليس لهم بها من حاجة ، وذلك بالمغرب يوم مشهود ، علمه الغائبون والشّهود .

وقد رَثى ملوك بنى المظفّر الوزيرُ العالم المستبحرُ فى جميع الفنون ، أبو محمدٍ عبدُ المجيد بنُ عبد الله بنِ عبدون[٤] بقصيدته الفريدة المتضمِّنَة للتّواريخ والأنساب ، والحكم والآداب ، وهى ممّا يَعتبر بها أولو الألباب[٥] :

الدّهرُ يفجَع بعد العين بالأثرِ فما البكاءُ على الأشباح والصّور

أنهاكَ أنهاكَ لا آلوك موعظةً عن نومةٍ بين نابِ اللّيث والظُّفُر

---

(١) أغمات : قرب مراكش (معجم البلدان) . (٢) هو أبو محمد تاشفين بن على بن يوسف .

(٣) كان بظاهر وهران ربوة على البحر أعلاها رباط يأوى اليه المتعبدون . (المعجب) .

(٤) ستأتى ترجمته .

(٥) لأبى القاسم عبد الملك بن عبد الله بن بدرون الحضرمى شرح على هذه القصيدة يعرف بالبسامة ، مطبوع . فارجع اليه .

[22 B] فالدّهر حربٌ وإن أبدى مسالمةً — والبيضُ والسودُ[1] مثلُ البيضِ والسُّمُر

ولا هوادةَ بين الرّأس تأخذُه — أيدى[2] الضّرابِ وبين الصّارِمِ الذّكر

فلا يغرّنك[3] من دنياك نومتُها — فما صناعةُ[4] عينيها سِوَى السّهر

مَا لليالى أقالَ اللهُ عثرتَنا — من اللّيالى وخَانَتْها يَدُ الغِيَرِ

فى كلّ حينٍ لها فى كلّ جارحة — منّا جراحٌ وإن زَاغَت عن النّظر[5]

تَسُرُّ بالشّىء لكن كى تَغُرَّ به — كالأَيْمِ[6] ثَار الى الجانِى من الزَّهر

كم دولة وليَت بالنّصر خدمتَها — لم تُبق منها وسَلْ دنياك عن خَبر

[23 A] هوت بدَارا[7] وفلّت غَرب قَاتِلِه[8] — وكان عَضْبًا على الأملاك ذا أُثُر

واستَرجَعت من بنى ساسان ماوهَبَت — ولم تدع لبنى يُونَان من أثَر

وأتبَعت أختَها طسْمًا[9] وعادَ على — عادٍ وجُرهمَ مِنها ناقضُ المِرَر

وما أقَالت ذَوى الهيئات من يَمَن — ولا أجارَت ذوى الغَايات من مُضر

ومزّقت سَبأً فى كلّ قاصيةٍ — فما التقَى رائحٌ منهم بمُبتكر

---

(١) فى ابن بدرون : «فالبيض » والبيض والسود : هى الأيام والليالى . والبيض والسمر : هى السيوف والرماح .

(٢) فى الذخيرة والمعجب وشرح ابن بدرون : «يد الضراب» .

(٣) فى ابن بدرون : « فلا تغرنك » .

(٤) فى خطية الذخيرة (٢ : ٤٤٨) : « فما سجية » .

(٥) فى ابن بدرون : « عن البصر » . والبيت ساقط من الذخيرة .

(٦) الأيم : الحية .

(٧) دارا : آخر ملوك الفرس الأول .

(٨) هو الاسكندر المقدونى .

(٩) أخت طسم : جديس .

وأنفذت فى كُليب[١] حكمها ورمت ... مُهَلْهِلاً بين سمع الأرض والبَصر

ودوّخت آلَ ذُبيان[٢] وإخوتَهم ... عَبْسا[٢] ، وعَضَّت بنى بدر على النَّهر

ولم تَرُدَّ على الضِّلّيل[٣] صِحّتَه ... ولا ثَنَت أسدًا عن رَبِّها حُجُر

وألحقت بِعَدِيٍّ فى العراق[٤] على ... يَدِ ٱبْنه الأحمر العينين[٥] والشَّعَر

ـ وأهلكت أبرويزًا بٱبنه ورمت ... بيَزدجردَ إلى مَرْوٍ فلم يُحِر[٦]

وبلَّغت يَزْدَجِردَ[٧] الصِّينَ واختزلَت ... عنه سِوَى الفُرس جمعَ التُّرك والخَزَر

ولم تَكُفَّ[٨] مواضى رُسْتمٍ وقَنَا ... ذى حَاجِبٍ عنه سَعدًا فى ابْنَةِ الغِيَر

ـ يومَ القَليب بنُو بدر فَنُوا وسَعى ... قَلِيبُ بدرٍ بمن فيه إلى سَقَر

ومزَّقت جعفرًا بالبيض واختلست ... من غِيله حمزَةَ الظَّلَّامَ[٩] للجَزَر

وأشرفَت بخُبيب فوق فارعةٍ ... وألصَقت طَلحةَ[١٠] الفياضَ بالعفَر

وخَضَبَتْ شَيبَ عُثْمانٍ دمًا وخَطت ... إلى الزُّبيرِ ولم تَستَحِى من عُمر

---

(١) هو كليب بن ربيعة الذى كان يقال فيه أعز من كليب وائل . ومهلهل : أخوه . يشير إلى مقتل مهلهل فى موضع لم تطلع عليه عين أحد ولم يسمع به .

(٢) ذبيان وعبس أخوان وكانت بينهما حرب داحس والغبراء التى دامت أربعين سنة . وبنو بدر، من ذبيان .

(٣) هو امرؤ القيس بن حجر (ويشير إلى موته مسموما بالثوب الذى أهداه إليه قيصر ملك الروم) وفى الذخيرة « وما أعادت » .

(٤) فى شرح القصيدة « بالعراق » .

(٥) فى الشرح والمعجب: « أحمر العينين » . يعنى النعمان صاحب النابغة الذبيانى .

(٦) هذا البيت ساقط من الشرح ومن الذخيرة .

(٧) هو ابن شهريارا ، وهو آخر من ملك من الفرس .

(٨) فى شرح ابن بدرون والمعجب : « ترد » .

(٩) جعفر هو ابن أبى طالب . وحمزة، هو ابن عبد المطلب .

(١٠) خبيب، هو ابن عدى الأنصارى ، شهد بدرا . وطلحة ، هو طلحة بن عبيد الله التيمى ، أحد العشرة الذين شهد لهم النبى صلى الله عليه وسلم بالجنة .

ولا رَعت لأبى اليَقْظان صُحبَتَه   ولم تُزَوِّده إلّا الضَّيح فى الغُمَر[١]

وأجْزَرَت سيف أشقاها أبَا حسنٍ[٢]   وأمْكَنَتْ من حُسين راحَتَى شِمْر

وليتَها إذ فَدَت عمراً بخَارجَةٍ   فَدت عَلِيًّا بمن شاءَت من البَشر

وفى ابنِ هند[٣] وفى ابن المصطفى حَسَنٍ   أتت بمُـذهِلة[٤] الألباب والفِـكَرَ

فبعضُنا[٥] قائلٌ : ما اغتاله أحدٌ   وبعضُنا ساكتٌ لم يُؤْت من حَصَر

وأرْدَت ابنَ زيادٍ[٦] بالحُسين فلم   يَبُؤْ بِشِسْعٍ له قد طاحَ أو ظُفر

وعَمَّمت بالظُّبا فَوْدَىْ أبِى أنسٍ   ولم تُرَدَّ الرّدى عنه قَنا زُفَر[٧]

وأنْزلَت مُصْعَبًا[٨] من رأس شاهقةٍ   كانت به مُهجة المختار فى وَزَر

ولم تُراقب مكان ابن الزُّبير[٩] ولا   رَعَت عياذَتَه بالرُّكن[١٠] والحِجَر

ــ وأعْمَلَت فى لَطيم الجنّ حيلتَها   واستوثقَت لأبى الذِّبّان[١١] ذى البَخر

ولم تَدع لأبى الذّبّان قائمــةً   ليس اللّطيمُ لهـا عمرُو بمُنتصِر

ــ وأحْرقَت شلْو زَيدٍ بعد ما احترقت   عليه وجدًا قلوبُ الآى والسّور

---

(١) أبو اليقظان : عمار بن ياسر . والضيح : اللبن الرقيق . والغمر : القدح الصغير .

(٢) أبا حسن : على بن أبى طالب . وأجزرته جعلته كالجزور يذبح . وأشقاها : عبد الرحمن بن ملجم . وشمر : هو شمر بن ذى الجوشن الذى أرسله يزيد الأموى لقتال الحسين بن على .

(٣) هو معاوية بن أبى سفيان .

(٤) فى شرح ابن بدرون : « بمعضلة » . (٥) فى الذخيرة : « فبعضها » .

(٦) هو عبيد الله بن زياد دعى بنى أمية وهو الذى وجه بعمر بن سعد لقتل الحسين .

(٧) أبو أنس ، هو الضحاك بن قيس الفهرى . وزفر : هو ابن الحارث . وكان مع الضحاك يوم مرج راهط لحرب مروان بن الحكم . وفيه قتل الضحاك .

(٨) هو مصعب بن الزبير . والمختار ، هو ابن أبى عبيد الثقفى . وشاهقة : يريد الكوفة . يشير إلى مقتل مصعب والمختار .

(٩) هو عبد الله بن الزبير . وكان قد عاذ بالبيت . (١٠) فى ابن بدرون : « بالبيت » .

(١١) لطيم الجن : هو عمرو بن سعيد الأشدق . يشير إلى مقتله على يد عبد الملك بن مروان أبى الذبان .

وأظفَرت بالوَليد[1] بنِ اليزيد ولم ... تُبق الخلافةَ بين الـكأس والوَتَر

حبَابةٌ حبُّ رمّان أتيحَ لهـا[2] ... وأحمرٌ[3] قطَّـرته نفحةُ القُطر

ولم تَعُـدْ قُضُبَ السَّفّاح[4] نابيةٌ ... عن رأس مروانَ[5] أو أشياعه الفُجُر

وأسبلت دمعةَ الرُّوح الأمين على ... دمٍ بفَخٍّ لآل المصطفى هَدَر[6]

وأشرقت جعفرًا والفضلُ ينظاره ... والشَيخ يحيى بكأس الصّاب[7] والصّبر

وأخفَرت في الأمينِ[8] العهدَ وانتدَبت ... لجعفرٍ[9] بابنه والأعبُدِ الغُدُر

ولا وَفَت بعهـود المستعين[10] ولا ... بمـا تأكّد للمعتز[11] من مِرَر

وأوثقت فى عراها كلَّ مُعتمد[12] ... وأشرقت بقذاها كلَّ مُقتدر[13]

وروّعَت كلَّ مأمُون[14] ومؤتمن ... وأسلمت كلَّ منصـور ومنتصر

وأعثرت آل عبَّاسٍ لعـالِهم ... بذَيلِ ريَّاءَ من بيضٍ ومن سُمُر[15]

---

(١) هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك . والبيت الذى بعده ساقط من الذخيرة وابن بدرون .

(٢) حبابة : جارية مغنية كانت ليزيد بن عبد الملك . يشير إلى شرقها بحبة رمان فاتت منها .

(٣) كذا فى الأصل . (٤) هو عبد الله بن محمد بن على ، أول من أقام الدولة العباسية .

(٥) هو مروان بن محمد ، آخر خلفاء بنى أمية .

(٦) فخ : واد بمكة . به كان مقتل أبى عبد الله الحسين بن على بن الحسن بن على بن أبى طالب سنة ١٦٩ هـ . وذهب ابن بدرون إلى أنها « طف » . وهى أرض من ناحية الـكوفة . وبها كان مقتل الحسن بن على .

(٧) فى ابن بدرون والمعجب والذخيرة : « والشيخ يحيا بريق الصارم الذكر » . يشير إلى مصرع البرامكة : يحيي وابنيه جعفر والفضل .

(٨) هو محمد بن هارون الرشيد . ويريد بالعهد : العهد الذى كان أخذه الرشيد للأمين على المأمون وللمأمون على الأمين ، بألا يغدر أحدهما بصاحبه .

(٩) هو جعفر بن المعتصم « المتوكل » قتله ابنه المنتصر . والأعبد الغدر : هم الأتراك الذين تواطئوا مع المنتصر على قتل أبيه المتوكل . (١٠) هو أحمد بن المعتصم . (١١) هو ابن المتوكل العباسى .

(١٢) هو أحمد بن المتوكل . (١٣) هو جعفر بن المعتضد .

(١٤) المأمون : هو عبد الله بن هارون الرشيد . والمؤتمن ، هو القاسم أخوه وقد أزاله المأمون عن العهد لما ولى ، فروعه كل الترويع . وأول من تسمى المنصور ، هو هشام بن عبد الملك . ومات من ذبحة أصابته . والمنتصر هو محمد بن المتوكل مات بعد قتله أباه بشهر .

(١٥) يشير إلى تقلب الأتراك على ملوك بنى العباس . و« بذيل رياء ... » أى داهية ريا من السيوف والرماح . والذى فى الأصل : « بذيل زباء لم تنفر من الذعر » .

بنى المظفَّر والأيّامُ ما برحت مراحلاً[1] والورَى منها على سَفَر
سُحقاً ليومكم يوماً ولا حملت بمثله ليلَةٌ فى غَابِر[2] العمر
من للأَسِرّة أو من للأعنّة أو من للأسنّة يهديها إلى الثُّغَر
من للظُّبا وعوالى الخط قد عُقدت أطرافُ ألْسُنها بالعِيِّ والحَصر
وطُرِّزَتْ بالمنايا السُّود بيضُهم أعجبْ بذاك وما منها سوى الذِّكر
من لليَراعة أو من للبراعة أو من للسّماحة أو للنّفع والضّرر[3]
أو دفع كارثة أو ردع رَادِفَةٍ[4] أو قمع حَادثة تُعيِي على القَدر
ويحَ السَّماح وويحَ البأس لو سلما واحسرةَ الدّين والدّنيا على عمر
سَقَت ثَرى الفضل والعبّاس هاميةٌ تُعزى إليهم سَمَاحًا لَا إلى المَطرِ
ثلاثةٌ ما ارتَقى النَّسران حيثُ رَقُوا وكُلُّ ما طَار من نَسْر ولم يَطِر
ثلاثة ما رأى العصران مثلهمُ فضلا ولو عُزِّزَا بالشمس والقَمر
ثلاثة كذوات الدَّهر مُنْذُ نأَوْا عنّى مضى الدَّهر لم يربع ولم يَحُر
ومرَّ من كلّ شىء فيه أطيبُه حتى التمتُّع بالآصالِ والبُكَر
أين[5] الجلال الذى غَضَّت مهابَتُه قلوبَنا وعيونَ الأنجُمِ الزُّهُر
أين الإباءُ الذى أرسَوْا قواعِدَه على دَعائمَ من عِـزّ ومن ظَفَر

---

(١) فى الأصل : « لا زلت * مراحل » .

(٢) فى ابن بدرون : « مقبل » . وفى الذخيرة : « سالف » .

(٣) هذا البيت ورد فى ابن بدرون تاليا لقوله : « من للأسرة » .

(٤) فى ابن بدرون : « آزفة » .

(٥) فى ابن بدرون : « من الجلال الذى عمت » .

أين الوفاءُ الذى أصْفَوا شرائعه ... فلم يَرِد أحدٌ منها على كَدَر

كانوا رَواسى أرض الله مُنذ نَأَوْا ... عنها استَطارَت بمن فيها ولم تَقِر

كانُوا مصابيحها فيها فمنذ خَبوا ... هَوَى الخليقةُ يَاللهِ فى شَرَر[١]

[27 A]

كانوا شَجَى الدهر فاستهوتهم خُدَعٌ ... منه بأحلام عادٍ فى خُطا الخطر

ويلُ آمّه من طَلوبِ الثأر مُدرِكه ... منهم بأُسْدٍ سواهم فى الوغى صُبُرُ[٢]

مَن لى ومن لهمُ[٣] إن أظلمت نُوَبٌ ... ولم يكن ليلُها يُفضى إلى سَحَر

من لى ومن لهمُ[٣] إن عطِّلت سُنن ... وأُخْفِيَتْ ألسن الآثار والسِّير

من لى ومن لهمُ[٣] إن أُطبقَت محنٌ ... ولم يكن وِرْدها يدعو إلى صَدَر

على الفضائل إلّا الصّبرَ بعدَهم ... سلامُ مُرتقب للأجرِ مُنتَظر

يرجُو عَسى، وله فى أختها أمل[٤] ... والدّهُر ذو عُقَب شَتَّى وذُو غِيَر

[27 B]

قرّطت آذانَ من فيها بفاضِحَةٍ ... علَى الحسَانِ حصَا الياقوت والدُّرَر

سيارةٍ[٥] فى أقاصى الأرض قاطعةٍ ... شَقَاشِقًا هَدرَت فى البَدْو والحَضَر

مُطاعةِ الأمرِ فى الألبابِ قاضيةٍ ... من المسامع ما لم يُقْضَ من وطَر

---

(١) البيت فى المعجب : كانوا مصابيحها فذ خبوا عثرت ... هــذى الخليقة يالله فى سرر .
ولم يرد هذا البيت والبيتان بعده فى الذخيرة.

(٢) ورد هذا البيت فى شرح ابن بدرون هكذا :
ويل امه من طلوب الثأر مدركه ... لو كان دنيا على ليان ذى عثر

(٣) فى الأصل : "من لى ولا من بهم "

(٤) فى ابن بدرون: « طمع » .

(٥) كذا فى المعجب. وفى الأصل : « شهاقة » .

السلطان المعتصم بالله

أبو يَحيى محمَّدُ بن أبي الأحوص معنِ بن أبي يحيى محمَّدِ بن صمادح التُّجيبي، منسوب إلى امرأة اسمها تُجيب، بنتُ ثَوبان بن سُليم بن رُهاء، بالرَّاء، من مَذْحِج، إليها يُنسبون. وهي أمّ عَدىّ وسعدٍ، ابنَى أشْرسَ بنِ كِندة، واسمه ثَورُ بن عُفير بن [28 A] [عدىّ بن الحارث بن] مرَّة بن أُدد بن زيد بن يَشْجب\ بن عَريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يَشْجب بن يعرب بن قحطان .

وقد اختلفَ النّاس في ضبط هذا الحرف، بعد اتّفاقهم أنه نُسب إلى هذه المرأة، فقالوا : إنه بضَم التّاء، وبه نطَقت العرب . وكثير من الأدباء والمحدّثين يفتحون التّاء . وقال أبو مروانَ بنُ سِرَاج[1] : « الفتحُ وحده » . وزعَم أن التّاء أصليَّة وليست للمضارعة، ولذلك أثبته صاحب كتاب العَين في حرف التّاء، إلّا أنّه قال : «تَجيب وتُجُوب، قبيلةٌ» وقال أبو محمّد بن السِّيد النّحوى[2] : «أنا أذهب إلى صحّة الوجهين، مع كون التّاء مزيدةً، من جاب تجوب وتجيب» .

وبنو صُمادحٍ، بيتُ العلوم الفائقة، والآداب الرائقة .

[28 B] يروى عن أبيه أبي\ الأحوص معنٍ، عن أبيه أبي يحيي محمدِ بن صُمادح، مختصرَ غريب تفسير القرآن للطّبرى . حدّثنى به الفقيه المحدّث الصّالحُ أبو محمدٍ

---

(١) هو أبو مروان عبد الملك بن سراج بن عبد الله بن سراج، كان إماما فى حفظ اللغات واللسان، وله استدراك على كثير من الدواوين والكتب، ككتاب البارع لأبى على، والنبات لأبى حنيفة، وغيره. ولد سنة ٤٠٠ هـ وتوفى سنة ٤٨٩ هـ. (بغية الملتمس ت ١١٦٨ — والذخيرة ١ : ق ٣٦٥) .

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسى النحوى . كان عالما بالأدب واللغات متبحرا فيهما، متقدما فى معرفتهما و إتقانهما . سكن بلنسية فكان الناس يجتمعون اليه و يقرءون عليه . وكان حسن التعليم جيد التفهيم . ألف كتبا نافعة، منها : كتاب الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب، وكتاب المثلث، وشرح سقط الزند لأبى العلاء، وكتاب الحلل فى شرح أبيات الجمل، وغير ذلك . ولد سنة ٤٤٤ هـ ببطليوس وتوفى ببلنسية سنة ٥٢١ هـ (ابن خلكان ١ : ٢٧٥) .

عبدُ الله بنُ محمّدِ بن عبيد الله ، قال : حدّثني الفقيهُ المحدث الإمام أبو عبد الله محمدُ بنُ حُسين يعرف بأحدَ عشر[١] — قال : حدّثنا الفقيهُ الإمام أبو إسحاق ابراهيمُ بنُ أسودَ[٢] الغَسّانيّ عن السّلطان أبي يَحيي محمد بن أبي الأحوصِ معنٍ ، عن أبيه أبي يحيي محمدِ بن صُمادح ، مختصرَه .

وقال مطرٌ الورّاق[٣] في قوله جَلّ وعلا : (وإنّه لذكرٌ لكَ ولِقَومِكَ):هو أن يقول الرجل : حدّثني أبي عن جدّي .

وقال ابن أبي الحسن البصري[٤] : «حدّثوا عن الأشراف ، فإنهم لا يرضون أن يدنّسوا شرفهم بالكذب ولا بالخيانة » . /والأشراف في اللّغة الأعيان من [29 A] أي القبائل كانوا .

وأنشدنا غيرُ واحد بالسّند المذكور آنفا عن الفقيه أبي إسحاق بنِ أسود وغيره، قالوا : أنشدنا السلطان المعتصم لنفسه :

يا مَن بجسمي لبعده سقَمٌ ما منه غيرُ الدّنوّ يبريني
بين جفوني والنّوم مُعتَرَكٌ تَصغُرُ عنه حروب صفّين
إن كان صرفُ الزمان أبعدني عنك فطيفُ الخيال يُدنيني[٥]

---

(١) هو محمد بن حسين بن أحمد بن محمد ، من أهل الفضل والزهد والفقه ، محدث يروى عن أبي علي الغساني وغيره . وكان ورعا فاضلا ، إذا مشى في الطريق لم يسلم على أحد لأنه كان لايرفع عينيه من الأرض . توفي سنة ٥٣٢ هـ (بغية الملتمس ت ٨٧) .

(٢) هو إبراهيم بن أحمد بن محمد بن أسود الغساني ، من أهل بجاية . وكان من أهل العناية بالعلم ، مشهورا بالصلاح والفهم متواضعا . توفي سنة ٤٦٧ هـ (الصلة ت ٢١٢) .

(٣) هو مطر بن طهمان الوراق أبو رجاء الخراساني : توفي سنة ١٢٥ هـ وقيل سنة ١٢٩ هـ (تهذيب التهذيب) .

(٤) هو أبو سعيد الحسن بن يسار ، تابعي . كان إمام أهل البصرة . توفي سنة ١١٠ هـ (تهذيب التهذيب . وفيات الأعيان . حلية الأولياء) .

(٥) الشعر في الخريدة (١١ : ١٧٢)

وله رحمه الله فى بركة ماء بناها فى الصُّماد حية[1] ،وقد حضَر فى مجلسه أعيانُ الوزراء ، ونُبهاء الشّـعراء ، وهو قاعدٌ على موضع يتداخلُ المـاء فيه ، ويتلوّى فى نواحيه ، فقال :

أُنظرْ إلى حُسن هذا المـاء فى صَبَبه　　كأنّه أَرْقَمٌ قـد جدَّ فى هَرَبِهْ

[29 B] / فاستبدع الكلُّ قوله ، نخلع عليهم ومنَحَهم فضلَه وطَوْلَه — والأرقم : من أسماء الحيَّة — وله أيضا فيها :

كأَنَّ انسياب المـاء فى صفحاتها　　حُسامٌ ثقيلُ المتن سُلَّ من الغمْد
تفورُ بها[2] فوّارةٌ مسـتديرةٌ　　لهـا مُقلةٌ زرقاءُ موصولَةُ السّهد
أدَرْنَا بهـا كأسًا كأنَّ حَبابها　　حَبابُ سَقيط الطّلِّ فى ورَق الورد
لهـا فى غَدير المـاء[3] لألآءُ جَمْرَةٍ　　حكت نَار إبراهيم فى اللون والْبَرْد

وله :

الرّوضُ يَشرب والأنوار تنسكبُ　　والشّمس تظهر أحيانًا وتحتجبُ
وللبَهـار على أفنـانه زَهَرٌ　　كأنّه فضَّـةٌ من فوقهـا ذَهَب

[30 A] / قال ذو النّسبين رضى الله عنه : أهلُ الأندلس يسمّون النَّرجس البهار واسمه فى اللّغة العَبْهر .

---

(١) هى قصور المعتصم بن صمادح . (انظر النفح ٤ : ٣٣٨)

(٢) فى خريدة القصر (١١ : ١٧١) : « به » .

(٣) فى الخريدة : « سقيط الطل » .

ودخل الأريب الأديب أبو الوليد النَّحْلى[1] مدينة المريَّة، يرفل فى أثواب سود زريّة ، فكتب إلى السّلطان :

أيا مَن لا يُضاف إليه ثانٍ ... ومَن ورث العُـلَا باباً فَبَابَاَ
أيجمُل أن تكون سَوادَ عَينِى ... وأُبْصر دون ما أبْغى حِجـابا
ويمشِى الناس كلهم حَمَـامًا ... وأمشِى بينَهم وحْدِى غُرابا

فبعث إليه من المـال جملة وافرة ، ومن البياض خلعـة فَاخرة ، وكتب له رقعة فيها بيتان :

وردتَ ولِلَّيل البهيم مطارفٌ ... عليكَ وهَذى للصَّباح بُرودُ
وأنتَ لدينَا ما بقيتَ مُقَرَّبٌ ... وعيشُك سلسال الجِمَام بَرود

/ السلسالُ : الصافى العذب، يقالُ: ماء زلالٌ وسلسال ، إذا كان صافيا عذبا. [30 B]
والجمام ، بكسر الجيم : جمع جَم وجمَّة ، وهو المـاء المجتمع .

وأنشدونا لابنه الأمير أبى جعفرٍ رحمهما الله[2] :

كتبتُ وقَلبى ذُو اشتياقٍ ووحشةٍ ... ولو أنَّه يستطيعُ مرَّ يُسَـلِّمُ
جعلتُ سوادَ العين فيه مدادَه[3] ... وأبيضَـه طِرسًا وأقبلت ألثم
تخيّل[4] لى أنّى أُقبّـل موضعا ... يُصـافحه ذاك البنانُ المكرّم[5]

---

(١) فى الأصل : « البجلى » . وما أثبتنا عن النفح (٤ : ٣٠٧) والذخيرة (٢ : ٢٤٢)

(٢) قال المقرى فى النفح بعـد ذكره عز الدولة ورفيع الدولة ابنى المعتصم بن صمادح : « وأما أخوهما أبو جعفر بن المعتصم فله ترجمة فى المسهب والمطرب والمغرب » . ثم ساق هـذه الأبيات .

(٣) فى النفح : «سواده» .

(٤) فى الأصل «يخيل» وما أثبتنا من النفح .

(٥) فى النفح «المسلم» .

قال ذو النّسبين رضى الله عنه : وهذا عندى من قول أبى إسحاق الصّابى:

لما وضَعت صحيفتى ... فى بَطن كفّ رسولِهَا

/ قبّلْتُهـا لتَمَسّهـا ... يُمناكَ عند وُصُولِهـا

وتودّ عَيْنِىَ أنّهـا ... قُرِنت ببعض فُصولِهـا

حتى تَرى من وجهك الـ ... ـميمون غايةَ سُولِهـا

[31 A]

الملك الراضى بالله أبو خالد[1]

يَزيدُ[2] ابن المعتمد على الله بنُ أبى القاسم عَباد، وقد مرَّت عليه هوادج وقباب، فيها له أخدانٌ وأحباب، وجّهوا على وجه الهديّة إلى برّ العدوة، وقد كان يُلِم بهنَّ فى صباه إلمام قريش بدار النَّدوة؛ فقال ارتجالا، وأنشد سحرا حلالا :

مروا بنا أُصُلًا من غير ميعادِ ... فأوقَدُوا نار شوقِى أىَّ إيقَادِ

وأذكرونِىَ أيّاماً لهَوتُ بهم ... فيها ففازوا بإيثارى وإحمادى

/ لاغَرو أن زَادَ فى وجْدى مرورُهم ... فرؤيةُ الماء تُذكى غُلّةَ الصادِى

[31 B]

صَدِى يَصدى، فهو صادٍ وصدٍ، إذا عطش . ورجل صَديان : عطشان . والغلّة، واللّوب، بفتح اللّام؛ واللُّوح، بضمّ اللّام؛ والجُواد، بضمّ الجيم بلا همز : كلّ ذلك من أسماء العطش . وقد جمعناها فى غير موضع .

---

(١) كان والى الجزيرة الخضراء من قبل أبيه قبيل اجتياز يوسف بن تاشفين للأندلس . وكان والى رندة الى سنة ٤٨٤ هـ وظل معتصما بها مدافعا عنها الجيش الثانى ليوسف بقيادة جرور اللتونى إلى أن قتل فيها بعد أخيه المأمون بقليل . والذى فى الأصل : «أبو حامد» .

(٢) فى الأصل : «زيد» تحريف .

الحاجبُ ذو الرّياستين

أبو مروانَ عبدُ الملك بن رَزِين ، ورث الملك كابراً عن كابرٍ ، من مُلوك من أسلافه ، أرباب أسِرّة ومنابر . وذو الرّياستين زاد عليهم بأدب أبهى من الروض الأريض ، ومنظومٍ بديع من القريض . فمن شعره قوله يخاطب ذا الوزارتين أبا بكر محمّدَ بن عمّار[1] ، وكان ضيفاً عنده :

[32 A] /ضَمانٌ على الأيّام أن أبلغَ المُنى ... إذا كنت فى وُدّى مُسِرّاً ومُعْلِناَ

فلو تسألُ الأيّامُ من هو مفردٌ ... بِوُدّ ابن عمّارٍ لقُلتُ لها أنا

فإن حالَت الأيامُ بينى وبينه ... فكيف يَطيبُ العيشُ أو يحسنُ المنى[2]

فلم يُجبه ابن عمّار فى يومه ، لأنّه كان يُعانى قوله ويُعَلِّلُه، ويُرَوِّيه ولا يَرتجله. وأتَى به فى اليوم الثانى بأعذب الألفاظ وأرق المعانى ، وهو :

هَصَرْتَ لى الآمالَ طيبةَ الجنَى ... وسوّغتَ لى[3] الأحوالَ مُقبلةَ الدُّنا

وألبَستَنِى النُّعمَى أغضَّ من النّدى ... وأجْمَلَ من وشى الرَّبيع وأحْسَنَا

وكم ليلةٍ أحظَيْتَنِى بحضورها ... فبتُّ سميرًا للسَّناءِ وللسَّنا

أُعَلِّلُ نَفسى بالمكارمِ والعُلَا ... وأُذْنِى وكَفِّى بالغِنَاءِ وبالغِنَى

[32 B] / سأقرِن بالتّمويلِ ذكرَكَ كلّما ... تعاوَرَتِ الأسماءُ غيرَك والكُنَى

---

(١) ترجم له المؤلف (ص ١٦٩) من هذا الكتاب .

(٢) الشعر فى القلائد (ص ٥٢) .

(٣) فى القلائد : « وسوغتنى » .

لأوسَعتَنى قولًا وطولًا كلاهما   يُطوِّق أعناقًا ويُخرس ألسُنا
وشَرَّفتنى من قطعةِ الرَّوض بالَّتى   تَنَاثر فيها الطَّبعُ وردًا وسُوسنا
تروقُ بجيدِ المُلك عقدًا مُرصَّعا   وتُزهَى على عِطفَيه وشيًا مُفَنَّنا[1]
فدُم هكذَا يافارس الَّدست والوغى   لتَطعن طورًا بالكلام وبالقَنا[2]

قوله «لَلَّسناء ولَلسنا» . السناء ، بالمد : المجد والشرف . والسَّنا ، مقصور : الضوء ، قال الله العظيم : (يَكَادُ سَنَا بَرقِه يَذْهَبُ بالأبْصَار).

وقوله « وأُذنى وكفّى بالغِناء\و بالغنَى » الغناء ، بالمدّ : الصّوت . قاله اللغويّون ، [33 A] فيما أنشدنيه اللغوىُّ النّحوى القاضى العدْلُ أبو الحسن علىّ بن أحمد الأُمَيِّى[3] :

غناءُ الصَّوت ممدودٌ   بما يستجلبُ الطّربَ
وكلُّ غنى فمقصورٌ   كذا نطقت به العربُ

والغنى : ضدّ الفقر ، ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس الغنى عن كثرة العَرَض » بفتح العين والراء ، يعنى كثرةَ المال والمتاع ، وسُمّى عرضا ، لأنه عارضٌ يعرض وقتًا ، ثمّ يَزُول ويَفنى . ومنه قوله أيضا : « خيرُ الصّدقة ما كان عن ظهرِ غنًى » . قيل معناه : الصّدَقَةُ بالفضل عن قوت عيالهم وحاجتهم . ويُقوّيه قول الله عزّ وجلّ : (ويسألونَك ماذا يُنفقون قل العفو) . قيل : الفضل عن أهلك .

---

(١) فى القلائد : « معينا » تحريف .
(٢) فى القلائد : « لتطعن بالأقلام فيها وبالقنا » .
(٣) انظر بغية الوعاة (ص ٣٢٨) .

[33B] /وقوله: «تناثَرَ فيها الطّبع وردًا وسوسنا» بضم السّين، وهو لَحْن ، وليس له فى العربيّة وزن ، والصّواب: سَوسن، بفتح السّين، على وزن فَوْعل بفتح الفاء، وكذلك روشن وأمثاله، نحو جوهر وجَورب وكَوثر وتَولب ، إذ ما سُمع فى أمثلة العرب فُوعل، إلّا جؤذَر فى قول بعضهم [1] . والدَّست : المرتبة العالية .

***

ومن أعيان شعراء المغرب الرّاسخين فى الأدب ، المتمّسكين منه بأمتن سبب، أبو الطَّيِّب أحمدُ بنُ الحسين بن محمدٍ المهدويُّ المَسيليّ [2] له مقطَّعات غَزِلٍ أحسن من قِطع الرّياض ، وأغزل من العيون المِراض . وكان شعرُه مدوّناً بالثّغر الأعلى بمدينة سَرَقُسْطة . انفرَدَ بروايته/ عالمُها وحسيبُها الفقيهُ العالمُ النّحوى الأصولىُّ [34A] المتكلّم أبو جعفرٍ محمدُ بنُ حَكَم بنِ باقٍ السَّرقسطى — وجدُّه الأعلى محمدُ بنُ باق ، مَلِك مدينة سالم [3] — استوطن آخراً مدينة فاس ، وولى أحكامَ القضاء بها . وكان محمودَ الحال ، حسنَ الخلق ، قوّالًا بالحقّ إلى أن تُوفّى فى العشر الأواخر من شعبان سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ، أجاز له [4] الفقيه الإمام القاضى أبو الوليدُ الباجى [5]

---

(١) انظر الحاشية (رقم ١ ص ٤) من هذا الكتاب .

(٢) نسبة إلى المسيلة ، بالفتح ثم الكسر : مدينة بالمغرب تسمى : المحمدية ؛ اختطها أبو القاسم محمد بن المهدى سنة ٣١٥ هـ .

(٣) مدينة بالأندلس تتصل بأعمال باروشة ، و باروشة تقع فى الغرب من سرقسطة .

(٤) أى لأبى جعفر محمد بن حكم بن باق .

(٥) هو سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب ، كان من علماء الأندلس وحفاظها ، سكن شرق الأندلس ورحل الى المشرق سنة ست وعشرين وأربعمائة ، فأقام بمكة ثم ببغداد يدرس الفقه والحديث ثلاثة عشر عاما . وله من التصانيف : كتاب أحكام الفصول فى أحكام الأصول ، وكتاب التعديل والتجريح ، وغير ذلك . ولد سنة ٤٠٣ هـ ببطليوس وتوفى بالمرية سنة ٤٧٤ هـ . (ابن خلكان ١ : ٣٠٤) .

واللّغوىّ النّحوىُ الإمام أبو القاسم ، وأبو محمـــد عبد الدّائم بن مروان بنِ خير القَيروانى ، نزيلُ مدينة المَرِيَّة . روى بالبصرة عن أبى الحسين محمدِ بن الحسين ، سنة ستٍّ وعشرين وأربعمائة ، عن هلال بن المحسّن . ولقى المعرّى ســنة ثلاث [34B] وعشرين وأربعمائة وقرأ عليــه ،/وسمع بالأندلس على جمـاعة . وحمل الإمامُ أبو جَعفر بنُ باق ببلده سَرَقسطة عن الفقيه القاضى بها أبى محمدِ بن فُورتَش[١]، وأبى عمرَ أحمدَ بنِ مروانَ المـالـكى ، قرأ عليه كتبَ أبىِ المعالى . وروَى عن أبى سعدٍ محمدِ بنِ سعد الزَّعيمىّ[٢] البغدادىّ ، طرأ على الأندلس وهو مُسِنٌّ . وروى عن الشَّريف المرتَضَى ؛ أخى الشريفِ الرَّضى ؛ القصيدة الّتى أولها :

* ياظبيةَ البان تَرعى فى خمائله[٣] *

مع جميع ما رواه عن الشّريف وعن غيره . وروى شعر أبى العَرب الصِّقلىّ. وكان أبُو العرب قد سكَن سرقسطة ، ومدح المستعينَ بن هود بشعرٍ كثير.وروى أيضا عن أبى جعفر البُطْرُوشِى[٤] ، والوزيرِ أبى الفوارس بن عاَصِم ، والوزير [35 A] أبى عُبيد البكرى،/وغيرهم .

---

(١) هو عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن فورتش . ولد سنة ٤٢٤ هـ وتوفى سنة ٤٩٥ هـ . (بغية الملتمس ت ٨٩٤)

(٢) انظر الصلة (ت ١٢٠٥) .

(٣) فى الأصل : « خمائلها » وما أثبتنا عن الديوان . وعجزه :

* ليهنك اليوم أن القلب مرعاك *

(٤) هو أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن محمد المـالكى، نسبة إلى بطروش، بالكسر ثم السكون وفتح الراء وسكون الواو وشين معجمة : بلدة بالأندلس . قال السلفى : هى مدينة فحص البلوط . وكانت وفاة البطروشى سنة ٥٤١ وقيل : سنة ٥٤٤ هـ . (ياقوت . و بغية الملتمس ت ٤٣٤ . والصلة ١٧٨) والذى فى الأصل : «أبى عمر البطروجى» .

أقرأ أبو جعفر هذا بمدينة فَاس كتاب سيبويه وكتاب الإيضاح ، وتكلَّم على أعيان مسائله ، وعلى جملة أبياته وشواهده ، وشرح كتاب الإيضاح لأبي علي . وكان في النّحو والأصول لا يُشقّ غُباره ، ولا يخاض تيّاره . وله تأليف في علم الجدل .

حدّثني عنه جماعة من شيوخي رحمهم الله فأولهم ، وأفضلهم قاضي الجماعة،ومَعْدِن البراعة،المَتَفَنّن في جميع العلوم،والمحسن إلى كلّ مجهول ومعلوم . الفقيه الزّناتي الذي فاق متقدّم الفقهاء الأوائل،وأعيا سحبان وائل،أبو موسى عيسى ابنُ عمرانَ بنِ دانال الزّناتي المِكناسي الوَرْدَميشيّ[1]،من ولد الملك أبي عمرانَ موسى ابنِ أبي العافية.وبنو أبي العافية هم الذين كانوا ملكوا المغرب/ الأقصى،وفضائله [35 B] أكثر من أن تحصى ، فكم حلّى رحمه الله من جيدٍ معطالٍ،وعَطَّر من متفال[2]، وأنهض من ثَفال[3] ، وجدّد من شرفٍ بال،لم يخطر للدّهر على بال :

تالله لا يأتي الزّمانُ بمثله إنَّ الزّمان بمثله لبخيلٌ

لقي جماعةً من العلماء، منهم الفقيه أبو يوسف الزّناتي الملقب بالرّحى،لحفظه . وكان يحفظ دواوينَ ،منها:المدوّنة[4]،وكتابُ الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار[5]. فقرأ الفقــه عليه ، وقرأ موطأَ مالك بنِ أنس من روايةِ يحيي بن يحيي على قاضي

(١) سيذكر المؤلف ميلاده ووفاته في الصفحة التالية .

(٢) المتفال : المرأة تترك الطيب فينتن ريحها .

(٣) الثفال، بالفتح : البطيء الثقيل الذي لا ينبعث إلا كرها .

(٤) المدونة ، في فروع المالكية ، لأبي عبد الله عبد الرحمن بن القاسم المالكي ، المتوفى سنة ١٩١ هـ .

(٥) ذكر حاجي خليفة كتاب : الاستذكار لمذاهب أئمة الأمصار وفيما تضمنه الموطأ من المعاني والآثار، للحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي المتوفى سنة ثلاث وستين وأربعمائة .

القضاة الفقيه أبي محمّد عبد الله بن خليفة الأزديّ ، يعرف بابن أبي عُرجون[١] ،
وقرأ النّحو على الأستاذ أبي عليّ حسن بن عبد الله القيسى ، ثمّ رحل إلى مدينة
[36 A] فاس ،/ فلقى الفقيـــهَ النّحويَّ الأصوليّ المتكلّم أبا جعفرٍ محمدِ بنِ حكمِ بنِ باقٍ
المذكور آنفا ، ولقى بأغَرْناطة النّحويَّ الكبير أبا بكرٍ محمّدَ بن مَسْعُود الخُشَنى ،
يعرف بأبى ركب[٢]. ثمّ رحل إلى المريّة ، فلقى إمام أهل عصره ، وزينَ جميع
الأمصار مع مصره ، أبا القاسم أحمدَ بن محمّدٍ التّميمى[٣] ســبْطِ ابن وَرد ،
وسمعه يقول: لم ألق بالأندلس مثل ابن ورد، ولا أحاشى من الأقوام من أحد .

وكان يفضّـلُه على ابن العربى ، وابن عياض[٤] ، وغيرهما . قرأت عليه[٥]
مدّةً مديدة ، ولزمته أعواماً عديدة ، وسألته أن يجيز لى ، ولأخى الحافظ أبي عمرو
جميع ما رواه وجمعه ، وتكلّم فيه من العلم أو وَضَعه ، فأجابنى إلى ذلك ، وقال لى :
[36 B] لم أفعـلْه/لأحد قبلك ، ممن سلك هـذه المسـالك ، وإنّمـا اشْتَغَلْتُ عن كثرة
الرّواية بالدّرس والدّراية .

---

(١) كان قاضى القضاة بشرق الأندلس . توفى سنة ٥٣٤هـ (بغية الملتمس ت ٩٢١) .

(٢) إمام فى النحو والأدب . أخذ القراءات عن أبى القاسم بن النحاس وأبى الحسن بن شفيع وغيرهم ، وأخذ الأدب عن ابن أبى العافية وغيره . وتقدم فى صناعة العربية وتصدر لإقرائها بجيان . استوطن غرناطة وكان من جلة النحويين وأئمتهم ، حافظا للغريب واللغة متصرفا فى فنون الآداب ، وله حظ من قرض الشعر وقد شرح كتاب سيبويه ولم يتمه . توفى سنة ٥٤٤هـ (انظر بغية الملتمس ت ٢٨٣) .

(٣) هو أحمد بن محمد بن عمر بن ورد التميمى ، فقيه حافظ محدث ، ألف فى شرح البخارى كتابا كبيرا ، وكان أوحد زمانه فقها وعلما ومعرفة . ولد سنة ٤٦٥هـ وتوفى سنة ٥٤٠هـ وروى عن أبى على الغسانى وابن سكرة (بغية الملتمس ت ٣٦٢) .

(٤) هو عياض بن موسى بن عياض اليحصبى أبو الفضل ، فقيه محدث أديب . له من التصانيف : كتاب الالماع إلى أصول الرواية وتقييد السماع . ولد سنة ٤٧٦هـ وتوفى بمراكش سنة ٥٤٤هـ (بغية الملتمس ت ١٢٦٩) .

(٥) يريد شيخه — أى ابن دحية — أبا موسى عيسى بن عمران الورديميشى المتقدم .

وسألته عن مولده ، فقال : وُلدت فى شعبان سنة اثنتى عشرة وخمسمائة ، وتوفّى رضى الله عنه شهيدًا من داء البطن ليلة الخميس آخر الليل . ودفن ظهر يوم الخميس الخامس والعشرين من شعبان سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، وهو على أحكامه وإعزازه وإكرامه .

فمن شعر الأديب أبى الطّيّب أحمدَ بنِ الحسين بسندنا المتقدّم إليه ، رحمةُ الله علينا وعليه ، فمن ذلك فى النسيب :

متى طلَعت تلك الأهلّة فى الخُمْر   ونابَتْ لنا تلك العيونُ عن الخَمْرِ

/ومن علّم الأعجاز تَستعجزُ[1] النّقا   وهذى الثنايا الزُّهْر تَسطو على الدُّرّ   [37 A]

شُموسٌ أبت إلّا الشِّماس سجيّةً   وأقمارُ حُسن فى الهوى قمَرَتْ[2] صَبْرى

تذكّرتُ ، والتّذكارُ من ثمَر الأسى   لَيالينَا بين الرُّصَافَةِ والجسر

ليالىَ لا دَمعى يُبدّد بالنّأى   ولا سِنّتى مما تُروّع بالهجر

ومنها فى صفة القصيدة :

ودونَكها غرّاءَ قامت لخاطرى   وإن لم تَلُمْه حين قَصّر بالعُذر

خَفَضْتُ بها الأشعارَ حتّى كأنها   وإن رفعَتنى الآن من أحرُف الجرّ

/قال ذو النّسبين ، رضى الله عنه : وهذه الرّائيّة من شعره عند العلماء بنقد الشعر وسِرّه ، أحسنُ من رائية علىّ بن الجهم التى أوّلها :   [37 B]

عيون المها بين الرُّصافة والجسر   جلَبْنَ الهوى من حيثُ أدرى ولا أدرى

---

(١) تستعجز النقا : تتخذ منه أعجازا . والنقا ، يوصف بالميوثة واللين .

(٢) قمرت صبرى : غلبته .

ومن أسماء بقر الوحش: اللآَّى مثل الفَتَى، والانثى، لآة، مثل شاة، وتسمى المهاةَ أيضاً، والجمع: المها؛ والعيناءَ؛ والجمع: عين.

ومما يمازج برقّته النسيم امتزاج الماء بالرّاح، ويدخل من أبواب خُروق المسامع على القلوب بلا استئذان فترتاح به الأرواح، قول هذا الشّاعر من أبيات:

خطرتُ على وادى العُذيب بأدمُعى — فما جُزته إلّا وأكثَرُهُ دمُ

[38 A] /وقد شَرِبَتْ منه كِرامُ جيادنا — فكادَت بأسرارِ الهَوى تَتكلّم

سرى البرقُ من نَعمانَ يُخبر أنّه — سيَشْقى بكم من كان بالأمس يَنْعَم

رحلتم، فهذا[1] الليلُ فيكم فلم يعد — إلَّى سواه فيكُم إذ رحلتم

وما أنا صَبٌّ بالنّجوم وإنّما — تُخَيِّلُ لى الآفاق أنكُم هم

لقد أحسن ما شاء، غير أن قوله:

«خَطرتُ على وادى العُذيب ... البيت» مأخوذ من قول الشّاعر، وهو مهيار:

[38 B] /عَبَرْت[2] على الوادى فحَرّمت ماءه — وكيف يحلّ الماءُ أكثره دَمُ[2]

عبرت: أى أسلت عبرتى فيه، فورَّى. والمحفوظ عند أهل اللّغة: استعبر الرّجل، إذا بكى، والّذى رويناه فى شعر مهيار «بكيت»

---

(١) فى الأصل: «وهذا»، وسيأتى البيت (ص ٤٧) مشروحا.

(٢) أنظر الديوان (٣ : ٣٤٤).

والمليحُ البديعُ من هذه القطعة قوله :

سَرى البرقُ من نَعمان يُخــبر أنه   سَيَشق بكم من كان بالأمس يَنْعَم

فيه من صنعة البديع المُقابلة، وهى مقابلة «سيشق» «بينعم». ومن مليحها قوله :

رحلتم فهــذا اللّيل فيكُم فلم يعد   إلىّ سِــواهُ فيــكُم إذ رحلْتُمُ

وهو من أبيات المعانى التى يُسأل عنها ، ويفهم معناه من قوله : « فلم يعد إلىّ سواه » ، لأنّه لا يعود سوى اللّيل المــاضى ، وهو اللّيلُ المستقبل ، إلا بعد صبح يفصل / بينهما ، ولا فاصل عنده بعـد فُرقة أحبابه؛لأنّ الأيام جميعَها [39 A] عنـده صارت مظلمة لبعـد أحبابه ؛ فمـا دامت الفرقة مستمرّة ، كانت الظلمةُ مستقرّة .

ومن بدائع هذا الشاعر قوله :

سـلَّم إذ مرّ ولى همّــةٌ   تَستنْزل الأقمـارَ والأنجمَــا

تَظْمَا[1] ولا تَروى ولو أننى   ألثمتهــا وجْنَتَــه والفَما

فقلت للنّفس وقد أزمعت   أن ترد السُّلوان خوف الظَّما:

هـذا كثيرٌ فاشكرى واحمَدى   فـكيف لو مَرّ وما سلَّمـا

---

(١) تظما ، أى تظمأ ، الأصل فيه الهمز وسهل . والضمير المستكن فيه للهمة فى البيت السابق .

قوله فى البيت الأول : «سَلَّم إذ مَر»، ثم قوله فى آخر الأبيات : «فكيف لو مر وما سلَّما»/ من الصّنف المسمّى فى صناعة البديع بالتبديل . إلّا أنّه فرّق بينهما [39 B] فى أبيات ، وقد جمع ذلك بعضُ أهلِ مصْرِهِ ، من شعراء عصره، فقال :

أصبحتُ صبًّا دَنِفا مُغرمًا   أشكُو جوى الحبّ وأبكى دَمَا
هــذا وقـد سـلَّمَ إذْ مَرَّ بى   فكيف لَوْ مَرَّ وما سَلَّمـا

***

ومن أفاضل شعراء المغرب المعروفين بالإجادة ، الموصوفين بالإحسان والإفادة :

أبو عبد الله ابنُ قاصى مِيله[1]

أشعر من دبّ بميلة ودرج ، ودخل بها وخرج . فمن رقيق شعره قولُه :

قلتُ للحسناء لمـا أبْصَرت   دمع عَيْنِي قد جَرَى فيما جَرى
/لا تَظنّى الدّمع ما عَايَنْتِـه   أنا من يُهدِى إليـك الخَـبَرا [40 A]
جالَ فى خدّيك من ماء الصّبى   رونقٌ يَسْبِى سَـنَاه البشرا
تأخذُ الأجفانُ منه رِيَّهـا   فإذا جازَ التّناهِى قَطَرا

---

(١) أحد شعراء المائة الخامسة ومن شعراء الذخيرة وروايات المبرزين . وكان يسلك طريق ابن أبى ربيعة وأصحابه فى نظم الأقوال والحكايات . وميلة ، التى نسب إليها ، هى بالكسر : مدينة صغيرة بأقصى إفريقية بينها وبين بجاية ثلاثة أيام . (ياقوت) .

ومن قوله :

رحَلَ الرّكبُ والمشــوقُ مقيمُ　　كيف يَسْرى معَ الصِّحاح السَّقيمُ
وبتلك القبــابِ رِيمٌ تولّى　　وضُـــلوعى كهفٌ له ورَقيم
أمّــه ٱلشمسُ وهو أعجب شئ　　فتى أنتَجتْــه وهى عقيم
أقعدتْنى حوادثُ الدّهرِ عنــه　　هكذا الدّهرُ مُقعِـــدٌ ومقيم

ولە فى حمامة فوق أيكة تصدح ، فى لحمة الليل والبرق [1] يقدح :

ومُرِنّةٍ قدحت زنَاد صبابتى　　والبرقُ يقدَح فى الظّلامِ شَرارُهُ
/ورقاءُ تأرق مُقلتى لبكائها　　لـيلاً إذا ما هَوّمتْ سُمّـاره
إيهٍ بعيشك يا حمـامةُ خَبِّرى　　كيف الـكثيبُ ورَنده وعَرَاره
أترنّحت بجـــوانحى أثلاثُه　　أم أينعت بمدامِعى أزهـاره

[40 B]

وله فى المعنى :

ورقاءُ ضافيةُ الجنـاح تَسترّت　　عنّـا بغُصْــنَىْ بانةٍ وأرَاكِ
غنّت فأذكرتِ المشوقَ ببثّها　　وتمايلت فعل الصّحيح[2] الشّاكى
وعجبتُ من ضدّين فى أوصافها　　خَلْع[3] الخليع ولِبســة النُّسّاك

وله فى المعنى :

ومُرِنّةٍ والدّجنُ ينسج فوقها　　بُردين من نَوءٍ وطـلٍّ باكِ
/مالت على طىِّ الجَناح وربّما　　جَعلت أريكتَها قضيب أراكِ

[41 A]

---

(١) فى الأصل : «فى لحمه والليل يقدح» . وقد صوبناها وأكملناها مستأنسين بشعره .

(٢) لعلها : «السقيم» . أو كلمة بمعناها .

(٣) المسموع فى هذا المعنى : خلع الرجل خلاعة فهو خليع ، كما يقال فيه أيضا : خلع الرجل ، كأن قومه قد خلعوه لبعده عن الجادة وانهماكه فيما يقبح .

ومن نسج فى الرِّقَّة على منواله ، وضرب فى بديع المعانى والألفاظ على مثاله :

محمدُ بنُ حبيب المهدوى القلانسىّ[(١)]

فقال :

بدورُ وجوهٍ فى ليـالى ذوائب[(٢)] لَعبْنَ بلبّى بين تلكَ الملاعب

تبرقَعْنَ من خَوفِ العيون وإنّما طَلَعن شموسًا تحت غُرِّ السّحائب

وفوَّقْن من تحت البراقع أسهما من اللحظ ترمى عن قِسِىِّ الحواجب[(٣)]

[41 B] ومن الموصوفين/ بجزالة الألفاظ ورقة المعانى :

يَعمُر بنُ ميمونٍ الخولانى

فمن قوله :

نُبِّئْتُ أنّك مُولٍ[(٤)] لا تكلّمُنى فبتُّ خائفَ هجر منك قد حَدَثا

وما يفى النَّذرَ من آلى بمعصيةٍ هذى مقالةُ من بالحقّ قد بُعِثَا

فاحْنث بِحِنْثك وصْلى وهو يعتقُنى والعتقُ غايةُ تكفيرٍ لمن حَنَثا

وإن تحرَّجتَ من إثم وخفتَ له فأعظَمُ الإثم قتلى فى الهوى عَبثا

---

(١) ظاهر أن النسبة إلى القلانس ، جمع قلنسوة ، لباس للرأس معروف .

(٢) ذوائب : جمع ذؤابة ، وهى منبت الناصية من الرأس . يريد الشعر الأسود .

(٣) انظر خريدة القصر (١١ : ١١٤) .

(٤) مول ، يريد : مؤل ، فسهل . وسيشرحها المؤلف .

قوله : «نبئت أنك مولٍ» : أُخبرت أنك حالف . يقال : آلى الرّجل فهو مؤل أليّة ، بتشديد الياء . والأليّة : اليمين ، يقال : آليت / وائتليت وتأليّت ، أليّـة [42 A] وأَلُوّةً ، بفتح الهمزة ، وأُلوّة ، بضمّها ، وإلوة ، بكسرها ، كلّ ذلك لغات فيها . ولم يعرف الأصمعى ، كسر الهمزة فى أوّله . وفى الصّحيحين : إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم آلى من نسائه شهرا .

وقوله :

وما يفى النّذرَ من آلَى بمعصيةٍ هذى مقالةُ من بالحقّ قد بُعثـا

صدق و برّ ، ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم أنّه قال : « من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصيَه فلا يعصه » . وملّح بقوله : « فاحنث لحنثك وصلى » ، وبالبيت الذى بعده وكأنّهما ينظران إلى البيت الذى أنشده أبو الفرج الأصبهانى فى كتاب الأغانى له :

/ إذا قبّل الإنسان آخر تُشتهى ثنايَاهُ لم يأثَم وكان له أَجْرُ [42 B]

ومن مجيدى شعراء المغرب :

محمد بنُ زكريّا القَلْعى[١]

له من قصيدة يمدحُ بها بعض ملوك المغرب ، وكأنّما عَنَى بمعانيها مولانا السلطانَ الملكَ الكاملَ[٢] ، وأشار بأنامل بديع ألفاظها إليه ، لا برحت محاسن المحامد مصروفة له ، وموقوفة عليه :

وقادَ الجيادَ الأعوجيّاتِ دونَها — عوابسُ تَطفُو فى العَجاج وتَرْسُبُ
عساكرُ مثل الطَّرف إن خِفْن ضِلَّةً — أضاءَ لها ليلُ الحديدِ المذوَّب
يَمُرُّ نُهاهُ بالشُّكوكِ فتنجلى — ويجرى نداهُ فى الأُجاج فيعذُب

[43 A] /وكأنّما عناه أيضا هذا الشاعر بقوله :

ملك إذا طُلِبَ الغَمامُ بِفَوق ما — فى وُسْعه فعلى نداهُ يُحيل
زَجَرَت مواهبُه المساغبَ أن تُرى — ولها بساحة مُجتديه حُلول

(١) نقل العماد فى الخريدة عن ابن الزبير قال : « كان جيد الشعر وارى زناد الفكر ، لكنه منحوس الحظ مبخوس الجد . ورد إلى الاسكندرية ومصر وأقام بهما زمانا لايجد من يروى ظمأته ولا يسد خلته فعاد إلى المغرب » . وذكر العماد أيضا أنه ينتسب إلى قلعة بنى حماد بالمغرب . (الخريدة ١١ : ١٣٧) .

(٢) هو محمد بن محمد العادل بن أيوب . ومن آثاره المدرسة الكاملية بمصر . وكانت وفاته سنة ٦٣٥ هـ .

ومن شعراء :

صَقَلِّيَة

وهى بفتح الصَّاد والقاف ، قاله النَّحوىّ أبو بكر محمدُ بنُ علىّ بنِ الحسنِ بنِ البَرّ التَّميمىُّ[1]، هكذا عرَّبتها العرب[2] . واسمها باللّسان الرّومىّ (سِيكَّة) بكسر السّين وفتح الكاف وسكون الهَاء ،و(كِيايِّه) بكسر الكاف واللاَّم،وتشديد الياء وسكون الهاء ، وتفسيرها : تين وزيتون . وإلى هذا المعنى أشار /الأديبُ البارعُ ، أبو علىٍّ [43 B] حسنُ بن رشيقٍ ، حين مدحَ صقليَّة بقوله :

أُختُ المدينة فى اسم لا يشاركها ... فيه سِواها من البُلدان فالتَمِسِ
وعظَّم اللهُ معنَى لفظهـا قسماً ... قُلْد إذا شئتَ أهل العلم أو فَقِسِ

قوله فى هذا البيت * وعظّم الله معنى لفظِها قسما *

يريد قول الله جلَّ جلالُه (والتّينِ والزَّيْتُون) قال مجـاهد فى صحيح البخارىّ : هو التّين والزيتون الذى يأكل النّاسُ .

وقال الحسن :هو التّين الّذى يُؤكل، والزيتون الذى يعصر . وبه قال عِكْرِمة.

وقال آخرون : التّينُ : مسجد دمشق ، والزّيتون : بيتُ المقدس ، قاله كعب وقتادة وابن زيد وعِكرمةُ أيضاً .

---

(١) نقل السيوطى فى كتابه بغية الوعاة ، عند ترجمته لأبى بكر ، هذا الكلام عن ابن دحية .

(٢) هذا غير ماذكره ياقوت فى كتابه معجم البلدان . وتابعه عليه الفيروزبادى ، فهى عندهم بكسرات ثلاث ، ولم يشر فيهما إلى رواية ابن دحية هذه .

[44 A] /وصَقلّيةُ : جزيرةٌ كبيرة طولُها مسيرةُ سبعةِ أيام ، وعرضُها مسيرةُ خمسة أيّام . وهذا الاسم اسمٌ لأحد مدنها ، فنسبت الجزيرة كلُّها اليها . وفيها مدنٌ كثيرةٌ وقلاع شهيرة ، وهي في البحر الشّـامي ، موازيةٌ لبعض بلاد إفريقية ، بينهما يومٌ وليلة. افتُتحت في سـنة اثنَتَيْ عشرةَ ومائتين ، ثمّ إنّ الله تعـالى صَرَفها إلى النّصارى . فكان أوّلُ افتتاح كان فيها لهم في سنة خمسٍ وخمسينَ وأربعمائة ، إلى أن خلَصت الجزيرة كلها لهم في سنة خمس وثمانين وأربعمائة .

فمن شُعرائها :

أبو محمدٍ عَبدُ الجبّارِ بنُ أبى بكرٍ محمدِ بن حَمديس

[44 B] شاعرٌ جيّد السّبك/ ، مليح الاستعارة ، حسنُ الأخذ ، لطيف التّناول ، رقيقُ حواشي المعاني ، عذبُ اللفظ . دخلَ الأندلس وافـداً[1] على المعتمد على الله أبي القاسم محمد بن عبّاد بإشبيلية فمدحه بأشعاره البديعة ، وعبّر عن الأدب بأنفاسه النّفيسة الرفيعة . فمما يجرى من قوله رقّةً مع المـاء، ويكاد يمتزج بالهواء، ويأخذ بمجامع الأهواء ، قوله من قصيدة[2] :

قُم هاتِكها[3] من كفّ ذاتِ الوشاحْ وقـد نعَى الليلَ بشيرُ الصّبـاحْ

(١) انظر قصة دخول ابن حمديس على المعتمد (ص ٤٨١) من ديوانه المطبوع بروما ، ونفح الطيب .

(٢) القصيدة فى مدح الرشيد بن المعتمد . (انظر ديوان ابن حمديس ص ٧٤)

(٣) فى الأصل : «هاتها» . وماأثبتنا عن الديوان .

وباكِرِ[1] اللذات واركبْ لها   سوابق اللّهو ذواتِ المِراحْ
من قبل أن تَرْشُف شمسُ الضّحى   ريقَ الغوادِى من ثُغور الأقاحْ

انظر ما أحسن هذه الاستعارة ، وأحلى هذه العبارة .

[45 A] / وله قصيدة أخرى فى الوزن على الرّوىّ أولها :

طَرَقَتْ والليلُ ممدُود الجَناحْ   مرحباً بالشمس[2] من غير صباح

أتى فيها بكلّ معنى مبتكر بديع ، معدود من الطّراز الأول الرّفيع.

ومما أخذه فملَكه فاسترقّه ، واستوجبه بزيادته فيه على مبتكره واستحقّه ، قوله فى وصف فرس سابق :

كأنّ[3] له فى الأُذن عيناً بصيرةً   ترى اليوم أشباحا تمرُّ به غدًا[4]
يقيّد بالسبق الأوابدَ فوقَه   ولو مرَّ فى آثارهنّ مُقَيّدا

أخذَه من قولِ امرئِ القيس بن حُجر ، وهو أوَّلُ من قصَّد القصائد ، وقيد الأوابد ، فقال/ فى لاميّته المعلّقة : [45 B]

وقد اغتدى والطيرُ فى وكُناتها   بمنجَردٍ قيدِ الأوابد هَيْكلِ

---

(١) فى الديوان : «وباكر إلى اللذات» .

(٢) فى الأصل : « بالصبح » وما أثبتنا من الديوان .

(٣) قبله كما فى الديوان : (ص ١٢) :

ومنقطع بالسبق من كل حلبة   فتحسبه يجرى إلى الرهن مفردا

(٤) فى الديوان : كأن له فى أذنه مقلة يرى   به اليوم أشخاصا تمر به غدا

وزيادةُ عبد الجبّار عليه قوله * ولو مرّ فى آثارهن مقيّدا *

وتصديرُ هذا العجز بقوله : «أقيّد بالسبق» مليح جدّا .

ومن مليح أخذه المستحسن قوله من أخرى :

لهم رياض حُتوف فالذُّباب بها يَشدوهمُ فى الهوادى كلما اقتحمُوا
بيض يضعن المنايا السّودَ صارخةً وهى الذّكور التى افتُضت بها القمم

أخذه من قول أبى نصرٍ عبدِ العزيز[1] بن نُباته السّعدى :

ومن العجائب أنّ بيضَ سيوفه تلد المنايا السّودَ وهى ذُكورُ

[46 A] /إلا أنّه زاد عليه ، بعد ما ساواه فى المقابلة ، بذِكر البيض والسّود . وذِكرِ الذكورية مع ذكر الوضع الذى ذكره فى موضع «تَلِدُ» بقوله : «صارخة» ، إذ من شأن المواود أن يَستهلّ صارخا عند الوضع . وكذلك الواضعة تصرخ أيضا حالة الطّلق ، فتَمَّم بهذه الزّيادة قوله : «يضعنَ المنايا السود» .

كما زاد عند ذكر الذّكور ، وتَمَّم المعنى بقوله : «افتُضَّتْ بِها القِمَمُ» ، فجعل سيلانَ دماءِ القممِ بذكور الصّوارم كسيلان دماء العَذارى لدى افتضاض ذكُورِ الرجال لها ، وهذا من سِرِّ الشّعر المخزون ،وعلمه المكنون. وفى البيت الّذى وطّأَ به نوعٌ من أنواع البديع يسمّى التَّورية ، وهو قوله :

[46 B] /لهم رياضُ حُتوف فالذّباب بها يَشْدُوهم فى الهوادى كلّما اقتَحموا

---

(١) فى الأصل «عبد الله» تحريف . وهو أبو نصر عبد العزيز بن عمر بن محمد بن أحمد بن نباته الشاعر . ولد سنة ٣٢٧ هـ وتوفى سنة ٤٠٥ هـ .

الذّبابُ ، من الحيوان معروف ، والذّبابُ : ذُباب السّيوف . والشَّدْوُ : الغناء . فشبّه طنين الذّباب فى الهوادى ، وهى الأعناق ، بترنُّم الذبّاب . واستعار الرّياضَ للحُتوف توطئةً لشدو الذّباب ، لأن الرّياض الملتفَّةَ الأشجار ، موضعُ ترنُّمِ سواجِعِ الأطيـار .

ومُلاحظةُ أمثال هـذه المقاصِد من مقاصِد فُحول الشّعراء ، ممـا يُعين الشَّادِى فى الأدب المحُاوِل لنظمِ الشّعر ، على نظم جيّده .

وأَذكرنى بيتُ ابنِ نُباتة قولَ ابن الرّومىّ ، وهو من أحسن ماسمعتُ فى معناه :

ومن عجبٍ أنَّ السّيوف لديهمُ تحيضُ دماءً والسّيوفُ ذُكورُ
/وأعجبُ من ذا أنّها فى أكُفِّهِم تَأَجَّجُ نارا والأكفُّ بُحور [47 A]

ومن شعراءِ المغربِ الأوسط ، وأهل التّصنيفِ والإتقان والضّبط ، الشّاعرُ الرقيقُ ، العربىُّ الأزدى العريق :

أبو علىّ حسنُ بنُ رَشيق[1]

وكانـ رجلا تِلعابه ، كثيرَ الدُّعابة ، غير أنَّه لم يَذُمَّه أحد بذلك ولا عابَه . كتب إلى بعض الرؤساء :

إنّى لقيتُ مشقَّـهْ فابعث إلىّ بشُقَّهْ[2]
كمثل وجْهِكَ حُسنا ومثـل دِينِيَ رِقَّه

(١) ولد سنة ٣٩٠ وتوفى سنة ٤٦٣ هـ . (وانظر ترجمته فى ابن خلكان ، والذخيرة ، والجزء الثالث والعشرين من الوافى بالوفيات ، و ياقوت) .

(٢) الشقة بالضم : من الثياب السبيية المستطيلة . وقيل : هي نصف ثوب .

فقال له الرئيس : أمّا مثل دينك رقّةً ، فلا يُوجد [إلا] بوزنِ أمثال رِمَالِ الرّقّة ، ثم استحسن فى هذه المداعبة أدبَه ، فقضى أربه .

[47 B] فمن قوله / يمدح السّلطان أبَا يحيى تميمَ بنَ المُعِزّ[١] :

أصَحُّ وأقْوى ما رويْناه فى النّدَى ... من الخبرِ المأثورِ منذُ قديمِ[٢]

أحاديثُ تُمليهـا السّيولُ عن الحَيا ... عن البَحر عن جُودِ الأميرِ تميمِ

وله أيضا[٣] :

لو أورقتْ من دَم الأبطالِ سُمْرُ قنًا ... لأوْرَقَت عنـده سُمْرُ القَنَا الذُّبُلِ

إذا توجَّه فى أُولى كتائبه ... لم تفرِق العينُ بين السّهل والجبلِ

فالجيش يَنْفُض حولَيْـه أسنَّتَه ... نَفْضَ العُقاب جَنَاحَيها من البَلَلِ

[48 A] وهذا البيتُ من غُرر قلائده ، وهو مع ذلك ملتَقَطٌ / من قول المتنبّى :

يهزُّ الجيش حولك جانبيه ... كما نَفَضت جَناحيهـا العُقابُ

ومن قول أبى صخر الهُذلىّ :

وإنّى لتَعْرُونى لذكراكِ هِزّةٌ ... كما انتفَض العُصفورُ بلّلَه القطرُ[٤]

---

(١) هو أبو يحيى تميم بن المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين ، ملك إفريقية وما والاها بعد أبيه المعز . وكان حسن السيرة محمود الآثار محبا للعلماء ، معظما لأرباب الفضائل حتى قصده الشعراء من الآفاق . ولد سنة ٤٢٢ هـ وفوض إليه أبوه ولاية المهدية فى صغره سنة ٤٤٥ هـ وظل بها حتى مات أبوه سنة ٤٥٤ هـ فملك بعده إلى أن توفى سنة ٥٠١ هـ . (الخريدة وابن خلكان) .

(٢) أورد ابن خلكان هذين البيتين مع خلاف فى بعض الألفاظ .

(٣) الأبيات فى مدح المعز كما فى معجم الأدباء فى ترجمة ابن رشيق .

(٤) انظر الأغانى (٥ : ١٦) وديوان الهذليين .

ومعنى الالتقاطِ، ويُسَمَّى أيضا بالتَّلفيق والتَّرتيب، أن يَنْشُر الشاعرُ المعانى المتقاربَة، ويستخرجَ منها معنى مُولَّدًا يكون فيه كالمخترِع، وينظُرُ به إلى جميع تلك المعانى، فيقومَ وحدَه مقامَ جماعةٍ من الشّعراء، وهو مما يدلّ على حِذق الشّاعِر وفِطنته. ومن أحذق من فَعل ذلك المتنّبى والمعرى.

ولابن رشيق أيضًا :

[48 B]

/ومن حسناتِ الدّهرِ عندىَ ليلَةٌ — من العُمرِ لم تَتْرُكْ لأيّامنا ذَنْبَا
خلونا بها نَنفِى الكرى عن جُفوننا — بلُؤْلُؤةٍ مملوءةٍ ذهبًا سكبا
ومِلْنا لتقبيلِ الخدود وكَنّها — مَمِيلَ جياعِ[1] الطّيرِ تلتقطُ الحبَّا

وقال أبو الحسن عبدُ الكريم بن فَضّالٍ الحُلوانى[2] فى ابتداء قصيدةٍ فريدة :

عَرِّسَا بِى فذَا مُناخٌ كريمُ — هذه جُمّةٌ[3] وهذا نَعِيمُ
هذه الجنّةُ التى وعد اللـه — وهذا صراطُه المستقيم

وكان المعزّ[4] ملك صنهاجه[5]، لم يقصدْه ذُو حاجة إلّا وقضى حاجَه، وَعَجَّل بذلك سرورَه وابتهاجه. وإنّما خاعَ المستنصرَ[6] وأزال عنه الخلافةِ،/ وأظهر

[49 A]

(١) فى الأصل ومعجم الأدباء لياقوت فى ترجمة ابن رشيق : «جناح». والتصويب عن الرايات.

(٢) أحد شعراء القرن الخامس. وأورد له ابن بسام بعضا من شعره فى المجلد الأول، القسم الرابع المطبوع (ص ٢١٩) وكذا ابن سعيد فى رايات المبرزين طبعة مدريد (ص ١٠٧).

(٣) جمة الماء : معظمه.

(٤) هو المعز بن باديس الصنهاجى. ولد سنة ٣٩٨ هـ وتولى سنة ٤٠٦ بعد وفاة أبيه. وهو الذى كانت بينه وبين المستنصر حفائظ انتهت بقطع صلته بالدولة الفاطمية سنة ٤٤٣ هـ وكانت وفاته سنة ٤٥٤. وفى الأصل "تميم بن المعز" والكلام بعد لا يتوجه. فهو وإن عاصر المستنصر بعد وفاة والده المعز سنة ٤٥٤ فإنه لم يعاصر حكم الظاهر. (أنظر ابن ميسر ٢ : ٦).

(٥) صنهاجة، بضم الصاد، وأجاز جماعة الكسر. قال الزبيدى : قال شيخنا : والمعروف عندنا الفتح خاصة فى القبيلة بحيث لا يكادون يعرفون غيره. وهم قوم بالمغرب من ولد صنهاجة الحميرى.

(٦) هو أبو تميم معد بن الظاهر بن الحاكم بأمر الله الفاطمى. ولد سنة ٤٢٠ هـ وتولى الخلافة سنة ٤٢٧ هـ. وقطعت الخطبة باسمه من المغرب سنة ٤٤٣ هـ (ابن ميسر. وابن خلكان).

معاندتَه وخلافه ، بعد أن كان يُظهر له ولأبيه الظاهر[١] الطَّاعَة ، ويبذلُ لهم الاستطاعة ،أن الجُرجرائى[٢] الوزير ،أساءَ معه التّدبير. وأحفظه بأشياءَ بلغته عنه ، وعقاربَ مكايدٍ دبَّت إليه من مِصر منه . وقد قال من له الإجادة والإحسان :

جِرَاحُ السَّيْف تُؤلِمُ ثم تَبْرا ولا برءٌ لمــا جرحَ اللّسانُ

وإلا فمُلْكُ صِنهاجة قديم ، وشرفُهم صميم ، وذلك أن إفريقيس بن أبرهةَ ذى المنار بنِ الحـارث الرّائش بنِ شداد—ويقال:شداد بن المِلْطَاط—ابنِ عمرو ذى أبين بنِ ذى يقدم بنِ الصُّوار بنِ عبد شمس بنِ وائل بنِ الغوث بن حيدان ابن قطن بن عَريب بن زُهير [بن الغوث][٣] بن أَيمن بن الهَمَيسع بن حمـير ، خرج غازيا نحـو المغرب / فى أرض البربر ، حتى انتهى إلى طنجة ، ونقل البربر [49 B] من أرض فِلَسطين ومصرَ والسَّاحِل إلى مساكنهم اليوم،وخلَّف مع البربر من خلَّف من حِمْير اليمن ، مثل صِنْهاجه وكُتامة . هذا قول ابن الكلبىّ ، وبه قال أبو عبيدٍ القاسمُ بنُ سَلَّام وأبو محمدٍ الهَمدانى ، وهو الحسنُ بنُ أحمد بن يَعقوب الهمدانى ، من ولد هَمدان بن مالك بن زيد بن أَوْسَلَة بن ربيعة بن الخيار بنِ مالك بن زيد بنِ كهلان ابن سبأ بن يَشجب بن يَعْرُبَ بن قحطان . وقد ذكر نسبه متّصلا إلى همدان فى كتاب

---

(١) فى الأصل : « ولابنه » تحريف . والمعروف أن الظاهر أبا المستنصر كانت وفاته سنة ٤٢٧ هـ ، وأن المعز عاصر حكمه فترة .

(٢) نسبة إلى جرجرايا ، بلد من أعمال النهروان بين واسط و بغداد من الجانب الشرقى . وهو أبو القاسم على بن أحمد الجرجرائى . انتقل إلى القاهرة ووزر للحاكم ثم الظاهر ثم المستنصر من بعـده ، وتوفى سنة ٤٣٦ هـ . (ابن ميسر . تاريخ الاسلام السياسى ٣ : ٢٦٤) .

(٣) التكلة من جمهرة أنساب العرب

الإكليل المؤلَّف فى أنساب حمير وأيّام ملوكها . وهو كتاب عظيم الفائدة . قال الهَمْدانىّ[١] : ثم تقدّم موُغلا فى المغرب ، حتّى بنَى مدينةَ إفريقية ، وهى مشتقة من اسمه ، وخلّف فى البربر قُوّاما من حمير ، ليردّوهم على شاكّتهم القديمة ، / ويأخُذوا إتَاوَتَهم ، ويدبروا أمورهم ، فهم إلى اليوم على ذلك . ومنهم اليوم [50 A] بالمغرب كُتامه[٢] ، ولَوَاتَة[٣] ، وصنهاجة[٤] ، وهم الغالبون على المغرب اليوم . حدّثنى بهذا الكلام نحوٌ من عشرين شيخا — منهم الوزيرُ الكاتبُ أبو عبد الله محمّدُ بنُ أبى القاسم بنِ عَميرة[٥] ، والمحدّثُ أبو محمّدٍ عبدُ الله بنُ محمدِ بنِ عبيد الله الحَجْرى[٦] بفتح الحاء وسكون الجيم ، من حَجر بنِ ذى رُعين — قالوا : حدّثنا نسّابةُ الأندلس الفقيهُ أبو محمدٍ عبدُ الله بنُ علىٍّ اللخمىُّ المعروفُ بالرُّشَاطىّ[٧] ، ونقلته من أصله وكتابه الّذى سمّاه : «اقتباس الأنوار ، والتماس الأزهار ، فى أنساب الصّحابة ورواة الآثار» ؛ إلّا ما فيه من نسب همدان ، فإنّى نقلته من غيره .

قال الرُّشَاطىّ : فشرف صنهاجةَ أصيل ، ومجدهم / أثيل ورياستُهم قديمة ، [50 B] ونسبتُهم إلى حِمير معلُومة .

---

(١) هو أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمدانى المتقدم ، وقد طبع من كتابه جزان : الثامن ببغداد والعاشر بالقاهرة .

(٢) بالضم : قبيلة من البربر . وقيل : حى من حمير صاروا إلى البربر حين افتتحها أفريقس الملك .

(٣) بالفتح : قبيلة بالبربر .

(٤) انظر الحاشية (ه ص ٥٩) .

(٥) انظر ما سبق (ص ٢٠) .

(٦) فقيه محدث راوية قرأ عليه صاحب بغية الملتمس كتاب مسلم ، وتوفى سنة ٥٩١ ه عن سن عالية . (بغية الملتمس ت ٨٩٨) .

(٧) فقيه نسابة ، ينسب إلى رشاطة ، بلدة بالعدوة . ولد سنة ٤٦٥ ه وتوفى فى حدود سنة ٥٤٢ ه . (بغية الملتمس ت ٩٤٣) .

قال ذو النّسبين، رضى الله عنه،: ووفاةُ السلطان تميمٍ مشهور، وعَلَمُ ذكره بذلك منشور. حدّثنا غير واحد من شيوخنا، رحمهم الله، منهم الفقيه المحدّث المفيدُ المقرئُ اللّغوىّ النّحوى أبو بكر محمّدُ بن خير[1] ، بمسجده بإشبيلية سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة ، قال : حدّثنا الفقيه القاضى المقرئ الخطيب أبو الحسن شُريح ابنُ محمد بنِ شريح[2]، قال : أنبأنا حافظُ الأندلس الفقيه العالمُ أبو محمّدٍ علىُّ بنُ أحمد ابن سعيد بن حزمٍ فى كتابه إلينا، قال : حدثنا أبو البركات محمّدُ بنُ عبد الواحد الزُّبيرىُّ[3] من ولد عبد الله بن الزّبير، قال : حدّثنا أبو علىٍّ حُسين[4] بن الأشكرى /المصرى، قال : كنتُ من جلاّس تميم بن أبى تميم ، وممّن يخِفُّ عليه جدًّا ، [51 A] قال : فأرسل إلى بغداد ، فابتيعت له جارية رائعةٌ فائقةُ الغناء ، فلما وصلت إليه دعا جلساءَه ، قال : فكنت فيهم ، ثمّ مدّت السّتارة ، وأمرها بالغناء، فغنّت:

وبَدا له من بعد ما اندمَل الهوى ... برق تألّق مَوهناً لمعانُه

يبدُو كحاشية الرّداء ودونَه ... صعْبُ الذُّرى متمنّع أركانُه

فالنّار ما اشتملت عليه ضلوعُه ... والماءُ ما سمحت به أجفانُه

---

(١) هو صاحب الفهرست . تصدر بإشبيلية للإقراء والإسماع وأخذ عنه الناس . ولد سنة ٥٠٢ هـ ، وتوفى سنة ٥٧٥ هـ . (ابن الأبار ت ٧٨٠) .

(٢) مقرئ إشبيلية وخطيبها ، محدث أديب مشهور ، وله تواليف تدل على معرفته وتقدمه فى صنعة الإقراء . ولد سنة ٤٥١ هـ وتوفى سنة ٥٥٧ هـ (بغية الملتمس ت ٨٤٩) .

(٣) محدث ولد بمكة سنة ٣٥٧ هـ ودخل العراق والشام ومصر وسمع بها . ثم دخل الأندلس وحدث بها وأخذ عنه كثيرون (بغية الملتمس ت ٢٠٨ وجذوة المقتبس ص ٦٦) .

(٤) كذا فى الأصل وجذوة المقتبس . وأشكر بالشين المعجمة : قرية من قرى مصر بالشرقية . والعبارة فى الشريشى (١ : ٢٨٩) : « حدث أبو على بن الأسكرى المصرى ، وأسكر : هى القرية التى ولد بها موسى عليه السلام» . والمعروف أن القرية التى ولد بها موسى هى أسكر بالسين المهملة ، وهى كما ذكر ياقوت : قرية بينها و بين الفسطاط يومان (وهى جنوبى حلوان بنحو من ٤٠ كم) . ولا ندرى أى النسبتين أصح .

قال : فأحسنتْ ماشاءَت . فطرب تميمٌ وكل من حضر ، ثمّ غنّت :

/ستُسليك عمّا فات دولةُ مُفضِلٍ   أوائلُه محمــودةٌ وأواخرُهْ   [51 B]

ثَنَى اللهُ عِطفيه وألّف شخصَــه   على البِرّ مُذْ شُدّتْ عليه مآزِرُه

قال : فطرب تميمٌ ومن حضر طربا شديدا ، قال : ثمّ غنّت :

أستودعُ اللهَ فى بغدادَ لى قمـرًا   بالكَرخ من فَلك الأزْرار مطلعُهُ

قال : فاشتد طربُ تميم ، وأفرط جدّا ثم قال لها : تمنّى ما شئت فلك مناك . فقالت : أتمنّى عافية الأمير وسعادته . فقال : والله لا بد لك أن تَتَمَنَّى . فقالت : على الوفاءِ أيُّها الأمير بما أتَمَنَّى؟ فقال : نعم . فقالت : أتمنَّى أن أغَنِّى بهذه النوبة ببغداد . قال : فانتُقِـع[1] لون تميم وتغيّر وجهه ، وتكدّر المجلس ، وقام وقمنـا .   [52 A]

قال ابن الأشكرىّ : فلحقنى بعضُ خدمه وقال لى : ارجع ، فالأمير يدعوك . فرجعت فوجدته جالسا ينتظرنى . فسلّمت وقمتُ بين يديه ، فقـال : ويحك ، أرأيتَ ما امتُحِنّا به ؟ فقلت : نعم أيها الأمير . فقال : لابدّ من الوفاء لها ، وما أثِقُ فى هــذا بغيرك ، فتأهّب لتحملها إلى بغداد ، فإذا غنّت هناك ، فاصرفها. فقلت : سمعا وطاعة . ثمّ قُمت وتأهّبت ، وأمرها بالتأهّب ، وأصحبها جاريةً له سوداء تعادِلهُا وتَخْدُمها ، وأمر بناقةٍ وَمَحْمِل[2] [عليه هودج] فأدخلت فيه ، وجعلها معى ، وصرتُ إلى مكّة مع القافلة ، فقضينا حجّنا ، ثم دخلنا فى قافِلَةِ العراق وسرنا . فلمّا

(١) انتقع لونه وامتقع : تغير من هم أو فزع ، والميم أعرف . وقيل : إن الميم بدل من النون .

(٢) التصويب والتكملة من الشريشى (١ : ٢٨٩) . وفى الأصل ، «ومحمل ، مكان و «بجمل» .

[52 B] وردنا القادسية ، أتتني / السّوداءُ عنها فقالت : تقول لك سيّدتى : أين نحن ؟ فقلت لها : نحن نزول بالقادسية . فانصرَفَتْ إليها وأخبرتها ، فلم أنْشَب أن سمعتُ صوتها وقد ارتفع بالغناء :

لما وردنا القادسـيّة حيثُ مجتمعُ الرِّفاقْ
وشمِمْتُ من أرض الحجا زِ نسيم[1] أنفاسِ العراق
أيْقَنْتُ لى ولمن أحـبُّ بجمع شملٍ واتّفاق
وضحكتُ من فرح اللّقا ء كما بكيتُ من الفِراق

فتصايح الناسُ من أقطار القافِلَةِ : أعيدى بالله ! أعيدى بالله ! قال : فما سُمع لها كلمة . ثُمَّ نزلنا اليَاسِرِيةَ ، وبينها وبين بغداد نحو خمسةِ أميال فى بساتين متّصلةٍ ينزل النّاس بها ، فيبيتُون لياتهم ثم يبكّرُون لدخول بغداد فلما كان قُرْبُ الصّباح ، إذا بالسوّداء / قد أتتنى مذعورةً ، فقلت : مالك ? [53 A] فقالت : إنّ سيدتى ليستْ بحاضرة . فقلت : و يلك ! وأين هى ? قالت : والله ما أدرى ! قال : فلم أُحسّ لها أثراً بعد . ودخلتُ بغداد ، وقضيت حوائجى بها ، وانصرفت إلى تميم فأخبرته خبرها . فعظُمَ ذلك عليه ، واغتمّ له غمّا شديدا، ثمّ ما زال بعد ذلك ذاكرًا لها ، واجماً عليها .

---

(1) جذوة المقتبس (ص ٦٨) : « شميم » .

قال ذو النسبين ،رضى الله عنه. وقد ذكر هذه الحكاية الشيخ الجليلُ الإمام العالم أبو عبدُ الله محمدُ بنُ أبي نصر الحُمَيدى فى جذوة المقتبِس فى تاريخ الأندلس [١] قال : حدثنى أبومحمدٍ علىُّ بنُ أحمد بنِ سعيدِ بن حزمِ بن غالبٍ الفارسىّ الفقيه ، وأملاه علىّ بالأندلس ، فذكر ما ذكرناه حرفا بحرف .

قال / ذو النّسبين رضى الله عنه: قرأتُ فى كتاب الأغانى لأبى الفرج علىٍّ بن [53 B] الحسين العبشَمى الأصبهانى، أنّ هذا الشّعر الّذى فيه الغناءُ للشريف أبى عبد الله محمّدِ بن صالح الحَسنِىّ [٢] ، وأوّله :

طربَ الفؤادُ وعاوَدَتْ أحزَانُه ... وتفـرّقَت بزمانه أشجـانُه [٣]

وبداله [٤] ...

وأمرَ بعضُ الملوك ابنَ رشيق بركوب البحر ، فخاطبه بهذا الشّعر :

أمرتَنِى بركوبِ البحر فى عَجَلٍ ... غيرى-فديتُك-فاخْصُصْه بذا الرَّاءِ [٥]
ما أنتَ نوحٌ فتُنْجينِى ســفينَتُه ... ولا المسيحُ أنا أمشى على المـَاءِ

---

(١) انظر جذوة المقتبس (ص ٦٨)
(٢) انظر ترجمته فى الأغانى (٩ : ٨٨ — ٩٥)
(٣) عجزه كما فى الأغانى « وتشعبت شعبا به أشجانه » .
(٤) انظر (ص ٦٢) من هذا الكتاب .
(٥) الراء ، أى الرأى والبيتان رواهما العمرى فى المسالك (١١ : ٣٧٥) وابن خلكان (٢ : ٢٧) للحصرى ، مجيبا بهما المعتمد حين طلب اليه وإلى أبى العرب الوفود عليه .

ومنهم زينُ الزّمان ، وفخرُ المكان ، العالِم :

أبو عبد الله محمّدُ بنُ أبي سعيدِ/[١] بنِ شرَفٍ الجذاميّ

[54 A]

من ولد جُذام بنِ عدىّ [بنالحارث][٢] بنِ مرّة بن أُدد بن زيد بن يَشجب ابن عَريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يَعرب بن قَحطان . كذا نسبه أبو المنذر هشامُ بن محمّد بن السّائب الكلبي .

ولابن شرف مصنّفاتٌ عديدة ، وأوضاعٌ مفيدة ، منها : أبكارُالأفكار ،[٣] فى سِفرين،اختراعٌ كله فى الحكم والأمثال ؛ والنّظم والنّثر ؛ وكتابه المسمّى بأعلام الكلام[٤] ، مُخترعٌ أيضا . وكتابه المسمّى بلُمَح المُلَح[٥] ؛ إلى غير ذلك .

حدّثنى بها جماعة لا أحصيهم كثرة ، منهم : الوزيرُ الفقيه المقرئ المحدّث الشّاعرُ اللغوىُّ النحوىُّ ، المهندسُ الطبيب ، واحدُ عصره ، وفريدُ دهره ، أبو بكرٍ محمدُ ابنُ الطفيل[٦] القيسىُّ ، عن ولدِه العالم/ الرّبّانِىّ روضةِ العلم الأُنُفِ أبى الفضل

[54 B]

---

(١) كذا فى الأصل والوفيات والخريدة فى ترجمة ابن رشيق . والذى فى الفوات وكشف الظنون «محمد بن سعد» .

(٢) التكلة من جمهرة أنساب العرب .

(٣) ذكره كشف الظنون . وقال العماد فى خريدة القصر : «طالعت مصنف محمد بن شرف الموسوم بأبكار الأفكار» .

(٤) رسالة فى الشعراء ومراتبهم ونقد شعرهم ، طبع فى مصر سنة ١٩٢٦ .

(٥) ذكر كشف الظنون كتابا بهذا الاسم ونسبه إلى أبى المعالى سعد بن على الخطيرى المتوفى سنة ٥٦٨ هـ . وكذلك ذكر ابن خلكان عند ترجمته للخطيرى هذا . وهو وابن شرف متعاصران ، إذ كانت وفاة ابن شرف سنة ٥٦٠ هـ . غير أنه يستفاد من كلام الكتبى عند ترجمته لابن شرف «ولابن رشيق فيه عدة رسائل يهجوه فيها ، منها كتاب فسخ الملح ونسخ اللمح» أن الكتاب المنسوب لابن شرف هو «ملح اللمح» لا «لمح الملح» وقد عاد كشف الظنون فذكر هذا الكتاب الثانى إلا أنه نسبه للخطيرى . وذكر ابن خلكان فى ترجمة ابن القطاع أن له كتابا يسمى . لمح الملح ، جمع فيه خلقا من شعراء الأندلس .

(٦) هو محمد بن عبد الملك بن الطفيل ، فيلسوف أندلسى ، من تصانيفه : رسالة حى بن يقظان ، وأسرار الحكمة المشرقية .

جعفر[(١)] بن محمّد بن شرف ، صاحب الأوضاع فى جميع الأنواع ؛ [و] منها : كتاب الزّمان . عارض به «كتاب كليلةَ ودمنة» ؛ وكتابه «عقيل وعليم» ؛ وكتابه فى النّحو ، على طريق «البرهان» ؛ وكتابه فى العروض ، كَشَف به عن دقائقَ لم يسبق اليها العروضيّون . ومن النّوادر جدا جدول جعله صفحةً واحدة ، كأنَّه صفحةٌ من الزّيج ، يتضمّن استخراج ما سئل عنه من أبيات الأعاريض كلّها ، سهلةً كانت أو صعبة . ومنها : رسالته فى اللّعب باللُّعبة الّتى تسمّى «فريسيا»[(٢)] أى ملكة اللّعب ، يلعب بها كما يلعب بالشّطرنج ، وهى من غرائب الدهر ؛ إلى غير ذلك من علمه المشهور ، عند الخاصة والجمهور .

[55 A] /وبسندنا إلى أبى عبد الله محمّد بن شرف قال : أكثرُ ما يكون تواردُ الخواطر ووقوع الاتفاق وما يُقاربه ، إذا طَلَب الشّاعران أو النّاثران معنى واحدا فى قافية واحدة أو سجع واحد :

أمرَنى السّلطان المعزُّ بنُ باديس وأمر الحسنَ بن رشيق فى وقتٍ واحد أن نعملَ شعرا فى «المَـوز» على قافية الغين ، فصنعنا للوقت ، ولم يقف أحدنا على صنعة الآخر ، فقلت :

يا حبَّـذا الموزُ وإسعادُه ... من قبل أن يَمضُغَه الماضغُ
لانَ إلى أن لا مَجَسّ له ... فالفمُ ملآنٌ به فارغُ
سيّان قُلنا مأكلٌ طيّبٌ ... فيه وإلّا مشربٌ سائغُ[(٣)]

---

(١) توفى فى سنة ٥٣٤ ﻫ . (بغية الملتمس ت ٦١٠)

(٢) كذا فى الأصل . وظاهر أنها محرفة عن الكلمة اليونانية : فتوتسيا (Pettentis) . وهى لعبة كان يلعبها اليونانيون على لوحة مقسمة خمسة خطوط فى اتجاهين تنقسم إلى ٣٦ مربعا .

(٣) يقال : ساغ الشراب ، وسغته أسيغه ، وسغته أسوغه ، يتعدى ولا يتعدى ، والأجود : أسغته إساغة .

وقال ابن رَشيق :

موزٌ سريع سـوغُه　　من قبل مضغ الماضغ

[55 B] / مأكَلةٌ لآكـل　　ومشـربٌ لسـائغ

فالفمُ من لينٍ به　　ملآنُ مثـلُ فارغ

قال ابن شرف : واستخْلانا المعزُّ يوما وقال لنـا : أُحبُّ أن تصنعا لى شعرا تمدحان فيه الشَّعر الرَّقيقَ الخفيف(١) ، ربما كان فى سَاقَى(٢) بعض النسَّاء ، فإنّى أستحسنُه ، وقد عاب بعضُ الضّرائر بعضَ مَن هذا فيه ، وكلّهنّ قارئات كاتبات ، فأحبُّ أن أريَهنّ هـذا ، وأدَّعى لَهُنَّ أنّه قديم ، لأحتجّ به على من عابه ، وأُسَرَّ به من عيبَ عليه . فانفرد كلّ منا ، وأتممنا الشِّعرين فى الوقت ، فكان الذى صنعتُه أنا :

وبِالقيسيةِ زِينَتْ بشـعرٍ　　يَسِـيرٍ مثلِ ما يهبُ الشحيحُ

دقيقٍ فى خَدَلَجَـةٍ رَداحٍ　　خفيفٍ مثلِ جسمٍ فيه رُوح(٣)

[56 A] / حكى زغبَ الخدُود وكلُّ خدّ　　به زغبٌ فمعشـوقٌ مليـح

فإن يكُ صَرْحُ بلقيسٍ زُجاجا　　فمن حَدَق العيون لها صُروح

---

(١) فى الأصل : «الخفى» . والتصويب من البدائع نقلا عن أبكار الافكار (ص ٤٢٧) .

(٢) فى البدائع : «سوق» .

(٣) الخدلجة : المرأة الممتلئة الذراعين والساقين . والرداح : الثقيلة الأرداف . والرواية فى البدائع : « رقيق » مكان « دقيق » .

وصنع ابن رشيق :

يعيبُون بِلَقِيسِيَّةً إذ رأَوا لها ... كما قد رأى من تلك مَن نَصب الصَّرْحَا
وقد زادَها التَّزْغيبُ مِلْحا كمثل ما ... يزيد خدودَ المُرد تَزْغيبُها مِلْحا

فعاب السّلطان على ابن رشيق قوله « يعيبُون بلقيسيةً » وقال له : قد أوجدْتَ لخصمها حُجَّةً بأنَّ بعض الناس قد عاب هذا . وهذا نقدٌ ما كنت فطنت له .

فهذه المقطَّعات التي أوردتُ حديثَها ، واستطردتُ باتّفاقها ، لو رآها من عسى أن يراها وهو لا يعلم ما جَرَى ، لم يشُكّ أن / أحدقائليها سرَق من الآخر ، وكم من مظلوم بريءٍ ، نُسب باتّفاق خاطره وخاطرِ غيره إلى التّلصّص والإغارة ، نحو ما أَلّفه ابنُ وَكيع[1] عن المتنبي فى كتابه الذى سمّاه المُنْصِفُ[2] ، وهو فيه أجور من قاضي سَدُوم[3] . [56 B]

فمن شعر ابنِ شرفٍ ما أنشدنا غيرُ واحد ، عن ولده عنه ، وشعرهُ فى خمس مجلّدات :

شتَّان فى النُّطقَين ما بيننا ... وبينَنَا فى المَنْظَرَين اشتباهْ
يا عجباً من حُرقات الهوى ... تَصعدُ نيرانا وتَجرِى مياه

---

(١) هو أبو محمد حسن بن علي بن وكيع الضبي التنيسي ، شاعر مجيد بغدادي الأصل . ومولده ووفاته بتنيس بمصر . توفي سنة ٣٩٣ هـ . (ابن خلكان) .

(٢) ذكره كشف الظنون كاملا باسم : «المنصف فى الدلالات على سرقات المتنبي» .

(٣) مثل ذكره الميدانى وقال : « سدوم : مدينة من مدائن قوم لوط . ويروى : سذوم ، بالذال المعجمة ، والدال خطأ» .

وأنشدونا له فى عُود قَينة :

سقى[١] اللهأرضاًأنبتَتعُودكِالذى ... زكَتْ منه أعراقٌ وطابتْ مَغَارِسُ

تغنّى عليه الطّيرُ والعــودُ أخضرٌ ... وغنّت عليــه الغِيدُ والعودُ يابس

[57 A] / وقال فى مثله :

يا عودُ من أيّة الأشجارِ أنت فَلا ... جفّا ثراها ولا أغصانَها المــاءُ

غنَّى القيــانُ عليها وهى يابِســةٌ ... بعــدَ الحَمَامِ زماناً وهى خَضراء

وقال فى اجتماع البعوض والذّباب والبراغيث فى مجلس ، مخاطبــا لصاحبه يستهزئُ به :

لكَ مجلسٌ كملتْ بشارَتُنا[٢] به ... للّهو لـكن تحتَ ذاك حديثُ

غنّى الذّباب وظلّ يزمُر حوله ... فيهالبعوضُويرقصُالبرغُوث

وأنشدونا أيضا له :

إنْ تُلْقِك الغُربةُ فى معشرٍ ... تطابَقُوا فيــك على بُغْضِهمْ[٣]

[57 B] / فدارِهم ما دمتْ فى دارهم ... وأرضِهم مادمت فى أَرضِهم

---

(١) ورد الشعر فى الخريدة (١١ : ٣٨) والفوات والشريشى ، مع اختلاف يسير .

(٢) الرواية فى النفح : «بشارة لهونا ※ فيه» . وفى معجم الأدباء (١٩ : ٣٨) : «كملت دواعى لهونا ※ فيه» .

(٣) رواية البيت فى معجم الادباء :

« إن ترمك الغربة فى معشر ... قد جبل الطبع على بعضهم»

وفى الخريدة (١١ : ٣٧) : «تظافروا» مكان «تطابقوا»

وله :

صَنَمٌ[١] من الكافور باتَ مُعانقى ... فى حُلَّتين تَعَفُّفٍ وتكرّمِ

فكَّرتُ ليلةَ وصله فى صدِّه ... فجرتْ سوابقُ أدمعى كالعَنْدمِ[٢]

فطفقتُ أمسحُ مُقلتى فى نَحرها[٣] ... إذ عادةُ الكافور إمساكُ الدّمِ

وهذا شعرٌ وطِبٌّ .

وأنشدونا لابنه أبى الفضل :

وعصرُكَ مثلُ زَمانِ الرّبيـــع ... لا تهجرُ الشّمسُ فيه الحَمَلْ

تسامَتْ عُلاك سُموّ النجوم ... وسارت أياديك سَيرَ المَثَل

وقال من أبيات :

ألمى لفقد الدّمع بعد فراقهم ... ألمُ الجراحة بالدَّم المحصور

(١) تنسب الأبيات فى الخريدة (١٢ : ١١) إلى ابنه أبى الفضل جعفر .

(٢) العندم : دم الأخوين وقيل شجر أحمر .

(٣) حياة الحيوان (١ : ٣٣٢) . وفى الأصل : «بجسمه» .

ومنهم :

المروانى الطليق[١]

[58 A] /شاعرٌ رائقُ الألفاظ ، رقيقُ المعانى ، يجارى ويبارى فى الخمريات الحسنَ بنَ هانئ[٢] . فمن خمريَّاته الّتى يُغنَّى بها قوله من أبيات :

رب كأسٍ قد كسَت شخصَ الدُّجَى ثوبَ نُورٍ من سناها يَقَقَا[٣]
ظَلْتُ أسقيها رشًا فى طَرفِه سِنَةٌ تُورِثُ عينِى أَرَقَا
بَرَزَت فى ناصعٍ من كفِّه كشُعاعِ الشمس وافَى الفَلقَا
أصبحتْ شمسًا وفُوه مغربًا ويدُ السّاقى المحيِّى[٤] مَشْرِقا
فإذا ما غَربت فى فَمِه أطلَعت فى الخدّ منه شَفَقا

[58 B] /انظر ما أغرب استعارتَه «المغربَ» لِفيه ، وما أبدَع قوله :

* أطلَعت فى الخدّ منه شفَقا *

فى التَّشبيه . وأمّا جمعُه فى « الفَم » بين هاءِ الضّمير والمِيم ، فليصحّ فى الوزن

---

(١) فى الأصل : « المطبق الصقلى » والترجمة كما ترى للطليق المروانى ، وهو مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر أبو عبد الملك . مات قريبا من الأربعمائة . ذكره المقرى فى النفح (٢ : ٣٩٨) والحميرى فى البديع (ص٣٣) والحميدى فى الجذوة (ص٣٢١) وابن سعيد فى المغرب (ص١٨٦) والرايات (ص٣٨) . وذكروا له هذا الشعر . ولعل المطبق الصقلى من شعراء صقلية ذكر اسمه وفاتت ترجمته . غير أنه أتى فى غير مكانه . والمؤلف هنا يسرد شعراء المغرب .

(٢) يريد : أبا نواس الحسن بن هانى المتوفى سنة ١٩٨ھ . والذين ترجموا للطليق هذا جعلوه فى المغرب كابن المعتز فى المشرق .

(٣) يقق : شديد البياض ناصعه .

(٤) فى الأصل : «المغنى» . وما أثبتنا عن المراجع السابقة ، وفيها تروى الأبيات مع خلاف

المستقيم . قال النّحويّون: والفمُ ، إذا أفردَ كان بالميم ، فإن أضفته لم تجمع بين الميم والاضافة . تقول : هذا فُوك ، ولا يَحسنُ : فمك إلّا فى الشّعر، قال الشّاعر[1] :

كالحوتِ لايُرويه شىء يَلْهَمُه　　　يُصبح عطشان وفى الماء فمُه[2]

—اللَّهم: شدَّةُ الابتلاع— ولايجوز تشديد هذه الميم بحال فى الكلام، وقد جاء قليلا فى الشّعر ، قال الرّاجز[3] :

يا ليتها قد خَرجت من فُمِّه　　　حتى يعود الملك فى أسْطُمِّه

وأسطمةُ النّسب، وأطْسُمَّته، على القلب: وسَطُه / ومجتمعه فأتى فى هذا البيت [59 A] بالهاء مع الميم المشدّدة .

وأنشدنى سيّدى أبى رضى الله عنه ، قال : أنشدنا الفقيه الفاضل أبوالقاسم عبدُ الرّحمن بن الوزير أبى على كاتبُ مُؤنس ، قال أنشدنى أبى :

تقوّس بعد طولِ العمرظهرى　　　وداستنى اللّيالى أىّ دَوْس
فأمشِى والعصَا تمشى أمامى　　　كأنَّ قِوامها وترٌ لِقَوس

* * *

---

(٥) هو رؤبة بن العجاج .

(٢) الرواية فى ديوان رؤبة .

* يصبح ظمآن وفى البحر فمه *

(انظر ص ١٨٩) .

(٣) هو العانى محمد بن ذؤيب الفقيمى . (اللسان : طسم) .

وأنشدنى غير واحد من شيوخ الأفارقة ، للأديب الماهر أبى الحسنِ علىٍّ بن حبيبٍ يصف بحرَ سَفاقُس[1] فى مدّه وجزره ، وقد دخلتُها فرأيت معنى ما قال فى شعره :

سَقياً لأرض سَفَاقُسٍ ذات المَصانع والمُصَلَّى
بلد يكاد يقول حين تزوره أهلا وسهلا
[59 B] / وكأنّه والبحرُ يَنْ ضبُ تارة عنه ويُملا
صبٌّ يريد زيارةً فإذا رأى الرّقباءَ ولّى

* * *

وأنشدنى شيخ الاتقانِ ، وواحد أسانيد الفرقان ، أبو العبّاس أحمدُ بنُ عبد الرحمن ، سبط الأستاذ أبى محمد المعزول ، [2]قال : أنشدنا الأستاذ المقرئ أبو داودُ ، قال : أنشدنا الأستاذ المقرئُ اللغوىُّ النحوىُّ الشّاعر أبو الحسن علىُّ بنُ عبد الغنى الحُصرى[3] :

يا ناثرًا دُرَّ عينى بل عقيقَ دمى ما بال طرفِك دونِى صحّ بالسّقَمِ
وما لتفّاحَتَىْ خدَّيك أيْنَعَتَا فأفطرتْ منهُمَا عينى وصامَ فمى

---

(١) مدينة على الساحل الشمالى من أفريقية .
(٢) سبقت ترجمة (ص ٢٠) .
(٣) انظر الحاشية (٤ ص ١٣) من هذا الكتاب .

وقال فى غلام اسمه هارُون :

[60 A]

/ يا غـزالًا فتن النّـــاس بعينيه فُتُــونَا
أنت هاروتُ ولـكن صحّفـــوا تاءَك نُونا

* * *

وأنشدونا أيضا للأديب أبى الفتح عبد العزيزِ بن جعفرٍ العُذرى :

نَظر النـاسُ إلى حسـن الّذى أهوى وحُزْنِى
فرأوا يوسَفَ منــه ورأوا يعقوبَ منّى

وأنشدونا للشاعر المُصيب أبى الحسنِ عبد الكريم بن فضّال[1] :

ولمّا[2] تدانوا للرّحيـل وقُرّبت عِتـاقُ المطايا والركاب تَسـيرُ
وضعتُ[3] على قلبى يدىَّ مُبـادِرا فقـالوا محبٌّ للعناق يُشِـير
فقلت ومن لى بالعناقِ وإنمـا تداركتُ قلبى حين كاد يَطـير

[60 B]

وقال أبو زيدِ بن العمّة[4] فى الشّطرنج :

هلمّ[5] الى تدبير جيشـين جُمّعـا رِخاخٌ وأفيالٌ وجُرُدٌ سـوابحُ
تـكبّرن عن حمل السّلاح إلى الوغَى فأَرْمَاحُها أَلبُـابنا والقَرائحُ

* * *

(١) سبق التعريف به (حاشية ٢ ص ٥٩) .

(٢) انظر الخريدة (١٢ : ٢٤) ومسالك الأبصار (١١ : ٤٥٦) .

(٣) فى المسالك : « جعلت على قلبى » .

(٤) ذكره العماد أيضا فى الخريدة وذكر له هذا الشعر دون خلاف .

(٥) رخاخ : جمع رخ ، قطعة من قطع الشطرنج معروفة .

وأنشدنى غير واحدٍ ، قالوا أنشدنا : الوزير أبو بكر محمّدُ بنُ محمّدِ بنِ القَصيرة من أبيات ، يهنّىء فيها بمولود :

لم يستهلَّ بُكًا ولكن مُنْكِرًا   أن لم تُعَــدَّ له الدُّروعُ لفائفَا

ومن أبدع ما قيل فى هذا المعنى قولُ الأديب أبى بكرٍ محمَّدِ بن أحمدَ بن محمدٍ الأنصارىِّ الإشبيلىّ المعروف بالأبيض ، وكان من فحول شـعراء المغرب [61 A] المذكورين بالسّبق فى الشعر والأدب ، وماتَ بعد/خمس وعشرين وخمسمائة [1] :

أصاخَتِ الخيــلُ آذانًا لصرخَته   واهتزَّ كل هِزَبْرٍ عنــد مَا عَطَسَا
تعشّق الدِّرعَ مُذ شُــدّت لفائفه   وأبغَضَ المهد لمـا أبصرَ الفرسا
تعــلَّمَ الرَّكضَ أيّام المخَاضِ به   فما امتطى الخيلَ إلّاوهْو قد فَرُسا [2]

***

وأنشدونا لابن فتُّوح [3] :

ومُدامةٍ صــفراءَ علّنى بهـا   قمـرٌ كغصن البان فى حركاتِه
صفراء تغربُ إن بَدَت من كفِّه   فى فيه ثم تـلُوح من وجناته

***

(١) ذكر العماد أنه توفى بعد سنة ثلاثين وخمسمائة (١٢ : ٣٢٠) .

(٢) فرس فلان يفرس فروسة وفراسة ، إذا حذق أمر الخيل .

(٣) هو أبو المطرف عبد الرحمن بن فتوح ، من أعيان المائة الخامسة . وكان ممن اتصلوا بالمأمون بن ذى النون . (الذخيرة ص ٢٧٣ وما بعدها) .

[61 B] وأنشدنى الفقيه القاضى المحدّثُ النحوى أبو محمدٍ/ عبدُ المنعم بن محمد ابن عبد الرحيم الخزرجى[١] بمدينة غَرناطة ، قال : أنشدنى الوزير الكاتب أبو عامرٍ محمدُ بنُ أحمد بن عمرَ السّالمِيّ[٢] ـ صاحب كتاب الجُمَان ، ونتائج الزّمان ، فى ذكر الشعراء الأعلام ، فى الجاهلية والاسلام . ومؤلّف دُرَرِ القلائد ، وغُرَرِ الفوائد . ومؤلِّفُ بستان الأنفسِ ، فى نظم أعياد الأندلس ـ لأبى الحسن بن مظفرّ ، من أهل مدينة دانية ، فى غلام رآه فى الحمّام يضرب بالماء وجهه :

لقد نَعِمتُ بحمّامٍ تطلَّع فى أرجائه قمرٌ والحُسنُ يُكمِلُهُ
أبصرتُه كلّما راقت محاسنُه ونَعمةُ الجسم والأردافِ تُحْجِلُه[٣]
يرشُّ بالماء خَدّيه فقلت له صِفْ لِى كذا أحمرَ الياقوتِ تَصْقُلُه
/فقال طَرفِىَ سفّاكٌ بصارمه دماءَ قوم على خدّى فأغسله [62 A]

***

(١) فقيه كان له تحقق بالعلوم وتقدم فى حفظ الفقه مع المشاركة فى علم الحديث . وسمع من جده وأبيه ، و يقال إنه كان أحفظ لمذهب مالك بعد أبى عبد الله بن زرقون . وقد ألف عبد المنعم كتابا فى أحكام القرآن من أحسن ما وضع فى ذلك . ولد سنة ٥٢٤ وتوفى سنة ٥٩٧ هـ (ابن الأبار : ت ١٨١٤) .

(٢) كان من أهل العلم والأدب والتاريخ . وعرف بالسالمى لأن أصله من مدينة سالم . وذكر ابن الأبار له غير كتاب الدرر : كتابا فى الطب سماه الشفاء ، وكتاب التشبيهات . ولم يذكر الجمان ولا بستان الأنفس . وكان له حظ من قرض الشعر . توفى سنة ٥٥٩ هـ (ابن الأبار: ت ٧٢٥)

(٣) تحجله : أى تثقله فتجعله كأنه يحجل فى مشيته .

قال : وأنشدنى للأديب الأوحد أبى محمّد عبد الله بن سَارة الشّنترينى[1] :

أعندَك أنّ البـدرَ بات ضجيعِى   فقضّيت أوطارِى بغير شفيع
جعلتُ ابنةَ العُنقود بينى وبينَهَ   فكانت لنـا أُمًّا وكان رَضيعى

قال ذو النّسبين ، رضى الله عنه : أبو محمد بنُ سارةَ هـذا ، أدَبُه موفور ، وشعره مشهور ، لقيت جماعة من أصحابه . وماتَ ، رحمه الله ، سنة سبع عشرة وخمسمائة ، وانتقل من بلده شنترين إلى مدينة إشبيلية ، وهو أوحشُ حالا من اللّيل ، وأكثر / انفراداً من سُهيل ؛ فانتجع الوِراقة على كسادسوقها ، وفساد طريقها . [62 B] فتركها وأنشد فيها :

أمّا الوِرَاقة فهى أنكدُ[2] حِرفة   أغصانُها وثمـارُها الحرمانُ
شبهتُ صاحبهـا بإبرَةَ خائِط   تكسو العراةَ وجسمُها عُريان

* * *

وأنشدنى الفقيه القاضى أبو محمدٍ عبدُ المنعم الخزرجىُّ قال : أنشدنى الوزيرُ أبو عامر السّالمىُّ لنفسه —ونقلته من خطّه— فى خال خدّ :

أوقدَ النّـارَ بقلبى   ثم هبَّتْ ريحُ صَـدِّه
فشرارُ النّـارِ طارت   فانطفت فى ماءِ خدّه .

---

(١) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن سارة البكرى من أهل شنترين ، مدينة من أعمال باجه غربى الأندلس . سكن اشبيلية وتعيش فيهـا بالوراقة وتجول فى بلاد الأندلس شرقا وغربا للتعليم بالعربية وامتدح الولاة والرؤساء . كان أديبا ماهرا شاعرا مفلقا ، وأورد له ابن بسام كثيرا من شعره . وتوفى سنة ٥١٧ هـ . وانظر الخطية المصرية من الذخيرة (٢ : ٥٢٢) ورايات المبرزين ٣٥ — والقلائد (٢٦٠) .

(٢) فى الأصل : « أبكة » . وفى المسالك (١١ : ٣٨٠) : « آلة » . وما أثبتنا من القلائد .

قال : وأنشدنى أيضا أبو عامرٍ لنفسه فى وصف النارنج :

[63 A] / ٱنظُر إلى زهرِ الرِّياضِ كأنَّهُ ديباجةٌ بُسطت لقوم مُجَّـدِ

وكأنّما النّارنج فى أغصانها زُهرُ الكواكب فى سماءِ زبرجَد

* * *

وأنشدنى الفقيه المحدّثُ المؤرّخُ الثقة القاضى أبو القاسمِ خلَفُ بنُ عبدالملك ابن مسعودِبنِ بشكوال[1] الأنصارىُّ بمنزله بمدينة قرطبة ، قال : حدّثنا الثقةُ العدلُ أبو القاسمِ خلفُ بنُ محمدِ بنِ صواب اللخمىُّ [2] ، قال : أنشدنا المقرئُ اللغوىُّ النحوىُّ الأديب أبو الحسن علىُّ بنُ عبد الغنىِّ الفهرىُّ الحصرىُّ لنفســه بمدينة مُرسية[3] سنة إحدى وثمانينَ وأربعمائة فى جارية بيضاء مُنتقشة :

[63 B] / خَضَبت يَديها لون فا حمِها فـا نَقَصَ البياضُ مَلاحةً بل زادَا

ما بالُ شيبى تُنكِرين خِضابَهُ وأراكِ خَاضِبَــةَ البياضِ سَوادا

قالت نجيعُــكَ فى يدىَّ وإنّمـا بدّلتُه أسفًا عليــــكَ حداَدا

* * *

---

(١) ولد سنة ٤٩٤ هـ وتوفى سنة ٥٧٨ هـ .

(٢) من أهل قرطبة ، كان فاضلا ثقة فيما رواه قديم الطلب للعلم عارفا بالقراءات ورواياتها . روى بقرطبة عن القاضى سراج بن عبد الله وأبى محمد شعيب وأبى مروان الطبنى وغيرهم ، وسمع منه غير واحد ، وعمر وأسن . ولد سنة ٤٢٤ هـ وتوفى سنة ٥١٤ هـ (الصلة ت ٣٩٥)

(٣) مرسية : من أعمال تدمير بالأندلس ، اختطها عبد الرحمن بن الحكم . (ياقوت) .

ودخلتُ على سلطان بلنسية ـ كان ـ العالِم أبي عبدِ الملك مروانَ بنِ عبْد الله ، ابنِ عبد العزيز[١] فى بستانه بحضرة مرّاكُش وهو يتوضّأ للصلاة ، فنظر إلى لحيته ، وقد اشتعلت بالشّيب اشتعالا فأنشدنى لنفسه ارتجالا :

ولمّا رأيت الشّيبَ أيقنتُ أنّه ... نذيرٌ لجسمى بانهـدامِ بنـائِهِ

[64 A] /إذا ابيضّ مُخضَرُّ النّبـات فإنّه ... دليـل على استحصادِه وفنَائه

وأنشـدنى الوزير بليغُ شرق الأندلس أبو بكرِ بنُ مُغاور[٢] فى منزله بمدينة شاطبة[٣] . قال : سمعت القاضى الشّهيد الإمام أبا علىّ حسين بن محمد الصَّدَفىّ[٤] يقول : سمعت الفقيهَ الإمامَ الأديب أبا زيدٍ عبدَ الرحمن بن شاطر السَّرقُسْطِىّ[٥] ينشدنا لنفسه :

قد كنتُ لا أدرى لأيّةِ علّةٍ ... صار البياضُ لباسَ كلِّ مُصابِ

حتّى كسانى الدّهرُ سحقَ مُلاءَةٍ ... بيضاءَ من شَيبى لفقـد شبابى

فبذا تبيّن لى إصابةُ من رأى ... لُبْسَ البياض على توَى الأحباب

---

(١) هو أبو عبدالملك مروان بن عبد الله بن مروان محمد بن مروان بن عبد العزيز، من أهل بلنسية . وكان قاضيها ورئيسها ثم خلع وانفصل عن بلنسية واعتقل ببعض معاقل ميورقة ١٢ سنة . ثم تخلص وسار إلى مراكش وبها توفى سنة ٥٧٨ هـ . وكان مولده ببلنسية سنة ٥٠٤ هـ . (ابن الابار ت ١٠٨٨) .

(٢) هو أبو بكر عبد الرحمن بن محمد بن مغاور . كان فى وقته بقية مشيخة الكتّاب وجلة الأدباء المشاهير بالأندلس . روى عن ابن واجب وابن العربى وابن ورد وغيرهم . وتأليفه المترجم بنور الكمائم وسجع الحمائم فى نثره ونظمه قد حمل عنه وسمع منه . وشارك مع الأدب فى الفقه . توفى سنة ٥٨٧هـ (ابن الأبار — ت ١٦٢٢) .

(٣) مدينة شرق قرطبة بالاندلس . (ياقوت) .

(٤) إمام محدث زاهد كثير الرواية ، و يعرف أيضا بابن سكرة ، لم يكن بشرق الأندلس فى وقته مثـله فى تقييد الحديث وضبطه والعلو فى روايته مع دينه وفضله وورعه توفى شهيدا عام ٥١٤هـ (بغية الملتمس ت ٦٥٥) .

(٥) سيذكره المؤلف (ص ١٢٩) وورد الشعر فى النفح (٥ : ٢٤٧) .

[64 B] / يُقال: تَوى يتوى، بفتح الواو فى الماضى، وبكسرها فى المضارع، وهى لغة طيّئ، والمصدر: تَوًى، مقصور، كلّ ذلك بالتّاء المثنّاة باثنتين من فوق. ولغة أهل الحجاز: تَوِى، بكسر الواو، ويَتْوَى، بالفتح فى المضارع، وهو اختيار الخليل: كلّ ذلك إذا هلَك. ولُبس البياض هى عادة أهل الأندلس فى الحزن على موتاهم، استَنُّوا ذلك من عهد بنى أُميّة قصــدًا لمخالفة بنى العبّاس فى لباسهم السَّواد، ولذلك قال الأستاذ النحوى أبو الحسَن الحُصرى:

إذا كانَ البياضُ لبــاسَ حُزن ... بأندلسٍ فــذاك من الصَّواب

ألم تَرَنِى لبستُ بيــاضَ شَيبى ... لأنى قد حَزِنت على الشَّبـابِ

[65 A] / ولقيتُ بمدينة غرناطةَ الوزيرَ الأجلّ أبا بكر، محمّدَ بنَ أبى العافية الأزدى القُتُنْدى[١] الأصل الأغَرناطى[٢] المنشأ، وكان من بقايا الأدباء وفُحول الشّعراء، ورُواة الحديث عن العلماء. سمع كتاب الملَخص وصحيح مُســلم على فقيه شرق الأنداس فى زمانه الحافظ أبى محمد بن أبى جعفر[٣]. وقرأ الأدب على الأستــاذ أبى عبد الله بن خطّاب المرُسى[٤] — عُرف بالجـَزَّار. وعلى الأديب أبى عبدالله محمد بن وضّاح[٥] — يُعرف بالبُقَيْرَة. وقرأ على الوزير أبى إسحاق الخَفاجىّ[٦] نظمَه ونثره فى مجلّدين. وقرأ على الأديب أبى الوليد يُونَس بنِ أبى عيسى الخبّاز. وله شعر كثير وأدب غزير.

---

(١) قتندة: بلدة بالأندلس ثغر سرقسطة. (ياقوت). (٢) يقال: غرناطة وأغرناطة.

(٣) هو أبو محمد عبد الله بن أبى جعفر محمد بن عبد الله بن أحمد الخشنى من أهل مرسية، وبها توفى سنة ٥٦٢ (الصلة ت ٦٤٢).

(٤) هو خطاب بن أحمد بن خطاب، فقيه عارف من أهل مرسية، تفقه بقرطبة، وروى عن ابن العربى. توفى قبل الثمانين وخمسمائة (بغية الملتمس ت ٧٢٨).

(٥) أديب شاعر من فحول الشعراء، مرسى الأصل. (بغية الملتمس ت ٤٦٩).

(٦) انظر ترجمته (ص ١١١) من هذا الكتاب.

مولده [١] سنة ثلاث عشرة وخمسمائة ، وتُوفى سنة أربع وثمانين
[65 B] / وخمسمائة بأَغَرناطة . سمعت منه وأجاز لى ولأخى أبى عمرو جميعَ ما رواه ونَثره
ونَظَمه . فمن شعره فى الشّيب :

لأمرٍ ما أكابدُ كلّ شَجْـو إذا سَجَعت على الأيك الحَمَـامُ
لأنَّ بياضَهـا كبياضِ شَيبى فمعْنَى سجعها قَرُبَ الحِمَـامُ

وأنشدنى هذا الوزير أيضا لنفسه فى تفّاحة بيد غُلام وسيم يأكلها :

ولا كتفّاحة حمراءَ همتُ بها إذ أشبهت خدّ مَن قلبى متيّمهُ
سمَت بها كفُّه يومًا إلى فَمـه نخلتهُ البـدرَ والمرِّيخُ يلثـمه
أو شَارباً كأسَ صهباءٍ معتَّقَةٍ ولاحبَابَ سِوى أن رَاق مَبْسمه

* * *

[66 A] / وأنشدونا لأبى عثمَان سعيد بن فَتحون [٢] بن مُكَرَّم التُّجيبى [٣] فى الشَّيب لنفسه :

تخطُّ يدُ الزّمان على عِذارى سطوراً من حروف الشّيب بِيضَا
فأُبغضُها وإن كانت كصُبح ولم أر قَبْلها صُبحا بغيضَا

* * *

ودخلت على سلطان بَلَنسيةَ [٤] المتقدم ذكره ، بعد ذهاب مُلكه ، وانتثار سِلْكه ،
فى داره بمدينة مرّاكُش ، وقد كان خُطِبَ له من حِصن لَقَنْت [٥] إلى مدينة لارَدَة [٦] ،

(١) أى مولد محمد بن أبى العافية المتقدم .
(٢) من أعيان المائة الخامسة ويعرف بالسرقسطى ، كان ذا أدب وعلم وتصرف فى حدود المنطق . (انظر بغية الملتمس ت ٨١٣) .
(٣) تجيب ، بالضم ويفتح : بطن من كندة .
(٤) هو أبو عبد الملك مروان المتقدم (ص ٨٠) .
(٥) لقنت : حصنان من أعمال لاردة بالأندلس ، لقنت الكبرى ولقنت الصغرى ، وكل واحدة تنظر إلى صاحبتها . (ياقوت) .
(٦) مدينة شرق قرطبة .

وكانت الأوامر عنه فيها صادرة واردة ، وهو يعالج سكرات الموت ، وقد أشرف على الفَوت ، فأنشدنى فى ذلك الوقت الذى تذهَلُ فيه العقولُ ، ويزول عنها المعقول :

[66 B]

/ إلٰه الخَلْق هَبْ لى منك عفواً تحطُّ به وتغفر من ذنوبى
وسعتَ الخلق إجمالًا وفضلا فهل لى فى نوالك من ذَنوب

الذَّنوب ، فى اللغة : الحظّ والنّصيب ، ومنه قولُ عَلقَمة بنِ عَبدة :

وفى كُلِّ حىٍّ قد خبطتَ بنعمة فحَقّ لشأْسٍ من نَداك ذَنُوبُ

أى نصيب ، ومنه قول الراجز أيضا :

لَنا ذَنوبٌ ولكم ذَنُوب فإن أبيتم فلنا القليبُ[1]

والذَّنوب ، أيضا : الدّلو العظيمة إذا مُلئت أوقاربت الملء ، وهو السَّجل أيضا فالموت نهاية كلّ عيش ، وغاية كل ملك وجيش .

[67 A]

ومن مليح ما / أنشدنيه ، وقد ولِىَ مكانَه من لا يساويه ولا يدانيه[2] :

ولا غَرْوَ بعدى أن يُسوِّد مَعشرٌ فيُضحِى لهم يومٌ وليس لهم أمسُ
كذاك نجومَ الجوّ تبدُو زواهرًا إذا ماتوارتْ فى مَغارِبهَا الشّمس

* * *

(١) فى لسان العرب (ذنب) : «لها» مكان «لنا» . قال الفراء : « الذنوب فى كلام العرب : الدلو العظيمة ، ولكن العرب تذهب به إلى النصيب والحظ » . ثم ساق هذا البيت .

(٢) انظر النفح (٤ : ٢٧١) .

وأنشدنى المحدِّثُ العدلُ أبو القاسم بنُ بشكُوال(١) ، قال : أنشدنا أبو القاسم ابنُ صوابٍ المُقرئ قال :

أنشدنا الأستاذ أبو الحسن الحصرى(٢) لنفسه فى التَّجنيس :

فارقْتنى وأنا والشوقُ إلفانِ ... فَسَلْ رسولَك عنّى كيف ألفَانِى

قبّلتُ كُتْبكَ من فرط الهوى قُبَلا ... أقلُّهن إذا عدَّدت ألفَانِ

[67 B] وكتب إلى العالم الأديبِ الحسيبِ أبى محمّدٍ غانمِ / بن وليدٍ المخزومى(٣) :

لقد فاق فى نَثْرِه غانمٌ ... بديعَ الزّمان وقابوسَه

وروّى الظِّماءَ بماء النّعـ ... ـيم فلا عيشَ إلا وَقَى بُوسَه

بديعُ الزّمان ، هو علّامةُ هَمذَان ، وصاحب المقاماتِ المبتكرات الحسان . وقابوسُ(٤) ، هو الملك شمس المعالى بن وشمكير الدّيلمىُّ صاحب طَبَرستان وجرجانَ . وله نثرٌ بديع ومنظوم ، وبصرٌ بأحكام النجوم ، ذِكْرُه مشهور معلوم ، وهو القـائل :

قُل للذى بِصُروفِ الدّهرِ عيَّرنا ... هل عاندَ الدهرُ إلا من له خطرُ

أما تَرَى البحر يطفُو فوقه جِيفٌ ... وتَسْـتقرُّ بأقصى قَعره الدُّررُ

---

(١) انظرا لحاشية (٣ ص ٧) .

(٢) انظر الحاشية (٤ ص ١٣) .

(٣) هو غانم بن الوليد بن عبد الرحمن المخزومى المالقى فقيه مقدم ، وأستاذ فى الآداب وفنونها . روى عن أبى يوسف بن عبد الله بن خيرون النحوى ، وأبى عبد الله بن السراج وغيرهما . وروى عنه ابن أخته سليمان . توفى سنة ٤٧٠ هـ (بغية الملتمس ت ١٢٨٠ — وبغية الوعاة) .

(٤) كانت وفاته سنة ٤٠٣ هـ . وقد ترجم له ابن خلكان وأورد هذا الشعر له مع خلاف يسير .

وإن تكن نشبت أيدى الزّمان بنا وَنَالَنا من تَمادى بُؤسه ضَررُ
/ ففى السّماء نجومٌ مالها عددٌ وليس يُكسَفُ إلّا الشّمسُ والقمرُ [68 A]

***

وأنشدنى شيخنا الوزير الفقيه المحدّثُ الكاتبُ الساميُّ المراتب ، أبو عبدِ الله محمدُ بنُ أبى القاسم بنِ عميرةَ[1] ، قال : أنشدنا الفقيه الإمامُ المحدّثُ المفسّر أبو الحسن علىُّ بنُ عبد الله بنِ موهبٍ[2] الجذامىُّ ، يعرف بابن الرَّقّاق ، بالراء المهملة :

مُحِبُّك يَسهرُ الّليلا يكيلُ دموعَه كَيْلَا
تُمنِّيه الوصالَ ولا ينال من الرِّضا نَيلا
ستقتله كما فَعلت بقَيْس قبله لَيْلى

***

وسأل شيخُنا القاضى الفقيه ببلنسية أبو الحسن محمدُ بن واجب[3] شيخَنا الإمام المحدّث المفسّر أبَا الحسن بن الرَّقّاق ، كم تحفظُ من الشّعر؟ فقال: / ألفَ [68 B] قطعة مثلَ هذه فى الحسن ، وأنشد :

وشادنَين ألمّا بى على مِقَةٍ تنَازعا الحُسن فى غايات مُستَبِقِ
كأن لِمّةَ ذا من نَرجِسٍ خُلقت على بَهارٍ وذا مسكٌ على وَرِقِ

---

(١) انظر الحاشية (٦ ص ٢٠) .
(٢) محدث راوية ، يروى عن أبى عمر بن عبد البر الحافظ ، وأبى الوليد الباجى وغيرهما . ولد سنة ٤٤١ هـ وتوفى سنة ٥٣٢ هـ (بغية الملتمس ١٢٢٢) .
(٣) فقيه محدث توفى سنة ٥١٩ هـ (بغية الملتمس ٢٩٦) .

وحكّما الصبّ فى التفضيل بينهما ولم يخافا عليه رِشوَةَ الحَــدَقِ

فقـام يُدلى إليـه الرّيمُ حُجّته مبيّنًـا بلسـان منـه مُنطلق

فقـال وجهىَ بدرٌ يُستضاء به ولونُ شَعرىَ مقطوعٌ[1] من الغسق

وكحل عينىَ سِحــرٌ للنُّهى وكذا كَ السّحر أحسن ما يُعزَى إلى الحَدق

[69 A] / وقال صاحبه أحسنت وصفَك لـ ـكنْ فاستمع لمقالٍ فىَّ متّفق

أنه على أُفُق شمــسُ النّهـار ولم تغرُب وشُقرةُ شعرى شقْرةُ[2] الشّفق

وفضل ما عيبَ فى عينىَّ من زَرَق أنَّ الأسنَّةَ قد تُعزَى إلى الزَّرق

قضيتُ للّمّة الشّقراء حيث حكَت لونى كذا حبُّها يقضى على رَمَقى

فقام ذو اللّمّة السّوداء ترشُقُنى سهامُ أجفانه من شــدّة الحَنَق

وقال: جُرتَ ؛ فقلت الجورُ منك على قلبى ولى شاهدٌ من دمعىَ الغَدِق

فقلت عفوَك إذ أصبحتُ متّهما فقال دونك هذا الحبلَ فاختَنِق

[69 B] / وهذه القطعةُ للفقيه أبى أيّوبَ سُليمانَ بنِ محمد بن بطّالٍ البطليوسى[3] ، يُعرف بالمتلمّس — والمتلمّسُ فى اللّغة معناه : الطّالب — وهو صاحب كتاب « الأحكام ممّا لا يستغنى عن عِلمه الحُكّام » وصل إليه فَتيـانِ : أحدُهما ذو لِمّـة شقراء ، والآخر ذو لمّة سوداء ، يحاكمان عنده أيهما أجمل . فقال هذه الأبيات . فتكلّم بألسنةِ المجيدين ، وتصرّف تصرّفَ المطبوعين ؛ بجَمَع الله العظيمُ له براعة الفقهاء ، وبلاغة الشّعراء النُّبهاء .

* * *

(١) فى النفح (٤ : ٢٧١) : « مصبوغ » .　(٢) فى النفح (٤ : ٢٧١) : « حمرة » .

(٣) كان قريبا من الأربعمائة . (جذوة المقتبس ص ٢٠٦ — وبغية الملتمس ت ٥٦٢) .

وأنشدنى الفقيه القاضى بمدينة دانية أبو عبدالله محمدُ[1]، ابنُ الفقيه القاضى بسبتة أبِى الفضل عياضِ بن موسى بن عياضٍ اليحصُبىّ ، قال: أنشدنى أبى لنفسه ، فى خامات زَرع ، بينها شقائق نعمانٍ ، هبّت عليه ريح :

[70 A] /أُنظُر إلى الزَّرع وخَاماته تَحكى وقد ماسَت أمامَ الرِّياحْ
كتيبةً خضراءَ مَهزومةً شقائقُ النعمان فيها جِرَاح

الخامة : القصبة الرّطبة من الزّرع .

وأنشدنى أيضا ، قال : أنشدنى أبى لنفسه رحمه الله :

يا من تحمّل عنّى غيرَ مكترث لكنّه للضّنَى والسُّقمِ أوصَى بِى
تركتَنى مستهامَ القلب ذا حُرَق أخَا جَوًى وتباريحٍ وأوصاب
أُراقب النّجمَ فى جُنح الدّجى سَهِراً كأنّى راصدٌ للنّجم أو صابى
وما وجدتُ لذيذَ النوم بعدكمُ إلّا جَنَى حَنظَلٍ فى الطّعمِ أو صاب

[70 B] قوله : أوصى بى ، من الوصيّة . والأوصاب: جمع وصَب ، وهو المرض وَصِب يَوْصَب فهو وَصِب، إذا لزمه وجَع . والصَّابى، يُهمز ولا يُهمز؛ قرأ نافع : (الصّابِين) و(الصّابُون) حيث وقع من القرآن بلا همز . وذلك على وجهين: أحدهما ان يكون خفّف الهمزة ؛ والوجه الآخر أن يكون : صَبَا إلى اللّهو يصبُو صبوًّا . والباقون يهمزون من قولهم : صبأ فى الدّين صُبوءا ، فالصَّبَأَة ، مثل: كافر وكَفرة،

---

[1] فقيه من أهل سبتة سمع من أبيه ومن ابن العربى . وولى قضاء دانية قبل السبعين وخمسمائة ، وكان جيد السيرة نزيها له مشاركة فى الآداب والأخبار . توفى سنة ٥٧٥ هـ . (ابن الأبار ت١٠٥٦) .

ومعناه الخارجُ من دين إلى دين ، لأنّهم خرجوا من اليهوديّة والنّصرانيّة إلى دين ثالث . معظمهم يعُبد الدّرارى ، ومنهم من يعبد الملائكة ؛ وقبلةُ صلاتهم من قِبَلِ مهبّ الجَنوب . و يزعمون أنّهم على دين نُوح، على / نبيّنا وعليه السّلام ، وفيهم اختلاف وكلام . والصّاب : الصَّبِر ، وهو مرّ . [71 A]

وأنشدنى أيضاً [لأبيه[1]] :

الله يعلم أنّى مُنذ لم أَركم كطائرٍ خانَه ريشُ الجناحيْنِ
فلو قدرتُ ركبتُ البحر نحوكُمُ فإنّ بُعدَكُمْ عنّى جَنَى حَيْنِى

***

وأنشدنا أيضا لأبى محمد عبدِ الله بنِ هارونَ من شعراء السّبتيّين المطبوعين فى غلام رفّاء ، وكأنّ وجهه قمرُ سماء :

يا رافيًا قَطَعَ كُلّ ثوبٍ ويا رشًا خَيَّبَ اعتقادِى
عسى بكفّ الوصال ترفُو ما قطعَ الهجرُ فى فؤادى

***

وأنشدنى أيضا قال : أنشدنى أبى لمُوسَى بن عيسى السّمسار البَلَغواطى فى غلام أَهدى له بَنفسَجا :

ما كان ألطفَه برُوح مُحبِّه إذ سأَلها منه بغير تَحرُّجِ
أهدَى إليه بَنفسَجًا يَشتمُّه فإذا به رِفقاً دعا يا نَفْسُ جِى

[71 B] / وهذه القبيلة يقال لها : بلغْواطة ، بلام مفتوحة، وإسكان الغين . والنسب إليها : بلَغواطى . قرأته فى كتاب «تثقيف اللسان، وتلقيح الجنان» ، للقاضى الجليل

---

(1) التكملة من ابن خلكان فى ترجمة عياض .

[illegible] له يقال لها بغواطة [illegible] بلام مفتوحة واسكان
[illegible] النسب [illegible] كتاب تقريب
[illegible] عن الحليباني ابي حفص عمر بن
الحنيري المازري و [illegible] في بذلك اللغوي
يروي ابو بكر محمد بن البر التميمي عن اللغوي الكبير ابي
عبد الله القزاز قال والعامة تقوله بالراء برغواطة
والصواب بلغواطة كما تقدم ٥ وانشدني ايضا
[illegible] انشدني ابي للفقيه الاديب ابي الحسن علي
بن عمر بن الامام الفقيه عالم سبتة ابي محمد عبد الله بن
[illegible]

تهدف حيث الجنون كانما من ارجل النمل استفاد عذارا
ابلا اذا استقبلته وتخال ما يجري عليه نهارا
[illegible] انشدني ابي [illegible] انشدني



أبي حفصٍ عمرَ بن خلف الحِمْـيريِّ المـازرى قال : أخبرنى بذلك اللغوىُّ النَّحوىّ أبو بكرٍ محمدِ بن البرّ التَّميمى[١]، عن اللّغوى الـكبير أبي عبدالله القزّاز[٢]، قال: والعـامّة تقولُه بالرَّاء : بَرَغْواطة ، والصواب : بلَغْواطة ، كما تقدم .

وأنشـدنى أيضا قال : أنشدنى أبي للفقيهُ الأديب أبي الحسن على بن عمر ، ابن الإمام الفقيه عالمِ سبتة أبي محمدٍ عبد الله بن غالب :

ومهفهف خَنِثِ الجفون كأنّما ... من أرجل النَّمْل استفَاد عِذَارا
فتخالُه ليـلا إذا اسـتقبلتَه ... وتخال ما يجرى[٣] عليه نَهـارا

وأنشدنى أيضا قال : أنشدنى أبي ، قال : أنشدنى / الشيخ أبو علىٍّ الحسنُ [72 B] ابنُ علىٍّ بن الفضل الفقيه ، قال : أنشدنى خالُك أبو بكر محمدُ بنُ علىٍّ المعافِرىُّ — المعروفُ بابن الجوزىّ — للكاتب أبي بكر بن عَطاء ، كاتب صـاحب سَبْته الحاجب بهاء الدولة وكاتب أبيه قبلَه :

سأمنع قَلبى أن يكونَ لكم مَثْوى ... وأستدفعُ البَلْوى وأستصرف اللَّهوَا
وما سرَّنى بعـد الرِّضـا إذ غدَرْتمُ ... وغدرتُمُ بين الحَنَى هضْبَتَىْ رَضْوى
وصـيَّرتُمُ العُتبى عِتـاباً فكأنّما ... أبثُّكُمُ شجوى تَزيدوننى شَجْـوا
قضى الله أنّ أُقْصَى وأُصفيكم الهوى ... وغيرى يُسْتدنَى وإن كان لا يهوى

---

(١) هو محمد بن على بن الحسن بن على التميمى ، من أهل القيروان . رحل إلى الأندلس سنة ٤٦٠ هـ . وكان أحد الأئمة فى علم العربية واللغات والآداب . وهو شيخ أبي القاسم على بن القطاع المصرى وأبي العرب الصقلى . (ابن الأبار ت ١٠٥١) .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن جعفر النحوى المعروف بالقزاز القيروانى ، نحوى لغوى . توفى سنة ٤١٢ هـ . وقد قارب السبعين . (بغية الوعاة ووفيات الاعيان) .

(٣) فى الأصل : « يحوى » وظاهر انه محرف عما أثبتناه . يشير الى سواد العذار على بياض الخد .

وما كان ظَنّى قبل ذا أنّ حاسدى بِمَنْهَلكم يُروى وأنّىَ لا أُروى

[72 B] / وما جلّت البَلوى علىّ وإنما شماتَةُ أعدائى أجلُّ من البَلْوى

وأنشدنى أيضاً قال : أنشدنى للفقيه الأجلّ أبى العبّاسِ أحمدَ بن سعيدِ ابن غازى السَّبتى يصف ناقة :

حَرْف كمثل الصّادِ إلّا أنها بعد السُّرى جاءت كحرف النُّون

كالبدر قَدَّره الإله منازلاً فى الأفق حتّى عاد كالعُرجون

والحرف: المُسنّة . وقال أبو زيد سَعيدُ بنُ أوسٍ اللّغوىُّ[١] : هى النَّجيبة الّتى أنضتها الأسفار ، وأنكرَ على من قال: هى المهزولة . وقال صاحب كتاب العَين :[٢] هى الصُّلبة ، شبّهت بحرف الجبل ، ثمّ قال : شُبّهت بحرف السّيف فى مَضائها .

*
* *

وأنشدنى جماعةٌ من شيوخى رحمهم الله، منهم : الشيخُ الفقيهُ المقرئ المجوِّدُ الخطيب المحدّث أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ البلنسىِّ ، المعروفُ بابن اليتيم[٣] ، بجامع مدينة مَالَقَة قال : أنشدنى العالم الزّاهد المقرئُ / الأديب المتصوف [73 A] أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ محمدِ بن موسى بنِ عَطاء الله الصّنهاجىُّ، المشهور بابن العَريف[٤] :

سلُوا عن الشّوق من أهْوى فإنهمُ أدنَى إلى النّفس من وهْمى ومن نَفَسِى

---

(١) هو أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصارى ، غلبت عليه اللغة والنوادر والغريب . وله مؤلفات كثيرة . توفى سنة ٢١٥ هـ (بغية الوعاة) (٢) هو الخليل بن أحمد الفراهيدى المتوفى سنة ١٧٥ هـ على خلاف فى ذلك (بغية الوعاة) .

(٣) هو أحمد بن محمد بن عبد الله الأنصارى ، فقيه سكن مالقة وحدث بها عن ابن ورد وابن وضاح وغيرهما . (بغية الملتمس ت ٣٧٠) .

(٤) فقيه زاهد . يروون عنه أنه كان يكتب سبعة خطوط لا يشبه بعضها بعضا ، وله شعر كثير ولكنه فى طريقة الزهد . (بغية الملتمس ت ٣٦٠) .

ما زلتُ مذ سكَنُوا قلبِي أصـــونُ لهم   لحْظِي وسمعي ونُطقي إذ همُو أُنُسي

وفي الحشَـــا نَزلوا والوهمُ يجرحهم   فكيف قَرُّوا على أذكَى من القَبَسِ

حلُّوا الفؤادَ ، فما أندى ، ولو وَطِئوا   صخرًا لجادَ بماء منـــهُ مُنبَجِسِ

لأنهضَنَّ إلى حشري بحبِّهم   لا باركَ اللهُ فيمَنْ خانهم فَنَسِي

* * *

وأنشدني الشيخ الفقيه الأجل ، إمامُ النحويين ، قاضي قضاة \ المغرب ، بقيةُ [73 B] أعلام مشيخة الأندلسيين ، أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ عبد الرحمن بنِ مضاءٍ اللخميُّ [١] رضي الله عنه قال : أنشـــدني الفقيه الإمام المفسر النّحويُّ الأصولي ، القاضي بمدينة المَرِيّة أبو محمــد عبدُ الحقّ بنُ الإمام أبِي بكرٍ غالبِ بن عبد الرحمن بن عطيّةَ المُحـــاربي [٢] يمدح الملمثّين ملوكَ المغرب المتقدّمين :

إذا لُثِّموا بالرّيط [٣] خِلْتَ وجوههم   ازاهرَ تبـــدو من فتُـــوق كمائم

وإن لُثِّموا بالســـابريَّة أظهـــروا   عيونَ الأفاعي من جلود الأراقم

* * *

(١) فقيه برع في علم العربية وصنف فيه ، وولي قضاء فاس ، ثم قضاء الجماعة بمراكش ، عاش قريبا من ثمانين سنة . توفي سنة ٥٩٢ هـ . (طبقات النحاة . تيمور تاريخ ٢١٤٦ جـ ١ صفحة ٢١٩) .

(٢) فقيه حافظ شاعر ، ألف في التفسير كتابا ضخما ، ولد سنة ٤٨١ هـ وتوفي بلورقة سنة ٥٤٢ هـ (بغية الملتمس ت ١١٠٣) .

(٣) الريط : جمع ريطة ، وهي كل ثوب لين دقيق .

وأنشدنى شيخنا أيضا قال : أنشدنا أستاذ المقرئين الفقيهُ الخطيبُ القاضى بإشبيلية أبو الحسن شريحُ بنُ مُحمد بن شريح الرّعينى [1] قال : أنبأنا الإمام حافظ أهل/زمانه أبو محمدٍ علىُّ بنُ أحمدَ بن سعيد بن حزمٍ الظّاهرىّ لنفسه فى كتابه [74 A] إلينا :

لئن أصبحتُ مرتحلًا بشخصى   فَرُوحى عندكُم أبدًا مُقيمُ
ولكن للعِيانِ لطيفُ معْنًى   له سأل المعاينةَ الكليمُ

*
* *

وأنشدنى جماعةٌ من شيوخى رحمهم الله منهم الأستاذُ النّحوىُّ أبو القاسم السُّهيلىُّ [2] — والأستاذ كلمة ليست بعربيّة ، ولا توجد هذه الكلمة فى الشّعر الجاهلىّ . واصطلحت العامّة إذا عظّموا المحبوبَ أن يخاطبوه بالأستاذ ، وإنّما أخذوا ذلك من الماهرِ بصنعته ، لأنه ربّما كان تحت يده غلمان يُؤدبهم ، فكأنه أستاذ فى حسن الأدب . حدّثنى بهذا جماعة ببغداد ، منهم جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزى رحمه الله . قال : سمعته من شيخنَا اللغوى أبى مَنصور/مَوهوبِ [74 B]

---

(١) انظر الحاشية (٢ ص ٦٢) .

(٢) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد من أهل مالقة ، درس القراءات واللغة والنحو والأدب وكتب الفقه ، وكان عالما بالسير والأخبار والأنساب ، وله حظ وافر من قرض الشعر ، يغلب عليه علم العربية والغريب . وتصدر للإقراء والتدريس وإسماع الحديث ، وله كتاب الروض الأنف ، وهو أجل تواليفه ، والتعريف والإعلام بما أبهم فى القرآن العزيز من الأسماء الأعلام . ولد سنة ٥٠٧ هـ . وتوفى بمراكش سنة ٥٨١ هـ (ابن خلكان) .

ابن أحمدَ الجواليقى[١]، فى كتاب المُعرَّب من تأليفه وكان السُهيلىّ فردا فى زمانه ، لبراعته فى العلوم وافتنانه . قال : أنشدنى الإمامُ العالمُ الزّاهدُ أبو عبدِ الله محمدُ بنُ معمر المذحجىُّ[٢] قال : أنشدنى الأديب الشاعر أبو القاسم خلفُ بنُ فرج الأليرى — المعروف بالسُّميسير — لنفسه :

بعوضٌ جَعلْن[٣] دَمى قهوةً وغَنَّيْننى بضُروب الأغانْ
كأنّ عُروقىَ أوتارُها وجِسمِى الرَّبابُ[٤] وهنّ القِيان

وأنشدنى سيّدى أبى رضى الله عنه للسُّميسر يصف الدّهر وتقلّبه بأهله ، وذلك من فعل الله لا من فعله :

النّاسُ مثلُ حَبابٍ والدّهر لجّةُ ماء
فعالَمٌ فى طُفُوٍّ وعالَمٌ فى انطفاء[٥]

وهجوه أكثر من مدحه ، يارِبّ سامحه على قُبحه . له مجلّداتٌ سمّاها بشفاء الأغراض ، فى أخذ الأعراض .

* * *

---

(١) كان إماما فى فنون الأدب ، درس الأدب بالمدرسة النظامية بعد التبريزى . وكان فى الفقه أمثل منه فى النحو صنف شرح أدب الكاتب . وما تلحن فيه العامة وما عرب من كلام العجم . وتتمة درة الغواص . مات سنة ٤٦٥ هـ (بغية الوعاة صفحة ٤٠١) .

(٢) من أهل غرناطة (ابن الأبار ت ٤٦٣) .

(٣) رواية النفح (٤ : ٣٠٤) : « شربن » .

(٤) الرباب : مغنية معروفة .

(٥) كذا فى الأصل نفح الطيب (٤ : ٢٧٢) وإن حسن الجناس بين « طفو » و« انطفاء » فالطباق بينهما بعيد التأويل .

[75 A] / وأنشدنى الشيخ الفقيهُ الأجلُّ القاضى بجزيرة شَقْر[١] أبو يوسفَ يعقوبُ ابنُ محمدِ بن طلحةَ[٢] بمنزلى[٣] بمدينة شاطبة[٤]، قال: أنشدنى الوزيرُ الأديبُ الشّاعرُ المُصيب أبو إسحاق الخفاجى[٥] لنفسه :

ما للزّمان يجُور فى أبنـائِه ... حُكْماً ويرمقُهم بعين العائبِ
فيحطُّ عُلْوهم ويرفع سُفْلهم ... فكأنهم قـلَمٌ بيُمْنَى كاتب

* * *

وأنشدنى الأستاذ شيخُ الاتقان ، وواحد أئمة الفُرقان ، أبو العبّاس أحمدُ ابنُ عبد الرحمن ، قال: أنشدنا الأستاذ أبو داودَ سُليمانُ بنُ يحيى، قال : أنشدنا الأستاذ أبو الحَسن الحُصْرى لنفسه :

ضاقتْ بَلَنْسـيَّةُ بى ... وذاد عنّى غُمُـوضِى[٦]
رَقْصُ البراغيثِ حَولِى ... على غِنَـاء البَعُوض[٧]

* * *

[75 B] وأنشدنى الوزير الكاتبُ النّاظم النّاثرُ العالم / أبو يحيى أبو بكر بنُ عبد الغنىّ ، المعروفُ بابن الجنّان، بمدينة مَرّاكش سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة، قال: أنشدنى

---

(١) شقر ، بفتح أوله وسكون ثانيه : جزيرة فى شرق الأندلس .

(٢) سكن شاطبة وقرأ الموطأ وصحب ابن خفاجة وحمل عنه شعره . وكان فقيها مشاورا أديبا بارعا . توفى سنة ٥٨٤ هـ عن ثمان وسبعين سنة . (ابن الأبار ت ٢١٠٥) .

(٣) كذا ، وكان الظن أنها « بمنزله » أى بمنزل القاضى ابن طلحة ، والمعروف أن ابن دحية طلب الحـديث فى أكثر بلاد الأندلس .

(٤) شاطبة : مدينة فى شرق الأندلس إلى الشرق من قرطبة .

(٥) هو أبو اسحاق إبراهيم بن خفاجة .

(٦) الغموض : مثل الغمض والغماض .

(٧) وقد روى أيضا المقرى فى النفح البيتين للحصرى فيما نسبه إلى ابن دحية .

الوزير الأديب أبو الإصْبَغ بنُ رُشَيد ، وقد هطَلت بإشبيلية سحابةٌ بِقطر أحمر ، فى يوم السبت الثالث عشر من صفر عام أربعة وستين وخمسمائة[١] :

لقد آن للنّاس أن يُقلعوا   ويَمْشُوا على المَنهج الأقْوَم
متى عهِـــد الغيثُ ياغافلاً   كلَون العَقيق أو العَنْـــدم
أظنُّ الغمائم فى جوّها   بَكَتْ رحمـــةً للورَى بالدّم

وفيها[٢] من غير هـــذا المعنى :

لا تكُنْ دائمَ الكآبةِ ممّا   قد سَرى فى الثَّرى نميرًا نَجيعَا
لَطَمَ البرقُ صفحةَ المُزن حتّى   سال منه على الرّياض نَجيعا

النّجيع الأول، من قولهم: نجع الطّعام يَنْجَع نُجوعا ؛ كما يقال: نَمير. ونجع فى الدّابة العلفُ، إذا / أثّر فيها فسمنَتْ وقويتْ على المشى ؛ وقد نَجَعَ فيه الخطابُ والوعظ [76 A] والدّواء : دخَل وأثّر. قال الثّقةُ عبد الله محمدُ بن أبى العبّاس اليزيديُّ[٣]: النّجيعُ: ما نجَعَ فى البدن من طعام وشراب . وأنشد لمسعودٍ أخى ذى الرُّمّة :

وقد عَلمتْ أسماءُ أنّ حديثَها   نَجيعٌ كما ماءُ السماء نجيعُ

---

(١) أورد المقرى هذا الخبر مع الأبيات (٥ : ٢٦١) مع خلاف يسير .

(٢) العبارة فى النفح : «وفيها أيضا» أى فى هذه السحابة ذات القطر الأحمر .

(٣) هو المبرد ، صاحب الكامل ، المتوفى سنة ٢٨٦ هـ .

والنّجيعُ الثّاني،مِن الدّم،ما كان إلى السّواد. وقال الأصمعىّ: هو دَمُ الجوف خاصة.

وفيها، وأستغفر الله:

لِيسَ ما قد هَمَى عذاباً ولكنْ هو عندى من الثُّغور العِذَابِ
ضَحِكَ البرقُ عن لِثَاتِ عَقيق بين دُرٍّ من القِطار مُذَاب

وأنشدنى لابن رُشيد فى دُولاب:

ومَنْجَنُونٍ إذا دَارت سمعتَ لها صوتاً أجشّ وطَلَّ الماء يَنهملُ
/ كأنّ أقداسَها رَكْبٌ إذا سَمعوا منها حُداءً بَكَوْا للبَيْن وارتحلوا [76 B]

الأقداسُ: جمع قَدَس، بفتح القاف والدّال، والعامة تقول، قَادُوس.

وأنشدنى [له][1] فى اللُّغز، فى فتى اسمُه مالك:

غزالىّ الجُفون شَقيقُ بدرٍ تبَسّم عن عَقيق فوقَ دُرّ
له نفحاتُ مسكٍ أىّ مسك له نَفثات سحر أىّ سِحر
شكوتُ له الهوَى والهوْنَ[2] منه فقال عليك باسمى سوف تدرى
تعلّمتُ القَساوةَ من سَمِيِّ[3] وأحرقتُ القلوب بنار هجرى

* * *

(١) التكلة عن النفح.

(٢) فى النفح: «والهجر».

(٣) يريد: خازن النار، وهو مالك.

وأنشدنى الفقيه الأجلّ العالم الحسَيب أبو الحسن علىٌّ[١] بنُ أحمدَ بن علىّ ابن فَتح، وهو لُبَّالُ بنُ أمية بن إسحاق القرشىُّ الأموىُّ، بمنزله بمدينة شريش شَذُونَة[٢]، وهو عَينُ ذلك المصر، وفارسُه فى الفقه والنَّظم والنَّثر؛ وَلِىَ القضاء به فحمدت فى ذات الله مآثرُه / وآثارُه، وسارت فى العدل أخبارُه؛ يتشوق إلى الروضة [77 A] المقدّسة الطاهرة، ويسلّم على محمدٍ سيّد ولد آدم فى الدنيا، وسيّد الناس فى الآخرة ذى الآيات البيّنات والمعجزات الباهرة، صلّى الله عليه ما زهرت الكواكبُ ودارت الأفلاك الدائرة:

سلامٌ ولا أقرَا سلامًا على هند	صرفتُ إذًا مَسراىَ عن مَسْلَك الرُّشد
على قَمَر لو أطلعتْه يدُ الثَّرى	لقَصَّر عن لألائه قمرُ السَّعد
وأربى على نُور الغَزالة نورُه	كما يفضُلُ الحُرّ الكريمُ على العَبد
فطاب به تُربُ الضريح بطيبه	فيعبَقُ عن مسكٍ ندىٍّ وعن نَدّ
ويَضحكُ عن رَوْضٍ تُدانِى يدُ الصَّبا	به صفحةَ السَّوسان من صفحة الوَرد
فطُوبَى لمن أضحى يمرّغُ لوعةً	بتُربة ذاك القَبرِ خدًا إلى خدّ
/ نبىٌّ عليه من تلألؤ نُوره	تلألؤُ برقٍ أسْرَجته يدُ الرّعد [77 B]
نما من قُريش فى ذُؤابةِ هاشم	فما شئتَ من فضلٍ عَميمٍ ومن مجْد
سلامٌ عليه ما تغنّت حمامةٌ	وفاحَ ذكىُّ المسك من جنّة الخُلد
وما أنشد المشتاقُ إن هبّت الصَّبا	«ألا يا صبا نجدٍ متى هِجتِ من نجد»[٣]

---

(١) ولى قضاء بلده . وله مصنف فى شرح مقامات الحريرى . وتوفى سنة ٥٨٣ هـ (التكملة ١٨٧٤) والرايات، والمغرب (ص ٣٠٣) وصلة الصلة (ت ١٠٩) .

(٢) شذونة : كورة بالاندلس قاعدتها شريش . وقيل : شريش : مدينة كبيرة بها .

(٣) صدر بيت للمجنون عجزه :

∴ لقد زادنى مسراك وجدا على وجد ∴

وأنشدنى أيضا لنفسه فى الجلمين :

ومُعتَنِقَين ما اتُّهما بعشق ... وإن وُصِفا بِضَمّ واعتناقِ

لعَمْر أبيك ما آجتَمعا لمعنىً ... سِوى مَعنى القَطيعة والفرَاق

وأنشدنى أيضا فى محبرةِ عُنَّاب مُحلّاة بفضّة :

مُنْعَلةٌ بالهلال مُلْجمةٌ ... بالنَّسر مجدولَةٌ من الشَّفقِ

كأنّما حِبْرُها تَميّع فى ... فُرضتها سائلًا من الغَسَق

فأنتَ مهما تُرِد شَبيهَتها[1] ... فى كُلّ حالٍ فانظرُ إلى الأُفُق

[78 A] /وله فى محبرةٍ آبنُوس :

وخَديمةٍ للعِلم فى أحشائِها ... كَفَفٌ بجمْع حَرامه وحَلاله

لبِستْ رداءَ اللّيل ثمّ توشَّحت ... بنجُومه وتَتَوّجت بِهِلاله

وأنشدنى لنفسه فى اللُّغز :

سَبيئتان آثنتان هذى ... حِلٌّ مُباح وذِى حَرَامُ[2]

قُل لذَوِى العِلم خَبِّرُونى ... ما الحِلُّ منها وَما الحرامُ

---

(١) فى النفح (٥ : ٢٠٥) : « تشبيها » .

(٢) البيتان فى النفح (٥ : ٢٠٥) والشريشى (١ : ٩٧) .

السَّبيئة الأولى : هى الشاةُ المَسلوخة، يقال : سَبأْتُ الجلد، إذا سلَخْتَه، والثّانية : الخمر .

*
* *

وأنشدنى أيضا فى اللُّغز لنفسه :

مُعَانَقَةُ العَجوزِ أشدُّ عندى   وأَقتَلُ من مُعانقة العَجوز

وما ريق العَجوزُ أمرُّ عندى   ولا بألذَّ من بَوْل العَجوز

العجوز الأولى : المرأة المُسنّة، والثانية : السّيف، والثالثة : الخمر، والرابعة : البقرة، وبولُها : لبنها .

B]8[7 / وله، حِجازيّة :

متَى أقولُ وقد كَلَّت ركائبُنا   من السُّرَى وآرتكابِ البِيدِ فى البُكَر

يا نائمين على الأكوارِ ويحكُمُ   شُدُّوا المَطىَّ بذِكْرِ اللهِ فى السَّحَرَ

أمَا سمعتُم بحَادِينا وقد سَجَعتْ   وُرقُ الحمائم فَوق الأَيكِ والسَّمُرُ

هذى البِشارةُ يا حُجَّاجُ قد وجبتْ   غدًا تَحُطّون بين الرُّكْنِ والحِجَرَ

* *
*

ومن شعراء الأندلس الذى فاخرت به شعراءَ العراق ، وأجْلَبَ به المغربُ على المشرق وجَلَبَت اليه من أنفاسه نفائسَ الأعلاق ، وسارت أشعاره سير الأمثال فى الآفاق ، الشّاعر/ الرّقيق : [79 A]

أبو الحسن علىُّ بنُ عطيّةَ بن الزّقاق[١]

وقد حدّثنى بديوانه ، جماعةٌ من أخدانه . منهم الأديب الوزير ، أبو بكرٍ يحيى[٢] ابن محمد الأنصاريُّ الأركشى[٣] ، أتحفه الله بردَاء عِرفانه . فمن بديع شعره ، ومنظوم دُرّه قولُه :

لعمرُ[٤] أبيهَا ما نكثتُ[٥] لها عَهْدَا ... ولا فارقتْ عَينى لفُرقتها السُّهْدَا

أتأمرنى سُعدى بأن أهجَرَ الكَرى ... وأعصِى على طَوْعى لأجفانِها سُعدى

بَرِئْتُ إذاً من صُحبة الرّكب والسُّرى ... ولا عَرفَت إبْلى[٦] ذَميلا ولا وخْدا

وليلٍ طرقتُ الخِدْرَ فيه وللدُّجى ... عُبَابٌ تَراهُ بالكواكِب مُزْبِدا

---

(١) شاعر بليغ أخذ عن ابن السيد البطليوسى و برع فى الآداب وتقدم فى صناعة الشعر ، وامتدح الكبار ودون شعره فى ديوان ، ومنه مخطوطة بالمكتبة التيمورية ١١٦٨ . توفى فى حدود الثلاثين وخمسمائة ولم يبلغ أربعين سنة . (ابن الأبار ت ١٨٤٤ — وفوات الوفيات ٢ : ٧٧) .

وقد أورد له المقرى فى النفح فى الجزأين الرابع والخامس قدرا من شعره .

(٢) أديب كاتب شاعر ، أخذ عن ابن خفاجة شعره . قتل بقرطبة فى داره سنة ٥٧٦ هـ . وكانت ولادته سنة ٥٠٧ هـ (ابن الابار — ت ٢٠٥٣) .

(٣) أركش : حصن بالاندلس على وادى لكة .

(٤) فى الأصل : «نعم وأبيها» . وما أثبتناه عن الديوان .

(٥) فى الديوان : « ما بكيت » .

(٦) الذميل : السير اللين . والوخد : الإسراع .

أُجاذبُ عِطْفَ المالكيّة تحتَه وأسحبُ من ضافى العفاف به[١] بُردا

[79 B] / نعمتُ بها والليلُ أسودُ فاحمٌ يغازل منها الأسودَ الفاحمَ الجَعْدا

فلم أرَ أشهى من لَمَاهَا مُدامةً ولم أر أذكى من تَنَفُّسِها نَدّا

تبسَّمُ عمّا قَلّدتْه فأجتلى بمَبْسَمِها دُرّا ولَبَّتِها عِقْدا

ويَعبَقُ ريّاها إذا هبّت الصَّبا فيحملُ عنها نشرُها العنبرَ الوَرْدا

سلِ الرّيحَ عن نجد تخبّرْك أنّها معطَّرةُ الأنفاس مذ سكَنت نجْدا

وأنّ[٢] الغضا والسّدر مُذ جاوَرتهما بطيب شذاها أشبَها البانَ[٣] والرَّندا

وله فى غلام يكسف نُور البدر إذا طلع نُور طلعته ، وقد رُمى بحجر فانشقّ شقيق وَجنته :

[٤] وأحوى رُمِى عن قِسِيّ الحَوَرْ سِهاماً يُفوِّقهنّ النَّظَرْ

يقولون وَجنته قُسّمت ورَسْمُ محاسنه قد دَثر

[80 A] / وما شقّ وجنَتَه عابثٌ ولكنّها آيةٌ للبشر

جلاهَا لنا الله كيما نَرى بها كيف كان انشقَاقُ القمر

---

(١) فى الديوان : « له » .

(٢) فى الديوان : « فإن » .

(٣) فى الديوان : « النار » . وهو تحريف .

(٤) وردت الأبيات فى الديوان ولكنها كثيرة التحريف . وأورد الفتح منها البيتين الاخيرين مع خلاف يسير ، وأوردتها الخريدة (١٢ : ٣١) كما هى فى الأصل .

وله فى خَودٍ مهتصَرِ الخصر ، خَدلَّجة المِعصم والسّاق ، تُطالعُ من طلعتها مقاتِلَ الفرسان ومَصارعَ العشّاق :

وخَودٍ[1] ضَمّ مِئزَرُها كثيباً　　يُهالُ وبُردُها غُصناً يُراحُ

لها قُلُبٌ[2] أبى النُّطقَ اكتتاماً　　وسرُّ نِطاقِها أبدًا مُباحُ

وقد أمرتْهما بالكَتمِ لكن　　أطاعَ سِوارُها وعصَى الوشاحُ

وله فى ساقٍ كأنما اعتُصِرَ من خده ما بيمينه ، وأطلعَ فى مشرق كأسه ما أشرقَ من جبينه :

وساقٍ يحثُّ الكأسَ وهى كأنّما　　تلألأ منها مثلُ ضوءِ جبينِه

[80 B] / سقانى بها صرفَ الحُميّا عشيّةً　　وثنّى بأخرى من رَحيقِ جُفُونه

هضيمُ الحشا ذو وَجْنةٍ عَندميّةٍ　　تُريكَ قطافَ[3] الوردِ فى غيرِ حينه

فأشربُ من يُمناه ما فوقَ خدّه　　وألثمُ من خدّيه ما بيمينه[4]

وله فى محبوبة له ، ودَّعها واستودَعها قلبه ، فاستصحبتْه معها :

أأندُبُ[5] رَسْمَ دارِهمُ المَحيلَا　　وأسألُ عنهمُ الرِّيحَ البليلَا

وبِى هيفاءُ من ظَبْيات نجد　　تُضاهِى الغُصنَ والحِقفَ المَهيلَا

---

(١) هذه القطعة لم ترد فى ديوانه .

(٢) القلب : السوار ما كان قلدا واحدا .

(٣) فى فوات الوفيات : « جنى الورد »

(٤) فى الديوان والفوات : « فى يمينه »

(٥) هذه القصيدة لم ترد فى ديوانه .

أقول وقد توارت يومَ حَزْوَى[١] بكاتها وأشغفت الحُمولا
كرهتِ بأن ينالكِ لحظُ عيني فكيف رضيتِ أحشائي مَقيلا

وقال أيضا :

بأبِي وغير أبِي أغنُّ مُهفهفٌ مَهضومُ ما خَلْفَ الوشاح خَميصُهُ
/لبسَ الفؤادَ ومزّقتْه جُفونه فأتى كيُوسفَ حين قُدَّ قميصُه [81 A]

وله في الإشارة إلى دقّة[٢] الخصر :

وآنسةٍ زَارتْ مع اللّيل مَضجَعِي فعانقتُ غُصنَ البان منها إلى الفَجْرِ
أُسائلُها أينَ الوِشاحُ وقد سَرت[٣] مُعطَّلَةً منه[٤] ، معطَّرَةَ النَّشْر
فقالت وأومتْ للسّوار نَقَلْتُه إلى معْصمي لما تقلْقَل في خَصْرى

قال ذو النَّسبين رضي الله عنه : ومن مليح ما سمعتُ في دقّة الخصر ما أنشدنيه صاحبُنا الفقيه القاضي الأديبُ أبو حَفْص عمرُ بن عبد الله بنِ عمر السّلمىّ[٥] لنفسه :

لها[٦] رِدْفٌ تعلّق من ضَعيفٍ[٧] وذاك الرّدفُ لي ولها ظَلُومُ
/يُعذّبني إذا فكرتُ فيه ويُتعبها إذا رامتْ تَقُوم [81 B]

---

(١) حزوى بضم أوله : موضع بنجد في ديار تميم ، و يتردد كثيرا على ألسنة الشعراء .

(٢) في الأصل : «رقة» بالراء .

(٣) في الديوان : « عدت » .

(٤) في الأصل : «منها» .

(٥) نزيل فاس غلب عليه الأدب وفنونه وولي قضاء تلمسان ثم فاس . وولي قضاء إشبيلية ونال دنيا عريضة . وكان خطيبا مفوها . توفي سنة ٦٠٣ هـ وقد جاوز السبعين (ابن الأبار — ت ١٨٣١) .

(٦) البيتان في التبريزي (١ : ١٥٨) .

(٧) يريد نفسه ، أي إنه علقه وشغف به .

رجعنا إلى شعر الأديب أبى الحسن علىّ بن عطية بن الزقّاق :

ومرتجّة الأعطاف أمّا قوامُها (١) ... فلَدْنٌ وأمّا ردفُها فرَدَاحُ

ألمّت فباتَ الليلُ من قِصَرٍ بها ... يَطير ولا غيرُ السّرور جَناح

وبِتُّ وقد زارت بأنعمِ ليلةٍ ... تُعانقنى حتى الصّباح «صباحُ»

على عاتِقى من ساعدَيْها حَمائلٌ ... وفى خَصْرها من ساعدىَّ وشَاح

ولـه أيضا :

سَقَتْنِي (٢) بيُمناها وفيهافلَمْ يزلْ (٣) ... يُجاذِبُنى من ذا ومن هذه سُكْرُ

ترشّفتُ فاهَا إذ ترشّفتُ كأسَها ... فلا والهوى لم أدر أيُّهما الخمر

ولـه :

عِذيرىَ من هَضِيم الكَشح أحْوَى ... رَخيمِ الدّلِ قد لَبِس الشّبابَا

أعدّ الهجْر هاجرةً لِقَلْبى ... وصَيّر وعدَه فيها سَرابا

[82 A] /ولـه :

وعشيّةٍ لَبِستْ رداءَ شَقيقِ ... تزْهَى بلونٍ للخُدود أنيقِ

أبقتْ بها الشّمسُ المُنيرةُ مثلَ ما ... أبقى الحياءُ بوَجْنة (٤) المَعشوقِ

لو أستطيع شربتُها كَلِفًا بها ... وعدَلتُ فيها عن كئُوس رَحيق

---

(١) وردت الأبيات فى الديوان ، والشريشى (٢ : ١١٦) .

(٢) هذان البيتان لم يردا فى الديوان . وقد أوردهما ابن شاكر فى الفوات .

(٣) فى الفوات : « ولم أزل » .

(٤) فى الشريشى : (١ : ٧٢) . « بوجنتى معشوق » .

ولـــه :

كتبتُ[١] ولو أنّنى أسـتطيـ ع لإجلال قدرك دُون البَشرْ
قَـدذْتُ[٢] اليراعةَ من أنْمُـلى وكان المِـدادُ سـوادَ البَصَر

ولـــه :

وحبَّبَ يومَ السّبت عنـدىَ أنّه ينـادمُنى فيـه الذى أنا أحْبَبْتُ
ومِن أعجب الأشياء أنّىَ مُسلمٌ حَنيفٌ[٣] ولكنْ خيرُ أيّامىَ السّبتُ

ولـــه :

ومُقـلةِ شادنٍ أودتْ[٤] بنَفْـسى كأنَّ السُّقْمَ لى ولهـا لِبـاسُ
يَسُـلّ اللحـظُ منهـا مَشْرفيًّـا لِقتْـلى ثم يُغمده[٥] النُّعـاسُ

[82 B] /ولـــه :

وقفتُ على الرُّبوع ولى حَنينٌ لساكنهنّ ليسَ إلى الرُّبوعِ
ولـو أنّى حَنَنْتُ إلى[٦] مَغـانى أحبّانى حننتُ إلى ضُلوعى[٧]

ولـــه :

يا ثاوياً بضُـلوعى ما يُفارقُهـا وإنْ تَحمّـل عن أكنافِ أربُعِه
لأنتَ إنسانُ عَينى فاعجبَنّ لمـنْ إنسانُ مُقلته ما بين أضلُعـه

(١) ممـا انفرد بإيراده ابن دحية .

(٢) فى الأصل : « قدرت » تحريف .

(٣) هذه رواية الأصل و النفح والفوات ، وفى الديوان : « تق » .

(٤) كذا فى الأصل والفوات، وفى الديوان : « أودى » .

(٥) كذا فى الأصل والفوات، وفى الديوان : « يغمدها » .

(٦) فى الديوان : « على » .

(٧) يشير إلى ثواء أحبائه بين ضلوعه .

ولـــه :

رقّ النّســيمُ وراق الرّوضُ بالزّهَرِ فَنبّـه الـكأسَ والإبريق بالـوتَرِ

ماالعيشُ إلّااصطباحُ الرّاحِ أوشَنبٍ يُغنى عن الرّاحِ من سَلسالِ ذى أشُرِ[1]

قُل للكواكب[2] غُضّى للكَرى مُقلا فأعين الزّهر أولى منك بالسّهر[3]

/ وللصّباح ألا فانشُر رداءَ ســناً هذا الدّجى قد طَوته راحةُ السّحر [83 A]

وقام بالقهـوة الصهباءِ ذو هَيَفٍ يــكادُ مِعْطَفُـه يَنقـدّ بالنّظر[4]

تطفُو عليهــا إذا ما شجّهــا دُررٌ تخــالُها اختُلِستْ من ثغرِه الخَصِر[5]

والكأسُ فى كفّه بالرّاح مُترعةٌ كهالة أحدقَت فى الأُفــق بالقمر

وله فى صفة فرس أغرّ :

وأغرّ[6] مَصقولِ الأديمِ تخــالُه برقًا إذا جَمــع العِتَــاقَ رِهانُ

يطأُ الـثّرى متبخـــترًا فــكأنّه من لَحْظ من فى مَتْنه نَشوانــ

فــكأنّ بدر التّمّ فـوق سَراته حُسنًا وبين جُفونه كِيوانــ[7]

---

(١) الشنب ، ماء وعذوبة فى الأسنان . وأشر الأسنان : التحزيز الذى فيها .

(٢) فى الأصل : «الكواكب» . وما أثبتناه من الديوان .

(٣) فى الأصل : « الزهر» . والتصويب من الديوان .

(٤) فى الديوان : « ينقد بالظفر » . وهو تحريف .

(٥) الخصر : البارد .

(٦) وردت الأبيات فى الديوان . وفيها تحريف كثير .

(٧) كيوان : زحل . شبه الغرة به .

ولـه :

يا ضياءَ[١] الصُّبح تحت الغَبَش	أطـرازٌ فوق خدَّيـك وَشِي
/أم رياضٌ دبَّجتها مُزنـةٌ	وبدا الصُّـدغ بهـا كالحَنَش
لستُ أدرى أسهـامُ اللحظ مَا	أتَّـقِي أم لدغُ ذاك الأرقش
بأبى[٢] منـك قِسِيٌّ لم تَزَل	راميـاتٍ أسهُمًـا لم تَـطِش
رشَقَتْ[٣] قلبًا خفوقًا ياتظِى	كَضِرامٍ بيَـدَىْ مُرْتَعِـش
رُبَّ ليـلٍ بتُّـه ذا أرَقٍ	ليس إلّا من قَتَـادٍ فُرُشى
سابحًا[٤] فى لُجَجِ الدَّمع ولـ	ـكنَّنى أشـكو غَليل العطَش
وبُروقُ الليـل فى أسْدافه[٥]	كسُيوفٍ بأكفّ الحَبَـش
وسمـاءُ الله تُبـدِى قمـرا	واضحَ الغُرة كابـن القُرشى[٦]
ليس فرقٌ فى السَّـنا بينهمـا	والبَهَا إن طلَعـا فى غَبَش
غير[٧] أنَّ الأفقَ مغمورٌ بذا	وبذا حومـةُ «باب الحنش»

[83 B]

(١) هذا البيت والبيت الذى بعده لم يردا فى الديوان .

(٢) هذا البيت مطموس بالأصل وأثبتناه من الديوان .

(٣) هذا البيت ساقط من الديوان .

(٤) لم يرد هذا البيت فى الديوان .

(٥) فى الديوان : « إسرافه » .

(٦) ابن القرشى : ممدوح ابن الزقاق فى هذه الأبيات

(٧) هذا البيت ساقط من الديوان .

وهو أحد أبواب بلنسية ، وهى مَطيب الأندلس ، وفيها يقول :

بلنسيةٌ إذا فكّرتَ فيها ... وفى آياتها أسنَى البلادِ
/وأعظمُ شاهدى منها عليها ... بأنّ جَمالَها للعَين بادى
كساها ربُّنا[١] ديباجَ حُسن ... له عَلَمان من بحر وواد

[84 A]

وأنشدنى سلطانها — كان — أبو عبد الملك [مروان بن عبد الله][٢] بن عبد العزيز :

كأنّ[٣] بلنسيةً كاعبٌ ... وملبسُها السّندس الأخضرُ
إذا جئتَها سَترت نفسها ... بأكمامها فهى لا تَظْهَر

وهذه توريةٌ مليحة ، فإنّ الأكمام ها هنا أكمام الأزهار والأشجار .

ولأبى الحسن بن الزَّقّاق أيضا ، وهو فى الرِّقة يمتزج بالنّسيم ، ويُعدّ فى أنواع البديع من نوع مليح التّقسيم :

تضوعن[٤] أنفاسًا وأشرقْن أوجهًا ... فهنّ مُنيراتُ الصِفاح بَواسمُ
لئن كُنّ زُهْرًا فالجوانح أبرُجٌ[٥] ... وإن كنّ زَهرًا فالقُلوب كمائمُ

---

(١) رواية النفح (١ : ١٦٨) : «ربها» .

(٢) التكملة من النفح (١ : ١٦٨) .

(٣) أورد ياقوت البيتين فى رسم بلنسية ونسبهما إلى أبى العباس أحمد بن الزقاق .

(٤) لم يرد البيتان فى الديوان . والرواية فى الشريشى (٢ : ٢٨٣) : « تضوعن إشراقا» .

(٥) يريد : بروج الكواكب . والمسموع فى جمع برج ، بروج وأبراج .

/وأنشدنى جماعة من شيوخى،منهم سيّدى أبى الفقيه الفاضل أبو علىٍّ حسنُ [84 B]
ابن على،وشاعر المغرب الأقصى ومفخرُه فى صناعة المحاكاة والتّخييل أبو عبد الله
محمّدُ بنُ حسين بن حَبُّوس،[١] قالا : أنشدنا الوزير أبو عامر بن الحمَّارة[٢] :

لله يومٌ كان فيه مُنادِمى وجهُ الحبيب وزهرةُ البستانِ
صرعتنِى اللّذّاتُ فيه مَصارعًا[٣] ما شئتَ من رَوح ومن رَيحان
ياصاحبىَّ تمتَّعا من ساعة شُغِل الزّمان بها عن الحدَثان

ولــه :

لو كنتُ آملُ أن ألقاك فى الحُلُمِ لما قَرعتُ عليك السِّنَّ من نَدمِ
يَحمى وصالكَ أعداءٌ لهم رَصَدٌ ويصرفُ الطَّيفَ أنّى بتُّ لم أنَمِ
يا مُرسلاً سَهْمَ عينيه ليقتُلَنى من ذا أباحَ لذاك اللحظِ سفكَ دمى

/وله وقد أهدت إليه امرأة موصوفةٌ بالجمال مِسْكًا : [85 A]

أتانا فَتيتُ المسك يَعْبَق عَرْفُه ويُثنى على ذاك النَّدى والتَّكَرُّمِ
فأشعَرنى رَيًّا حَبيبٍ أُعيرُه على رِقْبةٍ لحَظَ المَشوق المتيَّم
فوالله لولا أن تقول لِى المُنَى وراءكَ لا تَقْدَم على غير مَقْدَم
لحدَّثت نفسى عند ذلك أنّى أَشَمُّ الذى ما بين عينيك والفم

---

(١) من أهل فاس كان عالما وشاعرا . توفى سنة ٥٧٠ هـ وكان مولده سنة ٥٠٠ هـ . (ابن الابار ت ١٠٥٥) وزاد المسافر والمعجب .

(٢) ترجم له صاحب بغية الملتمس (ت ١٥٥١) ووصفه بخبث الهجاء ولم يزد .

(٣) فى الأصل : « مصرعا » . وما أثبتناه أولى عروضا

وأهدت إليه أخرى تُفّاحة فقال :

بعثتْ إليّ بخدّها تُفّـاحةً وكطَعم ريقتها رَحيقًا سَلْسلا
فصرفتُ وجهي عنهما ولقد أرى مُترشّفًا عَذْبَ الجَنى ومُقَبِّلا
كي لا يَغار على الحبيب حبيبُه فيقولَ بات بغـيرنا متعلِّلا

[85 B] /ولـه :

لم أَعشق الشَّمس سماويّةً بعيدةً عن مركز العـالَمِ
إلّا لأُضحِي في غَرامي بهـا أُعجوبةً بَين بني آدم

* * *

أنشدني الشيخ الفقيهُ الأديبُ القـاضي بمدينة فاس أبو محمدٍ عبدُ الله بنُ محمد ابن عيسى التّادَليُّ[1] رحمه الله، قال : أنشدني الوزير الأديبُ الشـاعرُ المصيب أبو القاسم المَـنيشي[2] لنفسه في زُرزور :

أَمنبرٌ ذاك أم قضيبُ يَفْرعه[3] مِصقعٌ خَطيبُ
يختالُ في بُردَتَي شَـباب لم يتوضّح بهـا مَشيب
أخرسُ لـكنّه فصيحٌ أبلَه لـكنّه لَبيب

---

(١) التادلي : نسبة إلى تادلة ، بفتح الدال واللام : قرب تلمسان وفاس . وكان مولده سنة ٥١١ هـ وتوفي سنة ٥٩٧ هـ على خلاف (ابن الآبار — ت ١٤٩١) ومعجم البلدان .

(٢) المنيشي : نسبة إلى منيش من قرى أشبيلية . واسمه أبو القاسم بن أبي طالب الحضرمي ، المعروف بعصا الأعمى ، لأنه كان يقود الأعمى التطيلي . ترجم له الفتح في المطمح (ص ٨٨) والضبي في بغية الملتمس (ت ١٥٥٤) والمقري في النفح (٩ : ٢٦٤) وابن سعيد في الرايات ، والمغرب (ص ٢٨٩) .

(٣) يفرعه : يعلوه .

ومن فحول شعراء الأندلس ، مالكُ أزمّة القريض ، وماسك راية التَّصريح فيه / والتَّعريض ، شعرُه أرقّ من النّسيم ، وآنقُ من المُحيَّا الوسيم ، الوزير : [86 A]

أبو إسحاقَ إبراهيم بنُ أبي الفَتح بن عبد الله الخفاجي[١]

من أعيان مدينة شَقْر[٢]، وهي جزيرة قد أحدق النهر بها ، كما أحدق بحدقةٍ شُفر[٣] ، وحسبك من ماء سائح ، وطائر صادح ، وبِطاح عريضة ، ورياض أريضة ، فلا ترى إلّا انسجام الغمام ، ولا تسمع إلّا ترنُّمَ البلبل والحمام . فمن قوله :

ومُهفهفٍ طاوِى الحَشَا خَنِث المَعاطف والنَّظَرْ[٤]
بهر[٥] العيونَ بصورة تُليتُ محاسنُها سُوَر
وإذا رَنا وإذا شَدا وإذا سَعى وإذا سَفَر
فَضَح المُدامةَ[٦] والحَما مة والغَمامة والقَمر

قولُ الخفاجي : « وإذا رنا فضح المُدامة » مأخوذ / من قول القائل : [89 B]

وعَيْنَانِ قال الله كُونا فكانتا فَعُولان بالألباب ما تفعل الخمرُ

(١) ولد سنة ٤٥٠ هـ وتوفي سنة ٥٣٣ هـ .

(٢) شقر : قرية من شاطبة وبينها وبين بلنسية ثمانية عشر ميلا . (الروض المعطار) .

(٣) الشفر : شفر العين ، وهو ما نبت عليه الشعر . والعبارة في الاصل : « محيط شفر » .

(٤) هذه رواية ديوانه (ص ٦١) وفي الأصل : « كالغصن يخطر إن خطر » .
وبين رواية الشعر هنا وفي الديوان خلاف يسير .

(٥) في الديوان : « ملأ » .

(٦) في الديوان : « الغزالة » .

ووصفُه لها بالغمامة مأخوذ من قول الأعشى :

كأنَّ مِشيتها من بيت جارتها   مرُّ السَّحابة لا ريثٌ ولا عجلُ[١]

قال الوزير أبو إسحاق : سببُ هـذه القطعة أنى ذهبتُ يوما أريد باب السمَّارين بشاطبة ، ابتغاء الفُرجة على جَرْية ذلك المـاء بتلك الساقية ، وذلك سنة ثمانين [وأربعمائة] ، وإذا الفقيه أبو عمران بنُ أبى تَليد[٢] رحمه الله قد سَبقنى إلى ذلك ، فألفيتُه جالساً على مَصطبة كانت هنالك مبنية لهـذا الشّأن ، فسلّمت عليه ، وجلست إليه متأنّسا / به وبتلك الحال ، فأنشـد أثناء ما تناشدناه قولَ ابنِ رَشيق رحمه الله[٣] : [87 A]

يامن يُمر ولا تَمـــرُّ به القُلوب من الفَرَقْ[٤]

بِعِمامةٍ من خدّه أو خَدُّه منها استَرَق

فـكأنّه وكأنهـا قَمَـرٌ تَعمَّم[٥] بالشّـفق

فإذَا بدا وإذا مشى وإذا رَنا وإذا نَطَق

شَـغَل الجوانحَ والجوا رحَ والخواطرَ والحـدَق

---

(١) من قصيدة مطلعها :

ودع هريرة إن الركب مرتحل   وهل تطيق وداعا أيها الرجل

(٢) هو موسى بن عبد الرحمن بن خلف . ولد سنة ٤٤٤ هـ وتوفى سنة ٥١٧ هـ . (بغية الملتمس ت ١٣٣١)

(٣) زاد الشريشى (٢ : ٢٩) أنها فى غلام معتم بعمامة حمراء .

(٤) فى الأصل : «الحرق» . وما أثبتنا عن الديوان والنفح .

(٥) فى الشريشى : «أحاط به شفق» . وفى هذا المصدر والنفح خلافات يسيرة فى البيتين الأخيرين .

فقال ، وقد أعجب بها جدًا : أحسنُ ما فى القطعة حُسن سياقة الإعدادَ .
فقلت له : هى حسنة ، ولـكنها دون موقعها منك . وإلّا ألستَ تراه قد استرسل
فلم يقابل بين ألفاظِ البيت الأخير والبيت الذى قبله ، فينزّل بإزاء كلٍّ واحد منها
ما يلائمُها . وهل يحسن أن ينزّل بإزاء قوله : «وإذا نَطق» / : قولَه : «شَغَل الحدق» . [87 B]
وكأنّه نازعنى[١] القول فى هذا . فقلت هذه القطعة المتقدمة[٢] أنسِج على ذلك المنوال .

قال : فاستحسنها ٱبنُ أبى تَليد .

*
* *

قلت[٣] : هذا تعسّف . ولم يُرد ابن رشيق مقابلةَ الأعداد بعضِها ببعض ، وإنما
أراد أن جُملَة محاسن هذا النيِّر الزّاهر ، شغلت جملة هذا المتأمل النّاظر . وقد
عارضه الخفاجىّ فى هذا الروىّ :

يا شَــفَقًا ساطعًا على فَلَقٍ   يا ذَهبًا سـائلًا على ورَقِ
ما الحُسن إلا مُعصفَرٌ شَرِق[٤]   فاض على جسمٍ أبيضٍ يَقَقِ
قد نَصب الحُسنُ وجْهَه غَرضًا   تَرشُقُه أسهمٌ من الحَــدَقِ
ٱبْيَضّ وٱخضرَّ شطرُ عارِضه   فاقترن النَّوْر منه بالوَرَق

* *
*

(١) يريد : وكان ابن أبى تليد عارضنى ولم يرض قولى .

(٢) يريد الرائية التى مرت لابن خفاجة (ص ١١١) . والعبارة فى النفح : « قلت بديها » .

(٣) القائل ، هو ابن دحية .

(٤) الشرق ، بكسر الراء : الذى اشتدت حمرته .

أنشدنى الفقيه الأجل القاضى بمدينة شَقر أبو يوسفَ يعقوبُ بنُ محمد [بن خلف ابن يونس[١]] بن طلحة للخفاجىّ[٢] :

[88 A] / كتبتُ وقلبي فى يديك أســيرُ ... يُقيم كما شَــاء الهوَى وأسيرُ[٣]

ولى كلَّ حينٍ من هواكِ وأدمعى ... بكل مكانٍ روضــةٌ وغدير

ولــه :

كأنَّنا[٤] ولدينا البدرُ نَدْمانُ ... وعندنا لـكئوس الرَّاح شُهْبانُ[٥]

والقُضْبُ مائسةٌ والطيرساجعة ... والأرض كاسِية والجوُّ عُريان

ولــه :

ربّ طِرْفٍ[٤] كالطَّرْف سُرعةَ عَدْوٍ ... لَيس يَسرى سُراهُ طيفُ الخَيَال

إن سَرى فى الدُّجى فبعضُ الدَّرارى ... أو سَعى فى الفَلا فإحدى السَّعالى

[88 B] / لستُ أدرى إن قيد ليلة أَسْرى ... أو تَمطَّيته[٦] غداةَ قِتال

أَجَنُوبٌ مَقُودةٌ من جَنِيب ... أو شَمَال موضــوعةٌ فى شمالى

جَال فى أَنْجُم من الحَــلْي بِيضٍ ... وقَمِيص من الصَّبــاح مُذال

أَشهبُ اللون أثقـــلته حُلِيٌّ ... خَبَّ فيهنّ وهو مُلْقِى الجِـــلاَل

فبـــدَا الصُّبحُ مُلجَماً بالـــثُّريّا ... وجَرى البرقُ مُسْرَجاً بالهـــلال

---

(١) التكلة عن ابن الأبار (ت ٢١٠٥ وقد صحب أبو يوسف هذا ابن خفاجة وحمل عنه شعره . وتوفى سنة ٥٨٤ هـ .

(٢) فى الأصل : « الخفاجى » .

(٣) فى الديوان : «ويسير» .

(٤) هذا الشعر لم يرد فى ديوانه .

(٥) الندمان : المنادم على الشراب . والشهبان : الكواكب .

(٦) تمطية : أى اتخذته مطية . والمسموع فى هذا المعنى : أمطاه وامتطاه .

قال ذو النّسبين، رضى الله عنه : وقد أخذ هـذا المعنى بعضُ أهل عصره ، يقال: هو أبو الصّلت[١] ، فقال وزادَ فيه معنى من معنى البَديع، وهو التَّشكيل ، فقال :

وأشهـبٍ كالشهـابِ وافَى ... يُجُـول فى مُذْهب الجِـلا
قـال حَسُـودى وقد رآه ... يُجْنَـب خَلْـفى إلى القتَـال
من ألجَمَ الصُّـبح بالثريا ... وأسْرَج الـبرق بالهـلال

وقال الوزير أبو إسحاق بنُ خفَاجة فى قَوْس :

عَوْجاءُ تُعطَف ثم تُرسَل تارةً ... فكأنما هى حَيّـةٌ تَنسـابُ
/وإذا انْحَنَتْ[٢] والسَّهْمُ منها خارجٌ ... فَهْىَ الهِلالُ انقضَّ منه شهاب

[89 A]

ولـه :

وعَسَى الليـالِى أن تَمُنَّ بنَظْمنا[٣] ... عِقْدًا كما كُنّا عليه وأفضَـلا[٤]
فلربّما نُثِرَ الجُمَـانُ تعمُّدًا ... ليُعادَ[٥] أحسنَ فى النِّظام وأجملا

---

(١) هو أمية بن عبد العزيز بن ابى الصلت الإشبيلى . كان يكنى بالأديب الحكيم . وله كتاب «الحديقة» على أسلوب يتيمة الدهر للثعالبى . وقد أورد العماد له شعرا كثيرا فى الخريدة . وتوفى سنة ٥٣٠ هـ . وقيل : سنة ٥٢٨ هـ . (النفح ٢ : ٣٠٨) .

(٢) فى الأصل، « انحت » . وما أثبتنا عن الديوان (ص ٣٤) و بعض نسخ النفح .

(٣) فى الديوان (ص ١٠٤) : « بجمعنا » .

(٤) فى الديوان والنفح (٥ : ٢٤٤) : « وأكملا » .

(٥) فى الديوان : « ليكون » .

وهذا مأخوذ من قول مهيار :

عسى الله يجعلُها فُرْقَةً تعـودُ بأكرم مُستجمَع[١]

ولـه :

حيًّا بهـا ونَسيمُها كَنسيمِه فشَرِبتُها من كفّه فى وُدّه[٢]

مُنساغَةً فكأنهـا من رِيقـه مُحمَـرَّة فكأنهـا من خَدّه

وأنشدنى الفقيهُ القاضى الفاضل أبو يوسَف يعقوبُ بنُ محمد بنِ طلحة[٣] قال : أنشدنى الوزيرُ أبو إسحاق الخفاجىُّ لنفسه فى النِّيلُوفر :

ونِيلُوفَرٍ[٤] لم يَدْرِ ما مَسُّ حُرْقةٍ بحُبٍّ ولا مَا لوعةٌ وغرامُ

/يَهُبّ مع الإصباح من سِنةِ الكَرَى ويُطْبِق ليـلاً جَفنَـه فيَنَـامُ [89 B]

وأنشدنى له أيضا ، يحمِلُ على طلب العلم والتّحلّى به :

عِش طالباً أو عَلِماً فالجهـلُ عينُ المَحَطّـهْ[٥]

ولا يَصُـدَّك يأسٌ عن نَيْلِ أشرفِ خُطّه

فبـدأُ النـار سِقْـطٌ وأولُ الخـطِّ نُقطه

---

(١) انظر ديوانه (٢ : ٢٤٥)

(٢) البيتان فى الديوان وهما مما رواهما أيضا المقرى (٥ : ٢٤٥) .

(٣) سبق التعريف به فى الحاشية (١ ص ١١٤) .

(٤) لم يرد هذا الشعر فى ديوانه .

(٥) لم ترد هذه الأبيات الثلاثة فى الديوان . و يلاحظ أنه ليس ثمة طائية .

ولما بلغ سنّ الكهولة ، وأدرك من أقطار الشبيبة مأمولَه ؛ نام فرأى أنه مستيقظٌ يفكّر فيما سلف من بطَالته ، ويتحسّر على ما فرطَ من تجرّيه على معصية الله واستطالته ، ويتذكّر ما مضى من شبابه ، ومن انقضى من أحبابه ، ودمعه يُبارى صوبَ المزن فى آنصبابه ، ويحكيه فى انسجامه وانسكابه ؛ فانتبَه وهو مُتَنَبّه لرشاده ، مقبلٌ على التزوّد لمعاده ، منشدٌ ما تنتزع القلوب من إنشاده :

ألَا ساجِلْ دُموعِىَ يا غَمَامُ — وطارِحْنى بشَجْوِك يا حَمَامُ

/ فقد وفّيتُها ستّين حَوْلًا — ونادتْنى ورائىَ هل أمام [90 A]

وكنتُ ومِن لُباناتِى لُبَينَى — هناك ومن مَراضِعِىَ المُدام

يطالعُنا الصّباحُ ببطن حُزْوى[1] — فيُنكرنا ويَعرفُنا الظّلام

وكان به البَشَامُ مراحَ أُنسى[2] — فماذا بعدنا فَعَل البَشَام

فيا شَرْخَ الشباب ألاَ لِقَاءٌ — يُبَلُّ به على بَرَحٍ[3] أُوَامُ

ويا ظِلّ الشّبابِ وكنتَ تَنْدَى — على أفياء سَرْحَتِك السّلامُ

---

(١) انظر الحاشية (١ ص ١٠٣) .

(٢) فى الديوان (ص ١١٢) : «أنس» . ورواية هذا الشطر فى القلائد (ص ٢٣٣) : «وكان لى البشام مراح أنسى» .

(٣) فى الديوان : « يأس » .

ومن شعراء جزيرة الأندلس وفُحُولها ، البرىءُ من مَطروقِ الأشعار ومنحولها، ذو الآداب والفنون :

أبو محمّدٍ عبدُ الجليل بنُ وهبون[1]

دخل على السلطان أبى القاسم محمدِ بن عبَّادٍ يوما ، وهو ينشد قول المتنبى :

إذا ظفرت منـــك العيونُ بنظرةٍ   أثاب بها مُعْيِي المطىِّ ورَازِمُهْ

[90 B] / وجعل يردّده استحسانا له . فقال عبدُ الجليل بديهاً :

لئن جاد شعرُ ابن الحُسين فإنمـا   تُجيد العطايا واللُّهى تفتح اللَّهَا

تَنَبَّأ عُجباً بالقريض ولو دَرَى   بأنّك تَرويه إذًا لتألّهـا[2]

فأمر له بمائتى دينار ، وهو مثل قديم .

قال أبو سعيدٍ القصّار فى جعفر بن يحيى :

لابن يَحـــيى مآثرٌ   بلغتْ بى إلى السُّهَـا

جادَ شِعْـــرى بجُوده   واللُّهى تَفتـــح اللَّها

اللُّهى ، بالضم : العطايا ؛ واحدُها : لُهوة ولهية . وأصلها : القَبضة من الطَّعام تُلقَى فى الرحى لتُطحن ، فجعلت الدَّفعة من المـال المُعطَى لُهوة . وأمّا اللَّها، بالفتح فجمع لهاة : الحَلْق .

---

(١) توفى فى حدود الثمانين وأربعمائه . (بغية الملتمس ت ١١٠١) .

(٢) الرواية فى نفح الطيب (٤ : ٢١٩) والفوات فى ترجمة ابن وهبون ، والمرقصات والمطربات : «بأنك تروي شعره لتألها» وانظر بدائع البدائه (ص ٢٠٩) .

ولما جازَ السلطانُ ابنُ عباد البحر المسمَّى بالمحيط إلى مدينة سبتة[١]، قاصداً لأمير المسلمين ، وناصر الدين أبي يعقوبَ يوسفَ بن تاشفين[٢]/ للاستنجاد به [91 A] على الروم ، وقد راموا الوثوب على الأندلس ، بعد أخذ طايطلة ، وهجموا على بلادها أقبح [هجوم] قال :

أحاط جودُك بالدُّنيا فليس له ... إلّا المحيطُ مثالٌ حين يُعتَبرُ
وما حسبتُ بأن الكلَّ يحملُه ... بعضٌ ولا كاملًا يَحويه مُختصَر
لم تَثنِ عنك يدًا أرجاءُ ضفَّته ... إلّا ومدَّت يدًا أرجاؤه الأُخَر
كأنَّما[٣] البحرُ عينٌ أنت ناظرُها ... وكل شَطٍّ بأشخاص الوَرى شُفُر[٤]
تأتى[٥] البلادَ فتَنْدَى منك أوجهُها ... حتى يقول ثَراها هل هَمَى المطر
ما القَفر إلا مكانٌ لا تَحُلُّ به ... وحيثُما سِرْتَ سار البدوُ والحَضَر
الأرضُ دارُك فاسْلُك حيثُ شئتَ بها ... هو المُقام وإن قالوا هو السَّفَر

وله من قصيدة يمدح ابنَ عبّاد ، ويذكر ثباتَه يوم الوقعة بين جيوش المسلمين والرّوم بالموضع/ المعروف بالزّلّاقة[٦] من عمل بَطَلْيوس ، وكانت الزّلاقة [91 B] يوم الجمعة لاثنَتى عشرةَ ليلةً خلتْ من رجب سنة تسعٍ وسبعين وأربعمائة ، قُتل

---

(١) سبتة ، بفتح أوله و يكسر : من قواعد بلاد المغرب على البحر تقابل طرف الزقاق .

(٢) كان سلطان المغرب الأقصى وأمير المرابطين . وتوفى سنة ٥٠٠ هـ .

(٣) هذه رواية الأصل والخريدة (١١ : ٢٩٤) . وفى الذخيرة (٢ : ٣٢٠) : «كأنما كان عينا» .

(٤) الشفر ، بالضم وحرك للشعر .

(٥) هذا البيت وما بعده لم يردا فى الذخيرة .

(٦) انظر تفصيل الموقعة فى صفة جزيرة الأندلس . (ص ٨٣ — ٩٥) والنفح والمعجب . وانظر الحاشية (٢ص ٢٥) من هذا الكتاب .

فيها من شجعان النّصارى ثلاثون ألف فارس. ذكره النّسّابة أبو محمد الرُّشاطى[١] فى كتاب : « اقتباس الأنوار » ومن الرّجالة ما لا يُحصي ، وطعن فرس ابن عبّاد تحته ، فكَبا به ، فسقط عنه . فقـدّم اليه بعضُ من ثبت من جنده معه فرسا ، فركبه وأبلى بلاء حسنا وقاتل قتالا شديدا — منها :

ولم[٢] يَثبت من الأشياع إلّا شقيقُك وهو صارمُك الحُسَامُ
يمَـانٍ فى يدَىْ ماضٍ يمَـانٍ فلا نابِى الغِرَارِ ولا كَـهَام
ولم يحملك طِرفُك بل فؤادٌ تعوّد أن يُخاض به الحِمَام
ثبّت به ثبَـاتَ القُطب لمّا أدَار رَحاه خَطْبٌ لا يُرام

92 A] /ومنها :

مضَوْا فى أمرِهم سَحَرًا ودارتْ بمـا عَقدُوا من الحَلِف المُدامُ
فردّوها عَلَى الشّفرات بيضًـا وجدّدَ فى تعاطيهـا النّـدام
وما أخذتهمُ الأسياف لـكن صواعقُ لا يبوخُ لهـا ضِرام

باخ الحرُّ،إذا سكن،يبوخُ بالخاء المعجمة.وباختِ النارُ والحربُ،إذا سكنتا .

إذا ما برقةٌ برقَت عليهم فإنّ القَطْر أعضـادٌ وهامُ

---

(١) انظر الحاشية (٧ ص ٦٠) من هذا الكتاب .

(٢) قبل هذا البيت فى الخريدة (١١ : ٢٩٠) نقلا عن أبى الصلت فى الحديقة :

وقفت بحيث تلحظك العوالى وهن إلى مواردها هيـام

ومنها يصف انهزام أذفونش[1] تحت الظلام بجيشه منهم ، و إلقاء الدّروع عنه وعنهم :

ستسألك النّسـاءُ ولا رجالٌ — فحدّث ما وراءَكَ يا عصـامُ

وراقبهـا بأرضِك طالعـاتٍ — كما تُهـدِى صَواعقَهـا الغمامُ

ومنهـا :

فإن شئتَ اللُّجينَ فثَمَّ «سـامُ» — وإن شئت النّضار فثَمَّ «حامُ»

[92 B]

/ومنهـا :

نضَا أدراعَه واجْتَابَ ليلًا — يودّ او آنه فى الطُّـول عامُ

وله يتشوّق إلى ابن عبّاد ، وقد حضَر بالمَـرِيَّة[3] فى بعض الأعياد،والشعراء ينشدون المعتصم بالله أبَا يحيى محمدَ بنَ معن بِن صُمَـادِح[4] سلطانَ تلك البلاد :

دنا العيـد لو تَدْنو به كعبةُ المُنى — ورُكْنُ المَعـالى من ذُؤابة يَعرُب

فياويلتَا[5] للشعر تُرمى جمـاره — ويا بُعد ما بينى وبين المُحصَّبِ[6]

---

(١) انظر الحاشية (١ ص ٢٥) من هذا الكتاب .

(٢) يريد بسام وحام : مايضم الجيش من نوعين .

(٣) المرية : من كورة ألبيرة من أعمال الأندلس . بنيت فى عهد الأمير عبد الرحمن بن محمد سنة ٣٤٤ ﻫ .

(٤) أحد ملوك الطوائف بالأندلس . وكانت قصبة ملكة المرية .

(٥) فى القلائد : «فوا أسفا» .

(٦) موضع رمى الجمار بمنى .

وكان عبد الجليل مُنْطَقًا بما يقول ، يجرى على لسانه المقول. حدّثنا غير
[93 A] واحد من شيوخنا رحمهم الله ، منهم سلطان بَلَنْسية أبو عبد / الملك بن
عبد العزيز ، والوزيرُ الكاتب أبو عبد الله محمد بنُ أبي القاسم بن عَميرة[1] ، والفقيه
القاضى بجزيرة شَقْر أبو يوسف يعقوبُ بن طلحة[2] ، قالوا : حدّثنا الوزير
أبو إسحاق إبراهيمُ بن خفاجة قال :

لقيتُ الشاعرَ أبا محمّد عبدَ الجليل بين لُورَقَة[3] والمريَّة ، فبِتْنا نتناشد الأشعار ،
ونتذاكر الآداب والأخبار ؛ فلما انفجر عَمود الصباح ، وحيْعَلَ داعى الفلاح ؛
وكان العدو على مقرُبة من البلاد ، والناس فى ضُروب من الخوف والأنكاد ؛
سرنا وفؤاد عبد الجليل يَطير فَرَقا ، وفرائصه تُرْعَد قَلَقا ؛ فأخذتُ أسكّن روعَه
بأناشيدَ من القَريض ، وهو لِمَا داخلَه من الوَجَل كالمُدْنَف المريض ، لا يُبْدى
[93 B] ولا يُعيد ، إلى أن أطلعت لنا البيدُ مَشْهدَين وعليهما رأسان / يُخاطبان ، من الحال
بأفصح لسان ؛ فقلتُ مرتجلا ، والرّكب يُجِدّ السير من الفزع عجِلا :

أَلَا رُبَّ رأسٍ لا تَزاوَرُ[4] بينه ... وبين أخيه والمَزارُ[5] قَريبُ
أناف به صَلْدُ الصَّفا فهو مِنْبرٌ ... وقام على أعلاه وهو خَطيبُ

---

(١) من أهل المرية وممن ترجم لهم ابن الابار (ت ٧٨٧) .
(٢) انظر الحاشية (١ ص ١١٤) من هذا الكتاب .
(٣) لورقة ، بضم ثم واو وراء مفتوحة . و يقال فيها : لرقة ، بضم اللام وسكون الراء : من بلاد تدمير بالأندلس . بينها و بين مرسية أربعون ميلا . (الروض المعطار) .
(٤) فى الفوات : « لا تحاور »
(٥) فى بغية الملتمس : « و المحل » .

فثاب لعبد الجليل عقلُه ، وآب إليه ذكاؤه ونُبْله ، فقال :

يقول حِذارًا لا اغترارًا فطالما ... أناخَ قتيــلٌ بى ومرَّ سَليبُ
ويُنشِــدنا : إنَّا غريبان[1] هاهنا ... وكلُّ غَريبٍ للغريب نسـيبُ
فإنْ لم يَزُره صاحبٌ أو خَليــلُهُ ... فقـــد زاره نَسْرٌ هنـاك وذِيب
فها هو : أمَّا منظرا فهو ضاحك ... إليـك وأما نَصْبةً فكَـئِيب

يريد بقوله «أما منظرا فهو ضاحك» أن ذلك الرّأس قد ذهبتْ عنـه جلدتُه بطُول بَلَاه ، فهو بحَسب مرآهُ كأنه ضاحك، وبحسب معناه كأنّه كئيب . ولم /يذكر «الفتح» منها فى «قلائده» لعبد الجليل سوى بيت[2] ، هو قوله : [94 A]

يقول حِذَارًا لا اغترارًا فطالمَا ... أَناخ قتيــلٌ بى ومَرّ سَلِيبُ

وأنّه قُتل من ساعتــه كما ذكرناه ، والله الموفّق لا ربّ سواه[3] ؛ فمـا أتمّ قولَه إلا وعَجاجةٌ قدارتفعت ، وكتيبةٌ قد طلعت ؛ فمـا انجلَت إلا وعبدُ الجليل قتيلٌ وأنا سليبٌ ، وهذا فأل عجيب ، وافقَه قدر مُصيب .

⁂

---

(١) فى الاصل : «مقيمان» وما أثبتنا عن بغية الملتمس .

(٢) لم يرد هذا البيت الذى أشار اليه المؤلف فى القلائد طبعة بولاق سنة ١٢٨٣ . ولكن الأبيات الثلاثة الأولى من القطعة السالفة ، ساقها الفتح فى القلائد فى ترجمته لابن خفاجة على لسان عبد الجليل .

(٣) الظاهر أن هذه العبارة تتمة ما اقتبسه ابن دحية عن الفتح فى هذا الموضع فى ترجمة عبد الجليل ، إلا أنه سقط مع البيت فى النسخة المطبوعة . والفتح بقوله «كما ذكرناه» يحيل على ما فصله من هذا الخبر فى ترجمته لابن خفاجة .

قال ذو النّسبين ، رضى الله عنه :

ومن شعراء الأندلس الذين أنجدت بأقوالهم الحُداة وأتهَمت ، وأعرقت بها الرّواة وأشأمت ، الأديب :

أبو [جعفر أحمد بن][1] محمد البتى

[94 B] /إلّا أنّه كان خبيثَ اللسان ، ما كفّ هَجوه عن إنسان ، ما بَرِح مدةَ حياته منتزحا عن الأوطان ، خائفاً مترقباً من السلطان ؛ لما شَهد به النّاس عليه ، ونسبوه إليه ، من الزّندقة والإلحاد ، وإنكار حَشْر الأجساد ؛ وآنكبابه على الاشتغال بكتب ابن سينا وانكفافه ، ومَيْله عن الكتّاب والسنة وانحرافه ؛ وقد وُجد هالكا[2] فى حُفرة تتمزّق فيها اللّحام والجلود ، وتَنهشها الحشرات العابثة والدّود ، ويتمنّى أن يرجع إلى الدّنيا فيتوب ولا مَرجع إلى الدنيا ولا مَردود .

فمن مليح ما حُدثنا عنه ، وسمعه أشياخنا منه ؛ أنّه ساقته يوماً سوائقُ الأقدار ، فى بعض الأسفار ، وقد ولّى شبابُ النّهار ، إلى خان بمغيلة[3] من أنظار[4] فاس ، تأوى إليه الغُرباء من النّاس ؛ فتبوّأ من بيوته أحْرَجها ، وأهجَنها / وأسمجها . وكان من معاصريه الأستاذ [95 A]

---

(١) التكملة من المعجب (ص ١٧١) . وفى البغية : « أحمد بن عبد الولى أبو جعفر » . وينسب الى بتة : قرية من قرى بلنسية . أحرقه القنبيطور حين غلب على بلنسية سنة ٤٧٨ هـ . وانظر ص ١٩٥

(٢) فى الأصل : « ذلك » . وظاهر أنه محرف عما أثبتناه . وكلام ابن سعيد يؤيد ذلك .

(٣) مغيلة : بلد بالمغرب قرب زرهون . وقيل : الصحيح إنها قبيلة من البربر سمى البلد بهم .

(٤) الأنظار : الأحياء المتجاورة ؛ الواحد : نظر ، بفتحتين .

أبو بكر اليكّى[١] وكان مثلَه فى أخذ الأعراض والهجاء، والتّقدّم بين فُرسان تلك الهَيجاء، وكل واحد منهما على لقاء صاحبه حَريص ، بَيْدَ أنّ مالَه عن مُلازمة مركزه مَحيص .

فبينما ابنُ البتى جالسٌ بذلك البيت وقد انسدلت ستور الظلام ، وهمَعَت دموع الغمام ، إذ هجَم عليه لتوقِّ المطر رجلٌ فسلَّم وجلَس ، وأذكَى الحَانىّ القَبَس ، فقال أبو بكرٍ اليَكّىُّ :

وقنديلٍ كأنّ الضوءَ منه ... مُحيًّا من أُحِبُّ إذا تجلَّى

فأجابه أبو جعفر[٢] بن البَتِّى بقوله :

أشار إلى الدُّجى بلسان أفعى ... فشَمَّر ذَيلَه فَرَقًا ووَلَّى

فقال : أنت البتى ! فقال: أنت اليكى ! فتعانقا و باتا يقتطفان/ ثمر السمر ، [65 B] إلى أن غارت النجوم وغاب وجه القمر .

* * *

---

(١) هو أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن مجهل اليكى . توفى بعد سنة ستين وخمسمائة . (الخريدة ١٢ : ٣١٩ . وانظر بغية الملتمس ت ١٤٧٩ . وسيترجم له المؤلف بعد قليل (ص ١٣٢) .

(٢) فى الأصل : « أبو محمد » وانظر الحاشية (١ ص ١٢٤) .

ومن شعراء المعتصم بالله أبي يحيي محمد بنِ معن بنِ أبي يحيي محمد بن صُمادح التُّجيبيّ ، صاحب مدينة المَرِيّة وأعمالها السَّنيّة : الأديبُ

أبو القاسم الأسعدُ بن إبراهيم[١]

فمن شعره :

سَكران[٢] لا أدرى وقد وافَى الكَرى ... أمن المَلاحة أم من الجِرْيال

تَتنفّسُ الصهباء فى لَهَواته ... كتنفُّس الرَّيحان فى الآصال[٣]

وكأنما الخيلانُ فى وَجَنَاته ... ساعاتُ هَجْر فى زَمانِ وصَال

وله أيضا :

/لَبِسوا من الزَّرد المُضاعَف نَسْجُه ... ماءً طَفتْ للبيض فيه حَبابُ

96 A

صَفٌّ كحاشية الرِّداء يَؤُمّه ... صَفُّ القَنَا فكأنه هُدّابُ

وهذا من قول عبد الجليل بن وَهْبون فى ابن عبّاد ، وقد تقدّم :

كأنما البحر عينٌ أنتَ ناظرُها ... وكلُّ شطٍّ بأشخاص الورى شُفُرُ[٤]

وقال أبو إسحاق الخفاجى :

وغَدَت تَحُفُّ به الغُصون كأنّها ... هُدْبٌ تَحُفُّ بمُقْلةٍ زَرْقاءِ[٥]

∴

(١) هو الأسعد بن إبراهيم بن أسعد بن بليطة من قرطبة . شاعر بليغ فارس تردد على ملوك الطوائف بالأندلس . توفى فى حدود سنة ٤٤٠ هـ (انظر الذخيرة ٢ : ٤٠٨ — وبغية الملتمس ت ٥٨١ — والمطمح ٨٣ — ونفح الطيب ٢ : ٤٥٣ ، ٤٥٤ والخريدة) .

(٢) هذا البيت ساقط من الذخيرة .

(٣) فى الأصل : « الأوصال » . والتصويب من الذخيرة .

(٤) من قصيدة قالها فى المعتمد بن عباد يصف فيها ركوبه البحر مستنجدا بيوسف بن تاشفين . (انظر ص ١١٩)

(٥) البيت من قصيدة مطلعها : « لله نهر سال فى بطحاء » . الديوان (ص ١٧) .

ومن شعراء الأندلس ، وأصحاب ممالكها الدُّرُس ، الأديبُ الكاتب :

أبو حفص أحمدُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ بُرد[١]

مولى/أبى عامر بن شُهيد[٢] المُبدعُ فى التّشبيه والتّمثيل ، والبـارعُ فى المُحاكاة [96 B] والتَّخييل ، من أهل بيت جليل .

له رسالة فى السّيف والقلم والمفاخرة بينهما ، وهو أول من سبق إلى القول فى ذلك بالأندلس .

وله فى النّرجس ، وأهل الأندلس يسمّونه البَهار ، واسمه فى اللغة العَبْهر :

تنبَّه[٢] فقد شقَّ البهـارُ مغلِّسا كمائمـه[٣] عن نُوره الخضِل النَّدى
مَداهنُ تِبرٍ فى أنامل فضّـــة على أذْرُع مَخْروطةٍ من زَبَرْجد

وهـذا من مليح التشبيهات فى النَّرجس ، وبديعها وغريبهـا وصنيعها .
وأكثر ما تواردت خواطرُ الشّعراء على تشبيهه بالعيُون المِراض، كقول/ أبى عبد الله [97 A] محمد بن الحسن[٤] الكاتب من شعراء جزيرة صِقلِّية، أعادها الله بعزّته على الإسلام :

بخدّك[٥] آسٌ وتفّاحةٌ وعَينك نَرْجســةٌ ذابِلَهْ
وريقُك من طِيبـه قَهوةٌ فوجهُك لى دَعْوة كامله

---

(١) أبو حفص الكاتب مليح الشعر بليغ الكتابة من أهل بيت أدب ورياسة . قال الحميدى فى جذوة المقتبس (ص ٥٠) . « وقد رأيته بالمرية بعد الأربعين وأربعمائة » .

(٢) كذا فى الأصل والنفح (٤ : ٢٧٢) وفى الذخيرة (٢ : ٤٨) والجذوة (٥٠) : « تأمل » .

(٣) فى الحميدى : « كمامه عن نواره » .

(٤) نقل العماد فى الخريدة « أنه كان صاحب ديوان الرسائل والانشاء ومن ذوى الفضائل البلغاء مترسلا شاعرا » .

(٥) الشعر فى الخريدة (١١ : ٢٢ مصورة دار الكتب المصرية) .

وقال آخر من أهل العصر :

غَزالٌ له فى كُلّ عضو محاسنٌ ... يقومُ لخَـلاع العِذار به العُذْرُ

فوجنتُه وردٌ وعينـاه نرجسٌ ... ومَبْسِمه كأسٌ وريقتُه خمـرُ

وهو تشبيه غير أنيق ، إذا حُكّ بمحكّ التّحقيق ؛ لأنّ بين نرجس الحـدائق والأحداق، الموصوفة بالدّعج وتكحيل الآماق ؛ من التّباين /ما بين الأضداد ، [97 B] وليس يحسن أن تحلّ الصّفرة فى موضع السّواد ؛ فتشبيهه بعيون الهرَر أولى من تشبيهه بعيون النـاس ، فى حكم القيـاس . وإنمـا حسُن تشبيهه بذلك لموضع إحاطةِ البياض بالصُّفرة ، كاحاطة بياضِ العَين بسوادها فقط . وليس تشبيههم الخدودَ بالورد من هذا النّمط ؛ فإنها تُشبهها فى تضرّجها بالحُمْرَة ونُعومتها ، ونداها ونَضْرتها . وكذلك الأقَاح بالثُّغور . والأقاح : جمع الأقحوان ؛ لأن له ورقاً أبيض يُشبَّه الثغر به . وقد لاحظنا فى هذا المعنى ما لم نَعـلم أحدًا ممن عُنى بنقد الشعر قبلنا لاحَظه ، ولا كشف قِناع معناه .

ولأبى نُواسٍ مقاطيعُ فى تفضِيل النرجس على الورد، /منها المقطوع الذى أوله: [98 A]

أين الخدودُ من العيون نفاسَـةً ... ورياسةً لولا القياسُ الفاسدُ(١)

---

(١) ورد البيت لابن الرومى من قصيدة مطلعها :

خجلت خدود الورد من تفضيله ... خجـلا توردها عليه شاهد

— اللغة : يقال : أخضلتُ الشيءَ : إذا بللته ، وهو خَضِل ، أى رطب —
ولابن بُرْد هذا :

لما بدا فى اللَّازَوَرْ دىِّ[١] الحرير وقد بَهَرْ
كبَّرتُ من فرط الجما ل وقلت ما هذا بَشَر
فأجابنى لا تُنكِرَنْ ثوبَ السماء على القمر

* * *

وأنشدنى الوزير الكاتبُ الناظمُ ، النّاثر أبو بكرٍ عبدُ الرحمن بنُ محمد بنِ مُغاوِر[٢] بمنزله بمدينة شَاطبة قال : أنشدنا الفقيه الأجل ، العالم الأكمل ، الزاهد الأفضل قاضى القضاة ، وعلمُ الرّواة ، أبوعلىّ محمدُ بنُ حسين الصَّدَفى[٣] ، يُعرف بابن سُكَّرَة ، /قَال : أنشدنا الفقيه الأجل أبو زيد عبد الرحمن بن شاطر السَّرَقُسْطىّ لنفسه ، [98 B]
وكان نسيج وحده ، وشاعر بلده :

ولائمةٍ لى إذ رأتنى مُشمِّرًا أُهَرْوِلُ فى سُبْلِ الصبا خالِعَ العُذْرِ[٤]
تقول تَنَبَّه ويكَ من رَقدة الصِّبا فقد دَبَّ صبحُ الشَّيبِ فى غَسَقِ الشَّعْرِ
فقلت لها كُفِّى عن العَتْبِ وآعلمى بأنّ ألذَّ النَّوم إغفاءةُ الفَجْرِ

* * *

(١) فى نفح الطيب (٥ : ٨٨) والذخيرة (٢ : ٣٧) : « فى لازوردى » .
(٢) انظر الحاشية (٢ ص ٨٠) .
(٣) انظر الحاشية (٤ ص ٨٠) .
(٤) العذر : بضمتين ، وسكن للشعر : جمع عذار

وتنسّك هذا الرجل فى آخر عمره ، وراجعَ بصيرته فى مستأنف أمره .

وأنشدنى غير واحد من شيوخى — رحمهم الله — للأديب العالم أبى علىّ إدريسَ ابن اليَمَان[١] من أهل جزيرة يابسةَ[٢] ، وقد رأيت هذه / الجزيرة، وهى ضد آسمها، لكثرة شجرها وخصبها . [93 A]

وقد أجاز لنا الثّقةُ أبو الفتح محمدُ بنُ عبد الباقى بنِ أحمدَ بن سلمانَ، نسيبُ ابن البَطِّى ، وابن ينيمان الهمذانى ، قالا : أنبأنا الإمام العالمُ أبو عبد الله محمـــدُ بنُ أبى نَصْر الحُميدى[٣] ، قال : أنشدنى عنه[٤] أبوعثمانَ خلفُ بنُ هرون القَطينىُّ[٥] من قصيدة طويلة يمدح بها إقبالَ الدّولة علىَّ بنَ مجاهدٍ العامرىّ :

ثقلت زجاجاتٌ أتتنا فُرَّغًا … حتى إذا ملئت بصرف الرّاح
خفت فكادَت تستطير بما حَوَت … وكذا[٦] الجسوم تَخفُّ بالأرواح

قال الحُميدى : ومما يُستحسن له فى صِفَة الدَّرَق :

[99 B] / إلى مُوشَّجة[٧] الأبشار من دَرَق … يكاد منها صَفَا الفُولاذ يَنفطرُ
مؤنّثات ولـكن كلّما قُرعت … تأنّث[٨] الرُّمح والصَّمصامة الذكر

* * *

(١) شاعر له أمداح فى ملوك الطوائف واتصل بإقبال الدولة على بن مجاهد العامرى . وذكر صاحب بغية الملتمس (ت ٥٦٠) أنه لم يكن بعد ابن دراج من يجرى عندهم مجراه . وورد فى الذخيرة والرايات (ص ٩١) والجذوة (ص ١٦٠) والمغرب (ص ٤٠٠) .

(٢) يابسة : جزيرة فى شرق الأندلس تلى جزيرة ميورقة . وأقرب براليها مدينة دانية (الروض المعطار) .

(٣) صاحب جذوة المقتبس . توفى سنة ٤٨٨ هـ .

(٤) اى ادريس بن اليمان .

(٥) ترجم له ابن الأبار فى الصلة (ت ١٥٧) والحميدى فى الجذوة (ص ١٩٨) والضبى فى البغية (ت ٧٢٠) وقطين، التى نسب اليها : موضع بميورقة .

(٦) كذا فى الأصل والرايات . وفى الجذوة والمغرب : « إن » .

(٧) فى الأصل : « مونجة » .

(٨) مؤنثات ، يريد مدلولها . وتأنث : عاد غير قاطع .

وأنشدنا الفقيه الأستاذ المحرزُ لقصب السبق فى كل خير، أبو بكرٍ محمد بن خَير، قال : أنشدنا غير واحد ، قالوا : أنشدنا الوزير أبو الحسين سِرَاجُ بنُ عبد الملك ابن سراج[١]، كبيرُ دار الخلافة ، المنفردُ بالشَّرَف والإنافة ، يخاطب الملك الرّاضىَ[٢] ابنَ المعتمد على الله أبى القاسم محمدِ بن عبّاد .

قال ذو النّسبين رضى الله عنه : وقد أدركت جماعةً من أصحاب أبى الحسين ابن سِراج ، ورحلتُ إلى قرطبة أمّ بلاد الأندلس ، فأنشدنى الشيخُ الفقيه/المحدّث [100 A] المؤرخ القاضى بأركش[٣] أبو القاسم بن بشكوال، قال : أنشدنا أبو القاسم خلف بن عمر[٤] صاحبنا ، قال : أنشدنا أبو الحسين بن سراج لنفسه :

بُثَّ الصّنائعَ لا تَحفل بموقعها … من آمل شَكرَ الإحسان أو كَفرَا
فالغيثُ ليس يبالى أينما آنسكَبَتْ … منه الغمائمُ تُربًا كان أو حجَرا

قَيّدنا «بُثَّ الصّنائع» بفتح الثّاء، إذ الفتحة أخفّ الحركات والعرب تُؤثرها. ويجوز كسر الثّاء لالتقاء السّاكنين ، كما روى النحويّون بيتَ جرير :

فغُضّ الطّرف إنّك من نُمَير … فلا كَعبًا بلغت ولا كِلاَبَا

فجوّزوا كسر الضّاد من «غُضّ» لالتقاء السّاكنين ، وفتحها/لخفة الفتحة ، وضمّها [100 B] على إتباع الضّمّة قبلها وهو أضعفُها . وله نظائر فى النّحو كثيرة .

---

(١) هو حفيد سراج بن عبد الله بن سراج مولى عبد الرحمن الداخل . وكان أوحد أهل زمانه وعلامة وقته . توفى سنة ٥٠٨ هـ . بغية الملتمس (ت ٧٨٠ والزيادات ٤٤) .

(٢) هو يزيد بن المعتمد . وانظر ما سبق (ص ٣٨) .

(٣) انظر الحاشية (٣ ص ١٠٠) من هذا الكتاب .

(٤) هو خلف بن عمر بن عيسى الحضرمى من أهل قرطبة ، وكان من العلماء المتفننين المشاركين فى العلوم ، وكانت الدراية أغلب عليه من الرواية (بغية الملتمس ت ٧١٢ — والصلة ت ٣٩٨ —) .

وأنشدونا له أيضا :

قالوا به صُـفرةٌ عابت محاسنَه　　فقلتُ ما ذاك من داء به نَزَلَا

عَيناه تُطلب من ثأرٍ بمـا قَتلت　　فليس تَلقاه إلا خائفاً وجِلا

وأنشدونا للفقيـه الأجلّ المؤرّخ صاحب الرّحلة المـذكورة ، والتّصانيف المشهورة ، أبي الوليد عبد الله بن محمـد بن يوسف بن نصر الأزدى ، المعروف بابن الفَرضى[(١)] ، القاضى بمدينة بَلَنْسية :

إنّ الذى أصبحتُ طَوْعَ يَمينه　　إنْ لم يكن قمـرًا فليس بدُونِهِ

ذُلّى له فى الحُبّ من سُلطانه　　وسَقَام جِسْمى من سَقام جُفونه

[101 A] /وممن اشتهر عندنا بالشّعر والأدب،ونَظَم منه مثل . الدّرر وصاغ شَبيه الذهب، إلّا أنّه أفرط فى الإقذاع فى الهجو فُهجِر لهذا السّبب :

أبو بكرٍ يحيي بن سهل اليكّى[(٢)]

و يكّة بياء مثنّاة باثنتين من أَسفل: حِصْنٌ فى جوف مدينة مرسية ، على خمسة وأربعين ميلا منها ، وتشتبه بِبكّة ، بالباء بواحدة من أسفل . وهى على مقرَبة من جزيرة طَريف على ساحل البحر الملح ، رأيتُهـا غير مرَّة .

---

(١) كان فقيها عالمـا عارفا بعلم الحديث ورجاله ، بارعا فى الأدب وغيره . وله من التصانيف تاريخ علماء الأندلس ، وهو الذى ذيل عليه ابن بشكوال بكتاب الصلة وكتاب المؤتلف والمختلف ، وكتاب فى أخبار شعراء الأندلس . رحل إلى المشرق سنة ٣٨٢ هـ ، وسمع من علمائه ثم عاد وولى قضاء بلنسية فى دولة محمد المهدى . ومات فى أيام الفتنة فى دخول البربر لقرطبة سنة ٤٠٣ هـ . ومولده سنة ٣٥١ هـ . (انظر نفح الطيب ٢ : ٣٢٩ و بغية الملتمس ت ٨٨٨ وابن خلكان ١ : ١٧٩) .

(٢) وانظر (ص ١٢٥) .

فمن قوله فى الغزل ممّا أنشدنيه جماعةٌ من أصحابه :

وقائلٍ فيم لم تَهْجَع فقلت له ‌ ‌ ‌ كيف الهجُوع بَطْرف نافرِ الوَسَنِ
لم يَدْرِ أنّ الكَرى الممنوعَ عن بَصَرِى ‌ ‌ ‌ تلك السِّناتُ الّتى فى مُقْلَتَىْ حَسَنِ

ولـــه :

[101 B] / يُوسفُ يا بُغْيَتِى وأُنْسِى ‌ ‌ ‌ صَيّرْتَنِى مُغْـرمًا هَواكَا
ملـكتَ قلبى وأنتَ فيه ‌ ‌ ‌ كيف حَوَيتَ الّذى حوَاكا[١]

* * *

ومن قدماء شعراء صاحب الأندلس ، أبي المطرِّف عبد الرحمن[٢] بنِ الحـكم ابنِ هشام بنِ عبد الرحمن بن معاويةَ بنِ هشام بن عبدِ الملك بنِ مروان :

يَحيي بنُ حَكَم الغَزَال[٣]

القاعدُ على كِيوان ، شاعرُ ذلك الأوان ، وقد أثبتُّ له من قوله ما يشهد بإبداعه، وحُسن تصّرفه فى المعـانى واختراعه ، وطول يده فى الأدب وامتداد باعه . فمن قوله فيما ذكره تمَّـامُ بن علقمة فى تاريخه[٤] :

بَعَضَ تَصابيكَ على زَينب ‌ ‌ ‌ لا خَيْرَ فى الصَّبوة للأشْيَب

---

(١) البيتان فى بغية الملتمس (ت ١٤٧٩) .

(٢) كانت وفاته سنة ٢٣٣ هـ . (أعمال الأعلام ص ٢٢) .

(٣) الغزال ، بتخفيف الزاى ، ولقب بذلك لجماله ، من شعراء المائة الثالثة . و ينسب إلى جيان . وعمر أربعا وتسعين سنة ، ولحق أعصار خمسة من الخلفاء المروانية آخرهم محمد بن عبد الرحمن بن الحكم . وتوفى فى حدود سنة ٢٥٠ هـ (النفح ٣ : ٢٢ — وجذوة المقتبس ت ٣٥١) .

(٤) ونقل عنه الضبى فى بغية الملتمس ص ٢٣٠ .

أبعـد خمسينَ تقضَّيتَها ... وافيـةً تَصْبو إلى الرَّبرب
[102 A] / كلّ رَدَاح الرِّدف خُمصانةٍ ... كالمُهرةِ الضَّامِر(١) لم تُركَب

وفيه تَشبيبٌ حسن كثيرٌ اختصرناه لطوله ، وقال فى المديح منه :

مَن مُبلغٌ عنّى إمامَ الهُـدى ... الوارثَ المجـد أباً عن أبِ
أنّى إذا أطْنَبَ مُـدَّاحُه ... قصدتُ فى القول فلم أُطْنِب
لا فَكَّ عنّى اللهُ إن لم تـكن ... أذكرْتَنا من عُمَـرَ الطَّيِّب
وأصبح المشْرِقُ من شوقه ... إليك قد حنَّ إلى المغرب
منبرُه يَهتِفُ من وَجْده ... إليك بالسَّهـل وبالمَرْحب
أطرَبَه الوقتُ الّذى قد دنا ... وكان من قبلك لم يَطرب
هَفَا به الوجدُ فلو منبرٌ ... طَارَ لَوافَى خَطْفَةَ الـكوكب
إلى جميـلِ الوجه ذِى هَيبةٍ ... ليست لحامِى الغابةِ المُغضَب
لا يُمكنُ النّاظرَ من رؤية ... إلاّ التماحَ الخائف المُذنِب

[102 B] كنّا نعجبُ بقول البُحترىّ ونستغربه فى قوله/لجعفرٍ المتوكّل(٢) :

فلو أنّ مشتاقا تَـكلّف غيرَ ما ... فى وُسعه لسعَى إليـك المنبرُ(٣)

---

(١) الضامر ، للمؤنث والمذكر ، ذهبوا إلى النسب .

(٢) أحد خلفاء الدولة العباسية . ولد سنة ٢٠٦ واغتيل سنة ٢٤٧ هـ .

(٣) البيت من قصيدة فى ديوانه مطلعها :

بالبر صمت وأنت أفضل صائم ... وبسـنة الله الرضية تفطر

حتّى رأينَا قولَ الغَزال ، وعلمنا أنّه سبق إليه بزَمانه،على أنَّ البحتريّ استحقّه أيضا باحسانه ، لأنَّه أَتى بالمعنى فى بيت واحدٍ ، واختصرَه اختصارا حَسنا .
كما أنّ قول الغَزال :

لا يُمكن النّاظرَ من رُؤْيةٍ إلا التمَاحَ الخائفِ المُذنبِ

حسنٌ جدّا فى معنى الهيبة ، وقد أخذه منهم محمّدُ بنُ أبى الحسن ، فقال وأحسن ، وزاد فى المعنى وبَيَّن :

كأنّا من الإجلالِ تحت غَمامةٍ نُطَأطى لها بالرُّعب كلَّ الأَحايِن
كأنّا قَـرِفنا باجْترامٍ ومالنـا لسانٌ يُقوّينا بِعُـذْر مُبايِن

ولبعض أهل بلادنا/من قصيدٍ يمدح به أميرَ المسلمين عليّاً[1] : [103 A]

أَراكَ ملأت الخافقَين مهابةً لها مَا تُليح[2] الشّهبُ فى الخفَقانِ
وتُغضى العيونُ عن سنَاكَ كأنّها تُقابِلُ منك الشّمس فى اللّمعان

ولو سُقنا جميع ما لأهل قطرنا فى مثل هذا لخرجنا عن غرضنا . فلنرجع إلى شعر الغزَال فإنّه قال فى آخره :

إن تُرد المَـالَ فإنّى امرؤٌ لم أجْمع المـالَ ولم أكْسِبِ
إذا أخذتَ الحقَّ منّى فلا تلتَمِس الرّبح ولا تَرْغَب
قَد أحسنَ اللهُ إلينا معـا إن كان رأس المـال لم يذهب

---

(١) هو على بن يوسف بن تاشفين ، تولى بعد موت أبيه فى سنة ٥٠٠ هـ .
(٢) ألاح الكوكب : أضاء وتلألأ . وفى الأصل : « تلح » تحريف .

والسّببُ فى نظم هـذا الشّعر أنّ أبا المطرّف عبدَ الرّحمن المذكورَ كان ولّاه قبضَ الأعشارِ ببلاطمروان واختزانَها فى الأهْراء. وكان توسّل إليه بمديح مدحه [103 B] به ، فنفق الطّعامُ فى ذلك العام، وسَمَا / السّعر بالقحط سُموّا كثيرا ، فوضَع يده فى البيع حتّى أتى على ما كان عنده فى الأهراء[1]. ثمّ إنّه نزَل الغيث ورخُصَ الطعام، فأُعلِم السّلطان بما صنع الغزال من البيع ، فأنكره وقال : إنّما تُعَدُّ الأعشار لنفقات الجند والحاجة إليهـا فى الجهد ، فماذا صنع الخبيثُ ! خُذوه بأداء ما باع من أثمانها واشترُوا به طعاما ، واصرفوه[2] فى الأهراء إلى وقت الحاجة إليه . فلما طُلب منه ثمن ما باع أبَى من ذلك وقال : إنّمـا أشترَى لـكم من الطّعام عددَ ما بعتُ من الأَمْدَاد ، وبين العددين بونٌ كثير نحوٌ من ثلاثين ألفـا . فأُعلم السلطان بامتناعه من الأداء ، وبما ذهبَ إليه من شراء مثل ما بَاع. فأمر بِسَجْنه وحَمله إليه فى الكَبْل،[3] فَسِيقَ منها إلى قُرطبَة ، وسجُن بها فصَنع هذا القصيد ، [104 A] ورفعـه إليه . فلمّا قُرِىءَ / شعره أُعجب به ، وأعجَبَ به الحـاضرون ، وقال له بعضُهم : لقد أنصفَكَ الغَزَال فى قوله :

قـــد أحسنَ الله إلينا معًـا   إن كان رأسُ المـال لم يذهبِ

فإنّه لو ذهب أيُّها الإمام ، أىُّ ذمَّةٍ كانت تفى به للغَزَال ، مع ما هو عليه من الانهماك [فى الشهوات] وقلّة المـالِ ! فضحك الإمام وأمر بإطلاقه .

---

(١) الأهراء : جمع هرى ، بالضم : بيت كبير ضخم يجمع فيه طعام السلطان .

(٢) اصرفوه فى الأهراء : أى اجعلوه فيها .   (٣) الكبل : القيد .

وكان عبدُ الرحمن من أهل العلم ، متَّسماً بالكرم والحلم ، قديرا على النثر والنظم .

له فى غلام جميل كان له ، اسمه بدر :

أنظُر إلى بدرٍ وكيـ ف بدَا بصفحته العِذَارْ

فكأنّه بدرُ التّما م بَدا بِه طرَف السِّرار

وقال ذُو النّسبين رضى الله عنه : وأنشدنى الوزير الكاتبُ أبو عبدُ الله محمدُ ابن أبى القاسم بن عميرة[١]، قال: أنشدنى ذُو الوزارتين أبو محمدٍ[٢] قال: أنشدنى / أبى [104 B] ذو الوزارتين أبو الحسن جعفرُ بن إبراهيم بن الحاج اللُّورقىّ[٣] فى ذَمّ العذار :

أبَا جعفر مات فيك الجما لُ فأَظهرَ خدُّك لِبْسَ الحِـدَادِ

وقد كانَ يُنبت نَور[٤] الرَّبيـ ع فأصبحَ يُنبت شَوكَ القَتَاد

أبِن لى مَتَى كان بدرُ السَّما[٥] ء يُدرَك بالكون أو بالفَساد

وهل كنتَ فى المُلْك من عبد شَمْ سٍ فأَخْشى[٦] عليك لباسَ[٧] السَّواد

(١) انظر الحاشية (٦ص ٢٠).

(٢) هو عبد الرحمن بن جعفر، ولى مرسية إثر قيام أهلها على الملثمين. توفى سنة ٥٤٠ ﻫ (البغية ت ١٠٠٥).

(٣) هو جعفر بن ابراهيم بن أحمد بن حسن بن سعيد من أهل بيت جلالة ووزارة ، وكان مقدما فى النثر والنظم. وزاد انطباعا فى طريقة الزهد. وكانت له بالمعتمد بن عباد صلة (بغية الملتمس ت ٦١٦). وسيأتى (ص ١٧٥).

(٤) فى بغية الملتمس والقلائد (١٤٤) : « زهر الرياض » .

(٥) فى بغية الملتمس : « التمام » .

(٦) فى الأصل : « فأخنا » وما أثبتنا من النفح (٥ : ٢٤٢) . والرواية فيه :

فهل كنت من عبد شمس فأخشى عليـــك ظهور شعار السواد

(٧) فى بغية الملتمس والقلائد والخريدة (١١ : ٣٢٢) : « ظهور » مكان «لباس» . والسواد : شعار العباسيين . والأمويون . من عبد شمس .

وفى ضدّه قولُ الأستاذ أبى محمد بن سَارة[١] فى مدحه :

ومُعذَّرٍ رقّت حواشى حُسْنه　　فقلوبُنَا وَجْدًا عليه رِقَاقُ[٢]
لم يُكْسَ عارضُه السّوادَ وإنّما　　نَفَضت عليه صِباغَها الأحداقُ

وهذا أيضا من الغَريب العجيب .

* * *

ومن أحسن ما رأيتُ فيه مما انفردَ قائلُه بمعناه ، ولم يَشْرَكه فيه أحد سواه ، قولُ أبى مروان عبدِ الله بن سُريَّة البَلَنْسى :

دبّ العِذَارُ بخدّه ثم انْثَنَى　　لما دَنا من لَثْم فيه الأَشْنبِ
/لاغَرْوَ إن خُشِى الرَّدى فى لَثْمه　　فالرِّيق سُمٌّ قاتِلٌ للعَقْرب　　[105 A]

* * *

وما أوردناه فى العِذار من النظم،هو من المعانى العُقم[٣] ، وإنما اجْتُلِبتْ هذه الأبيات صلةً لأبيات السلطان عبد الرحمن والشّىءُ يذكر بمثله ، تغمّدنا الله بفضله .

* * *

ولما وفَد على السّلطان عبد الرحمن رُسُلُ مَلكِ المجوس تطابُ الصلح بعد خروجهم من إشبيلية ، وإيقاعِهم بجهاتها ثم هزيمتِهم بها،وقَتْل قائد الأسطول

---

(١) انظر الحاشية (١ ص ٧٨) .
(٢) هذه رواية الأصل والذخيرة فى نسبة البيتين لابن سارة . أما الفتح فى القلائد (ص ١٤٤) فنسبهما لابن الحاج .
(٣) أى التى لا يتمخض عنها مثالها .

فيها ، رأى أن يراجعهم بقبول ذلك ، فأمر الغَزَال أن يمشى فى رسالته مع رسُل ملكهم ، لما كَانَ الغزَال عليه من حدّة الخاطر ، وبديهة الرأى ، وحُسْن الجواب والنّجدةِ والإقدام والدخولِ والخروج من كلّ باب ، وصُحبَتُه يحيى ابن حبيب ، فنهض إلى مدينة شِلْب[1] ، وقد أُنشئ/ لهما مركب حسنٌ كامل الآلة ، [105 B] ورُوجع ملكُ المجوس على رسالته وكوفئ على هديّته ، ومشى رسول ملكهم فى مركبهم الذى جاءوا فيه مع مركب الغَزَال ، فلما حَاذَوا الطَّرف الأعظم الداخلَ فى البحر الذى هو حدُّ الأندلس فى آخر الغرب ، وهو الجبلُ المعروف بأُلُوية[2] هاجَ عليهم البحر ، وعَصفت بهم ريح شديدةٌ وحَصَلُوا فى الحدّ الذى وصف الغَزال فى قوله :

قال لى يحيَى وصِرْ ... نا بَين موجٍ كالجبالِ

وتولّتنا رياحٌ ... من دَبُور[3] وشَمالِ

شَقَّت القِلْعَين وانـ ... بَتّتْ عُرا تلك الحِبال[4]

وتَمطَّى ملكُ المـو ... ت إلينا عن حِيَال

فرأينا[4] الموت رأىَ الـ ... ـعين حالًا بعد حالِ

لم يكن للقومِ فينا ... يا رفِيقِى رأسُ مال

---

(١) شلب ، من بلاد الأندلس جنوبى باجه و بينها وبين بطليوس ثلاث مراحل . (الروض المعطار) .

(٢) كذا فى الأصل . ولم نعثر فى المظان عليها .

(٣) كذا فى الأصل والنفح (٣ : ٢٦) وفى جذوة المقتبس (ص ١٦١) : « عصوف * من جنوب » .

(٤) هذا البيت ساقط من جذوة المقتبس .

[106 A] / وهـذا القصيد يجولُ عليه رونق الانطباع ، وهو القريب غير المســتطاع ؛ ورأيتُ له فى الغَزل من هذا القصيد معنى انفرد باختراعه ، وأبدع ما شاء فى إبداعه ، وهو قولُه :

وسُليمَى ذاتُ زُهدٍ فى زَهيدٍ من وِصَالِ
كلَّما قُلت صِلينِى حَاسَبْتنِي بالخَيَــال

وهذا اختراعٌ عجيب ، ومعنى غَريب . وزاد فيه بعدَ ذلك ، فقال :

والكَرى قد مُنِعَتْـهُ مُقلَتِي أُخرى اللَّيالى
وهى أدرى فَلِمَـاذا دَافعَتْــنِي بمُحَـال
أتُرانى أَقتضيهــــا بعدُ شيئًا من نَوَال

ثمّ إنّ الغَزال سَلِمَ من هول تلك البحار ، وركوبِ الأخطار ، ووصل أوّل بلادِ المجوس إلى جزيرة / من جَزائرها فأقامُوا فيهـا أياما وأصلحوا مراكبهم ، وأجَمُّوا [106 B] أنفسهم . وتَقدّم مركبُ المجوس إلى مَلِـكِهم ، فأعلَمه بلِحَاق الرّسل معهم ، فسُرّ بذلك ووجّه فيهم ، فمشوا إليــه إلى مستَقرّ ملكه ، وهى جزيرة عظيمة فى البحر المحيط ، فيها مياهُ مطَّرِدَة وجنّات ، وبينها وبين البر ثلاث مجارٍ ، وهى ثلاثمائة ميل ، وفيها من المجوس ما لا يُحصى عددهم . وتقربُ من تلك الجزيرة جزائر كثيرة ، منها صــغار وكبار ، أهلُها كلُّهم مجوس ، وما يليهم من البر أيضا لهم مسيرة أيَّام ، وهم مجوسٌ ، وهم اليوم على دِين النصرانيّة وقد تركوا عبادَة النَّارِ ، ودينَهم الذى كانوا عليه ، ورجعُوا نصارى إلا أهل جزائرَ مُنقطعة لهم فى البحر هُم على دِينهم

الأوَّل من عبادة النار ، ونكاح الأُم والأُخت وغير/ ذلك من أصناف الشَّنار . [107 A]
وهؤلاء يُقَاتلونهم ويَسبونهم . فأمر لهم الملك بمنزلٍ حسن من منازلهم ، وأخرج
إليهم من يلقاهم ، واحتفل المجوس لرؤيتهم . فرأوا العجبَ العجيب من أشكالهم
وأزيائهم . ثم إنّهم أُنزلوا فى كرامة ، وأقاموا يومهم ذلك ، واستدعاهم بعد
يومين إلى رؤيته ، فاشترط الغَزَال عليه ألّا يسجد له ولا يُخرجهما عن شيءٍ من
سُنّتهما ، فأجابهما إلى ذلك . فلما مشيا إليه قعدَ لهما فى أحسن هَيئة ، وأمر بالمَدخل
الذى يُفضِى إليه ، فضُيّق حتّى لا يدخل عليه أحد إلّا راكعاً ، فلما وصل إليه جلس
إلى الأرض وقدّم رجليه وزحف على أَليته زحفة ، فلما جَازَ البابَ استوى
واقفا . والملك قد أعدَّ له وأَحفل فى السّلاح والزّينة الكاملة . فما هالَه/ ذلك ولا [107 B]
ذَعره ، بل قام ماثِلاً بين يديه ، فقال : السَّلام عليك أيها الملك وعلى من ضمّه
مَشهدك ، والتَّحيّة الكريمة لك ، ولا زلتَ تُمتَّع بالعزّ والبقاء والكرامة الماضية بك
إلى شرف الدّنيا والآخرة ، المتَّصلة بالدوامِ فى جوار الحىّ القيّوم ، الذى كُلُّ شئ هالك
إلّا وجهه ، لَهُ الحكم وإليه المرجع . ففسّر له التَّرجمان ما قاله ، فأعظم الكلامَ ،
وقال : هذا حكيمٌ من حكماء القوم ، وداهيةٌ من دُهاتهم ، وعَجبَ من جلوسه إلى
الأرض وتقديمه رجليه فى الدُّخول ، وقال : أردنا أن نُذلّه ، فقابل وجوهنا
بِنَعلَيه ! ولولا أنَّه رسول لأنكرنا ذلك عليه . ثم دفع إليه كتابَ السلطان عبد الرحمن
وقُرِئَ عليه الكتاب ، وفُسّر له . فاستحسنه وأخذه/ فى يده ، فرفعه ثم وضعه فى حِجره ، [108 A]
وأمر بالهديّة ففُتحت عِيابُها ، ووقف على جميع ما اشتملت عليه من الثياب
والأوانى ! فأُعجب بها ، وأمر بهم فانصرفوا إلى منزلهم ووسَّع الجراية عليهم .

وللغزال معهم مجالسُ مذكورة ، ومَقاومُ مشهورة ؛ فى بعضها جادل علماءهم فبكّتهم ، وفى بعضها ناضل شُجعانهم فأثبتهم .

ولما سمعت امرأةُ ملك المجوس بذكر الغَزال وجهت فيه لتراه ، فلما دَخَل عليها سلَّم ، ثمّ شَخص فيها طَويلا ينظرُها نظرَ المتعجّب. فقالت لترجمانها : سَله عن إدمانِ نظره لماذا هو ؟ ألفرط استحسان أم لضدّ ذلك ؟ فقال : ما هو إلّا أنّى لم أتوهم أنّ فى العالم منظرًا مثل هذا ، وقد رأيتُ عند ملكنا نساءً انتُخبن له من جميع الأمم فلم أرَ فيهن/حسنًا يشبه هذا . فقالت [108B] لترجمانها : سَلْهُ أمُجِدٌّ هو أم هازل ؟ فقال : لا ، بل مجدّ . فقالت له : فليس فى بَلَدهم إذًا جمال! فقال الغَزال: فاعرِضُوا علىّ من نسائِكم حتّى أقيسَها بها. فوجهت الملكة فى نساءٍ معلومات بالجمال فحضَرن ، فَصعَّد فيهن وصوّب ثمّ قال : فيهن جَمال وليس كجمالِ الملكة ، لأن الحسُن الذى لها والصفاتِ المناسبةَ ليس يميّزه كل أحد ، وإنما يُعنى به الشُّعراء ، وإن أحبّتِ الملكة أن أصِفَ حُسنها وحَسبها وعَقلها فى شعر يُروى فى جميع بلادنا فعلتُ ذلك . فسرّت بذلك سُرورا عظيما وزُهيَت ، وأمرت له بصلة ، فامتَنع من أخذها الغزال ، وقال : لا أفعل . فقالت للتّرجمان : سله ، لم لا يقبلُ صلتى؟ألأنه حَقَرها أم لأنه حَقرنى ؟ فسأله ، فقال الغزال: إنّ صلتَها لجزيلةٌ،/وإنّ الأخْذَ منها لتشَرُّف لأنّها ملكةٌ بنتُ مَلك ، [109A] ولكن كفانِى من الصِّلة نَظرى إليها وإقبالُها علىَّ، فحسبى بذلك صلَةَ ، وإنّما أريدُ أن تَصلنى بالوصُول إليها أبدًا . فلمّا فسَّر لها الترجمانُ كلامَه زادت منه سُرورًا وعُجبا ، وقالت : تحمل صلتُه إليه ، ومتى أحبَّ أن يأتيَنى زائرًا فلا

يُحجَب ، وله عندى من الكَرامة والرَّحب والسَّعة . فشكرَها الغَزال ، ودعا لها وانصرف .

[109B] قال تمَّامُ بن/عَلقمة : سمعت الغَزَال يحدّث بهذا الحديث ، فقلت له : و كان لهاَ من الجمال فى نفسها بعضُ هذه المنزلة التى صورتَ ؟ فقال : وأبيك ، لقد كانت فيها حَلاوة ، ولكنّى اجتلبتُ بهذا القول محبّتها ، ونلتُ منها فوق ما أردت .

قال تمَّـام بن عَلْقمة : وأخبرنى أحـــدُ أصحابه ، قال : أُولِعَتْ زوجـــة ملك المجوس بالغزال فكانت لاَ تصـــبر عنه يوما حتى تُوجِّه فيه ، ويُقيم عندها يحدّثها بِسِيَر المُسلمين وأخبارِهم وبلادهم ، وبمن يُجاورهم من الأمم . فقَلَّما انصرفَ يوما قطُّ من عندها إلا أَتبعتْـه هديّة ، تَلطُفه بهـا من ثياب أو طعام أو طِيبٍ ، حتى شاع خَبرُها معه ، وأنكرَهُ أصحابُه ، وحُذِّر منه الغَزال ، فحذر وأغبَّ زيارتها . فباحثَته عن ذلك ، فقال لها ما حُذِّر منه . فضحكت ، وقالت له : ليس فى دِيننا نحن هـــذا ، ولا عندنا غَيرة ، ولا نساؤُنا مع رجالنا إلاّ باختيارهِنَّ ، تُقيم المرأة معه ما أحبَّت ، وتفارقُه إذا كرهت . وأمّا عادة المجوس قبلَ أن يصل إليهم دين رُومة ، فألّا يمتنع أحدٌ من النّساء على أحدٍ من الرجال ، [110A] إلّا أن يصحبَ/الشريفةَ الوضيعُ ، فتُعيَّرُ بذلك ، ويَحجرُه عليها أهلُها . فلما سمع ذلك الغزال من قولهـا أنس إليه وعاد إلى استرساله .

قال تمّـام : كان الغزال فى اكتهاله وسيًا ، وكان فى صباه جميلا ، ولذلك سمّى بالغَزَال . ومشَى إلى بلاد المجوس وهوقدشارفَ الخمسين وقد وخَطه الشيب ، ولـكنّه

كان مُجتمع الأشُدّ، ضَرْبَ الجسم[١]، حَسن الصّورة . فسألته يومًا زوجةُ الملك ــ واسُمها نود[٢] ــ عن سنّه، فقال مداعبا لها: عشرون سنة. فقالت للتّرجمان: ومَن هو من عشرين سنة يكون به هذا الشّيب ؟ فقال للترجمان : وما تنكر من هذا ؟ ألَم ترقطّ مُهرًا يُنتج وهو أشهب؟ فضحكت نود ، وأُعجبت بقوله . فقال فى ذلك الغَزال بديها :

[110 B] / كُلّفتَ يا قلبِي هوًى مُتْعبا ... غالبتَ منه الضَّيغَم الأغْلبَا

إنّى تعلّقتُ مجُوسـيَّةً ... تأبَى لِشمس الحُسن أن تَغرُبا

أقصَى بلاد الله لى حيثُ لا ... يَلقى إليها ذاهبٌ مذهبا

يا نُود يا رُودَ الشَّباب التى ... تُطلِعُ من أزرارها الكَوكبا

يا بأبى الشخصُ الذى لا أرى ... أحْلى على قلبى ولا أعْذَبا

إن قلتُ يوما إنّ عينى رأت ... مُشبهَه لم أعْدُ أن أكذبا

قالت أرَى فَوْدَيْه قد نَوّرا ... دُعابةً تُوجب أن أدْعبا

قلت لهـا يا بأبى إنّه ... قد يُنتَجُ المهر كَذَا أشْهَبا

فاستضحكَت عُجْبًا بقولى لهـا ... وإنّمـا قُلت لكى تَعجبا

قولُه« يارؤدَ الشّباب » الرأدَة والرُّؤدة والرُّؤد : الجارية الناعمةُ الجسم. وقد رؤدَ شبابهـا . والغصن الرُّؤد : الرطب ، والشُّعراء يسهّلون الهمزة منه تخفيفا فلا يكادون ينطقون بها .

---

(١) ضرب الجسم : أى خفيف اللحم ممشوقا .

(٢) فى الفتح : « تود » .

[111 A] /وقوله : «فَوديه قد نوّرا» ، فالفَودان : ما يلى الأُذنين من الشَّعر .

وقوله : «أن أدعبا» فإنّه يُقال من الدُّعابة : دَعِب ، بكسر العين فى الماضى ، يدعَب ، بفتح العين فى المضارع ، دعَباً ، بفتح الدال والعين فى المصدر .

* * *

وهذا الشّعر لو رُوى لعمر بن أبى ربيعة ، أو لبشّار بن بُرْد ، أو لعبّاس بن الأحنف ، ومن سلك هذا المسلك من الشّعراء المحسنين لاستُغْرِب له . وإنما أوجب أن يكون ذكره مَنْسياً ، أن كان أندلسياً ، وإلّا فما له أُخْمِل ، وما حقُّ مثله أن يُهْمل . وهل رأيت أحسنَ من قوله : « تأبى لشمس الحسن أن تغربا » ، أو كالبيت الأول من هـذه القطعة ، أو كصفته لمـا جَرى من الدُّعابة ؟ هل وصْفُه إلا الدُّرُّ المنتظِم ، وهل نحن إلّا نُظلَمُ فى حقّنا ونُهتَضم ! يا لله لأهل المشرق ! قَولةَ غاصٍّ بها شَرِق/. ألّا نظَروا إلى الإحْسَانِ بعين الاستحسان ، وأقصرُوا عن استهجان [111 B] الكريم الهِجَان[1] ، ولم يُخرجهم الإزْراء بالمكان عن حدّ الإمكان ، لئن أَرهَفَت بصائرَهم البَصْرةُ وأَرقتها الرَّقّتان ، فقد درَجَنْا نحن بحيث مرَجَ البحرين يلتقيان[2] ، فإن منهما مَخرجَ اللؤلؤ والمرجان . وننشد ما قاله بعض شعرائنا :

نَراحُ لفضل أن يكون لَديكُمُ فما لَكُمُ تأبَون إن كان عندنا .
فلا تَحسدونا أن تَلُوح بأُفقكم لنا طالعاتٌ من هناكَ ومن هنا
وإن كنتُمُ فى العدّ أكثر مفخراً فلا تَظلمونَا فى القليل الذى لنا

* * *

(١) الهجان : البعير الأبيض الكريم . يستوى فيه المذكر والمؤنث ، والواحد والجمع .

(٢) ولعله يشير من بعيد إلى كتابه « مرج البحرين » . وانظره فى المقدمة .

وَلْنرجعِ إلى ذِكْرِ الغزال ، فإنّه لمّـا أنشد « نُود» الشّعر وفسّره الترجمان لها ، ضحكتْ منه وأمرته بالخضَاب . ففعل ذلك الغزال ، وغدا عليها يوماً ثانيا . وقـد اختضَب ، فمدَحَتْ خضابه وحسَّنته عنده ، ففى ذلك يقول الغزال :

[112 A] بكَرَتْ تُحَسِّنُ لى سَوادَ خِضَابى ... فكأنّ ذاك أعادنى لشَبابِى

ما الشَّيبُ عندى والخضابُ لواصفٍ ... إلّا كَشَمس جُلِّلَت بضَباب

تَخْفَى قليلًا ثم يَقْشَعها الصَّبا ... فيصيرُ ما سُتِرت به لذَهاب

لا تُنـكرى وضَح المَشيب فإنّمـا ... هو زَهْرَةُ الأفهام والألْباب

فلدىّ ما تَهوَيْن من شأن الصّبا ... وطلاوة[1] الأخلاق والآداب

ثم انفصل الغزالُ عنهم،وصَحبه الرُّسل إلى شَنْتِ يعقوب بكتاب ملك المجوس إلى صَاحبها . فأقام عنده مكرَّما شهرين ، حتّى انقضى حَجُّهم، فصَدر إلى قَشْتالة مع الصَّادرين ، ومنها خرج إلى طُلَيطلة حتى لَحِق بحضرة السّلطان عبد الرحمن بعد انقضَاء عشرين شهرا

ومن قوله أيضا المتّفقِ عليه فى جَميع الرّوايات :

يَا راجياً وُدَّ الغَـوانى ضِـلّةً ... ففـؤادُه كلِفًـا بهنَّ مُوَكَّلُ

[112 B] لا تَكلَفنّ بوصْلِهنّ فإنمـا الـ ... ـكَلَفُ المحبُّ لمَن من لا يَعقل[2]

إنّ النساءَ لـكالسُّروج حقيقـةً ... فالسّرجُ سرجُك ريثمـا لا تنزل

---

(١) فى الأصل : « طلاقة » . وما أثبتنا عن النفح (٣ : ٢٥) .

(٢) البيت ساقط من النفح .

فإذا نَزلتَ فإنّ غَيرك نازلٌ ذاكَ المكانَ وفاعلٌ ما تَفعلُ
أوْ منزِلِ المُجتازِ أصبح غادياً عنه وينزلُ بعده من ينزل
أو كالثّمارِ مُباحةً أغصانُها تدنُو لأوَّل من يمرُّ فتُؤكل
أعطِ الشبيبةَ — لا أبَالَك — حقَّها منها فإن نعيمَها متحوِّل
وإذا سُلبت ثِيابَها لم تَنتفع عندَ النّساء بكل ما يُستبذَل[١]

ثمّ إن الغزالَ هجا أبا الحسن عليَّ بنَ نافع ، الملقَّب بزِرْياب ، بهجوٍ مُقذع ، تحرّجتُ من إيداعه فى هذا الكتاب .

* * *

— وزِرياب هذا مولى الخليفة المهدىّ ، ابن الخليفة أميرِ المؤمنين أبى جعفر المنصور عبدِ الله بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب . قدم الأندلس مهاجرًا إلى عبد الرحمن بن الحكم ، فتلقَّاه بأعلى المحَل ، /وفوَّض إليه أكثر أموره فى العقد والحلِّ ؛ وذلك لهجرته إليه وحُسن [113 A] غنَائه ، وتناهيه فى الإطراب وغنائه . وهو أوّلُ من سَنّ فى الأندلس أكلَ الهِلْيون[٢] والنّقَاوَى[٣] وقَلْى الفول واستعمالَ الأنطاع[٤] للنوم ، والتّحلّى بالحَرير والخَز والمرويّة[٥] . وسنّ لباس البياض من المِهرجان إلى نِصف اكتوبر ، وإن كانَ مطرا . وعلَّمهم الغناء واخترع النّقر بالريش[٦] ، وتُوفى سنةَ ثلاث وأربعين ومائتين —

* * *

(١) يستبذل : يسأل .
(٢) الهليون ، بالكسر : نبت .
(٣) النقاوى : نبت له زهر أحمر .
(٤) الأنطاع ، من أدم . الواحد : نطع .
(٥) فى الأصل : « والمرى » وما أثبتنا من النفح (٤ : ١٢٤) .
(٦) فى النفح : « وهو الذى اخترع بالأندلس مضراب العود من قوادم النسر » .

فشكا للسلطان الغَزالَ وعرَض هَجْوه عليه ، وما قَذَفه به ونَسبه من الفحش إليه . فأمرَ السلطان بنفيه عن الأندلس . فكلّمه فيه أكابرُ أهل دولته فتركه . ثم إن الغزال لم يَطِب نفساً بالمُقام فى الأندلس فرحَل إلى العراق ، وذلك بعد موت الحسن بن هانئ بمـدّة يسيرة ، فوجدهم يلهجون بذكره ولا يساوُون/شعرَ [113 B] أحد بشعره . فجلس يومًا مع جماعة منهم فأزْروا بأهل الأندلس ، واستهجنوا أشعارهم ، فتركهم حتى وقعوا فى ذكر الحسن ، فقال لهم: مَن يحفظ منكم قوله:

ولمّا رأيتُ الشَّرب أكْدتْ سماؤُهم ... تأبّطتُ زِقّى وٱحتسبْتُ عَنائِى
فلمّا أتيتُ الحَان ناديتُ ربَّه ... فهبَّ خَفيفَ الرّوح نَحْو نِدائى
قليـلَ هُجوعِ العَـينِ إلّا تَعِـلَّةً ... على وجَلٍ منّى ومن نُظَرائى
فقلتُ أذِقْنيها فلمّا أذاقنى ... طَرحْتُ إليـه رَيْطتى[1] ورِدائى
وقلت أعِرْنى بِذْلَةً أستَتِرْ بها ... بذَلْتُ له فيها طلاقَ نِسائى
فوالله ما برَّت يَمِينِى ولا وفَتْ ... له غيرَ أنّى ضامِنٌ بوفائى
وأُبتُ إلى صَحْبِى ولم أكُ آئباً ... فكُلٌّ يُفَـدّينى وحَقّ فِـدائى

[114 A] فأُعجِبُوا بالشعر وذهبوا فى مدحهم له كلَّ مَذهب. فلما/ أفرطوا قال لهم : خَفِّضوا عليكم فإنه لى . فأنكروا ذلك . فأنشدهم قصيدَه الذى أوّلُه :

تداركتُ[2] فى شُرب النبّيذ خَطائى[3] ... وفارقت فيه[4] شِيمتى وحَيائِى

(١) الريطة : الملاءة ذات لفقين ، وهى نحو من العباءة تطرح فوق الرداء . (٢) تداركت : تابعت وواليت .
(٣) الخطاء ، كالخطأ . (٤) فى الأصل : « فيها » وما أثبتنا من النفح (٣ : ٢٨) .

فلما أتمَّ القصيدَ بالإنشادِ نَجلوا وافترقُوا عنه .

وأقام الغَزال فى رحلته تلك مدّةً يتجوّل فى ديار المشرق ، وما انفكَّ فى كل قُطرٍ منـه من غريبة يُطلعها،وطريقة يُبدِعها ؛ ثم إنه رجع إلى نفسه ، وحنَّ إلى مسقط رأسه ؛ وانصرف إلى الأندلس وهو قد تَرك شُرب الخمر وتزهّد فى الشعر وشارف السّتّين ، ورَكبَ النّهج المُبين ؛ ولم يَنسَك نَسكا أعجمياً ، بل ظَرُف ظَرْفا أدبيًا ، وسَلك مَسلكا من البِرّ مرضيًا وقال فى جارية اشتراها/واسمها لَعوب ، وقد [114 B] أراد منها أمرًا فعجز عنه اليعبوب[1] :

لم أنْسَ إذ برزتْ إلىّ لَعوبُ طَرَباً وحيثُ قميصُها مَقْلوبُ
وكأنّها فى الدّار حين تعرَّضتْ ظَبْىٌ تَدلَّه بالفَـلا مَرْعوب[2]
تَفتَرّ عن دُرّ تَناسقَ نَظْمُه فيـه لَثَـاةٌ عَذْبةٌ وغُرُوب[3]
حاولتُ منها رَشفةً فكأنها عَسَلٌ بمـاءِ سَحـابةٍ مَقْطوب[4]
ودَعتك داعيةُ الصِّبا فتطرَّبتْ نَفسٌ إلى داعى الضّلال طَرُوب
وظننتَ عهدَك عهدَها فى الدّهرِ إذ فَينانُ غُصنكَ بالشّباب رَطيب
بجريتَ فى سَنَن الصِّبا شأواً وقد وزَعتك عنـه كَبْرةٌ[5] ومَشيب
وحسبتَ صاحبَك الذى هو ذاك إذ تدعُوه مَهما شئتَه فيُجيب
/قـد كان لا يَنبو إذا جَرّبتَه فالآنَ أحداثُ الزّمانِ تَنُوب [115 A]
لمّا رأتْ ذاك الذى تَنخُو له سَمَحتْ فـالَ على الكَثيب قَضيبُ
وتأوّدتْ خُمصـانةٌ بَهنـانَةٌ كالفَجْر يعلوه دُجًى غِرْبيب[6]

---

(١) اليعبوب فى الأصل : الفرس السريع الجرى ، وقد كنى به عن ذهاب متنه وقوته . (٢) مرعوب : مفزع .
(٣) اللثاة : الريق . والجمع : لثى . ومنه قول الشاعر : * عذب اللثى تجرى عليه البرهما * ، والغروب : تحديد الأسنان .
(٤) مقطوب : ممزوج . (٥) الكبرة ، بالفتح : الطعن فى السن . (٦) غربيب : حالك السواد . يشير إلى شعرها .

فقبضتُ مِلْءيدى علىمُسْتَهدِف[١] رابِى المجَسَّـــة لونُه حُلْبوب

بِيَـــدى الشِّمال وللشِّمال اطافَةٌ ليستْ لأُخرى والأَديب أَريب

فَتَقاعَس المَلْعونُ عنــه وإنّنى لأَكادُ من فَرْط الحَياء أَذُوب

وأبَى كعَيْر[٢] السَّـوْء إلاّ وَقْفةً أَخْزَى بهـا والورْدُ منه قَرِيب

فـكأنّه ممّـا تَشَنَّج جِلْدُه كِيرٌ تقـادم عَهْــدُه مَثْقوب

هـذا شعرٌ حسن فى الهَزل جَزْل فى معانيه ، دون فحش فيـه . والبهنَانة : الطيبةُ الرّيح ، وقد قيل : هى الرخيمةُ المنطق ، وقيل فيها : الضَّحوكُ المُداعبة . وكل هذا ممـا يليق بوصفها فى تلك الحالة ./ وقوله «لونُه حلبوب» . يقال للأخضر إذا اشتدّت خضرته فضرب إلى السّواد : حُلْبوب . [115 B]

وقد أتينا من ذكر الغزالَ بفنُون ، والحديث ذو شُجون .

ومن الحقّ أن نختم ذكره بما قال فى الزُّهد ؛ فإنه — عفا الله عنا وعنه — عُمِّرَ حتى قارب مائة عام ، وقيل : أَرْبى عليها ، وهو القائل :

أَلستَ ترى أنّ الزمانَ طَوانى وبَدّل خَلْقى كُلَّه وبَرَانى

تَحَيَّفَنى عُضْوًا فَعُضْوًا فـلم يَدَعْ سِوى اسمى صَحيحًا وحدَه ولِسانى

ولو كانت الأسمـاءُ يَدْخلها البِلَى لقـد بلِىَ اسمى لامتداد زَمانى

ومالِىَ لا أَبلَى لِتسعين حِجّـةً وسَبْعٍ أتتْ مِن بعـدها سَنَتان

[116 A] / إذا عنَّ لى شخصٌ تخيَّلَ[٣] دونه شَبيـه ضَبابٍ أو شَبيـهُ دُخان

فيا راغباً فى العَيش إن كنتَ عاقلاً فلا وَعْظ إلاّ دُون لَحْظ عِيان

(١) مستهدف : عريض . (٢) العير : الحمار الوحشى (٣) تخيل له الشىء : تشبه .

ومن قول الغَزال فى الزُّهد :

النَّـاس خَلقٌ واحدٌ مُتشابه ... لـكنَّما تَخـالف الأعمـالُ
ويقالُ حقٌّ فى الرجال وباطلٌ ... أىُّ امرئٍ إلاّ وفيـه مَقَال
ولكل إنسانٍ بمـا فى نَفسه ... مِن عَيبِه عـن غيره أشغـال
يستثقـل اللَّمَمَ[1] الخفيفَ لِغـيره ... وعليه من أمثال ذاك جِبال
ويَنـام عن دُنيـاه نومةَ قَانع ... بنَعيم دُنيـاه وذاك خَيـال
ورأيتُ ألسنة الرِّجال أفاعيـًا ... طَوْراً تثُـور وتارة تَغتـال
فإذا سلمتَ من المقَـالة غير ما ... تَجنى فأنت الأسعدُ المفضال

***

ومن مفاخر الأندلس / وشعرائها، وعُلمائها المُتقنين وكبرائها : [116 B]

أبو عمَر أحمدُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ ربِّه[2]

صاحب كتاب العِقد الذى أنجد وغَار، وملأ بذكره الآفاقَ والأقطار. وذكر العالمُ المؤرِّخ الثِّقة أبو بكرٍ الحسنُ بنُ محمد بن مُفرج المعَافرى القُرطبى — يعرف بالقُبَّشى[3] — لُسكناه بها ، فى كتابه الذى سمّاه بكتاب "الاحتفال فى تاريخ أَعلام الرجال"، الذى

---

(١) اللم : صغار الذنوب .

(٢) توفى ابن عبد ربه سنة ثمان وعشرين وثلثمائة لاثنتى عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى . ومولده سنة ست وأربعين ومائتين لعشر خلون من رمضان . (بغية الملتمس . والجذوة) .

(٣) نسبة الى قبش : مدينة غربى قرطبة . اشتهر بعنايته بالحديث وروايته عن الشيوخ وسماعه منهم وتقييد أخبارهم . ولد سنة ٣٤٨ وتوفى بعد الثلاثين واربعمائة (الصلة ت ٣٠٨) .

حدثنا به المحدّثُ العَدل أبو القاسم بن بشكوال، عن الحافظ الثّقة أبي محمد بن يَربوع عن الثّقة أبي محمّد بن خزرج عنه، قصةً جرت لابن عبد ربه، مع الكاتب أبي حَفص عُمر بن قلْهيل في التّسمّع على جاريته مَصابيح. واتفق أن اجْتاز أحمدُ بن محمد بنِ عبد ربِّه بِدار أبي حَفْص عشيّةً فقَرع سَمْعَه / من طِيب الغناء ما استوقفه، [117A] وأراد الدُّنو من الباب. وقيل، إنَّه صُبّ عليه من العليّة[1] ماءٌ بلَّ ثيابه، فلم يَرْدعه ذلك عن طلب الازديادِ في السّماع. فعَدل إلى مسجدٍ بقُرب الدّار، وسأل المُعلّم فيه أن يأتيَه بدواة وبيَاض يكتُب فيه، فجاءه بهما فكتب، إلى بن قلهيل رقعة فيها:

بسم الله الرّحمن الرّحيم. طاولَتك النِّعم وطالت بك. إنا لمَسنا سمـاءَ هوَك، (فوَجدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وشُهُبًا. وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ للسَّمعِ، فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ) ... إلى آخر الآية. وفي ذلك أقول:

يا مَن[2] يضَنّ بصوت الطائر الغَرِد ... ماكنتُ أحسَبُ هذا الضَّنّ[3] في أحَدِ

[117B] / لو أنّ أسماعَ أهلِ الأرض قاطبةً ... أَصغتْ إلى الصّوت لم ينقُص ولم يَزد

لولا آتقائي شِهابًا منـك يُحْرقني ... بنَـاره لاسترَقتُ السّمع من بُعُد

لو كان زريابُ حيًّا ثمّ أسمعَـه ... لمـاتَ[4] من حَسد أو ذَاب من كَمَد

(١) العلية، بالضم والكسر: الغرفة.

(٢) في الأصل: «ماذا تضن». وما أثبتنا عن الجذوة.

(٣) في الجذوة: «البخل».

(٤) رواية هذا العجز في الجذوة: «لذاب من حسد أومات من كمد».

فلا تَضَنّ على أُذْنى تُقَرِّطهـا[1] صوتًا يَجُول مجالَ الرُّوح فى الجَسَدِ
أمّا الشّراب[2] فإنى لست أقـرَبه ولستُ آتيـك إلا كِسْرتى بيـدى

وسأل البَوّاب فأوصلَ الرقعة إليه ، فلما قرأها وعرف موضعه جاء حافياً إليه ، وسألَه الحضور ففعـل . ثمّ قال ممـازحا : هات الكسرة التى/زعمت أنّك ترفع [118A] عنّا مئونتها . فقال : أنصرف فآتيك بها . فأقام أحمد عنده أياما .وقد ذكر هذه الحكاية الحمِيدى فى جَذوة المقْتبس له مبتورةً[3] مصحفة .

وزِرياب عندهم كان يجرى مَجرى الموصلىّ فى الغناء،وله طرائقُ أُخذت عنه ، وأصوات استُفيدت منه . وقدّمنا ذِكره عند ذكر الغزال ، وسُقْنا خبره .

ومن شعر ابن عبد ربّه :

الجسمُ [4] فى بلد والرّوحُ فى بلدِ يا وَحْشةَ الرُّوح بل يا غُرْبة الجَسَدِ
إن تَبْك عيناكَ لى يا مَن كَلفتُ به مِن رحمةٍ فهُما سَهمَاك فى كَبِدى

قال الحمِيدى : ومـمـا أنشدنيه من شعره أبو محمّدٍ علىُّ بنُ أحمد[5] ، وأخبرنى أنّ بعض من كان يألفه / أزمعَ على الرّحيل فى غَداةٍ ذَكَرها ، فأتَتِ السّماءُ [118B] فى تلك الغَداة بمطر جَوْد حال بينه وبين الرَّحيل ، فكتب إليه أبو عُمر :

هلاّ ادَّكرت[6] لبَيْن أنت مبتكرُ هيهات يأبَى عليك اللهُ والقـدَرُ

---

(١) فى الجذوة (ص ٩٥) : « على سمعى تقلده » .
(٢) فى الجذوة : « أما النبيذ » .
(٣) أما مبتورة فصحيح ، فقد أوجز فى تمهيده ولم يعقب وأسقط بيتا . وأما التصحيف فالنص سليم .
(٤) وانظر الجذوة وبغية الملتمس (ص ٣٨) .
(٥) هو ابن حزم .
(٦) فى الأصل « ابتكرت » .

ما زلتُ أبكى حِذار البَيْن مُرْتَهِناً[١]   حتى رثَى لىَ فيــك الريحُ والمطرُ
يا بَردةً من حَيَا مُزْنٍ على كَبِدٍ   نيرانُهـا بِغَلِيل الشَّوق تَسْتعر
آليتُ ألّا أرى شمسًا ولا قمرا   حتى أراك فأنت الشمس والقمرُ

ولأبى عُمر بن عبد ربّه هذا مدائحُ كثيرة ومجموعات كبيرة فى مدح مواليه بنى أُمية .آخرها ما جمع / للمستنصر بالله الحكَم[٢] بن عبد الرحمن النّاصر لدين الله ، ثم كفَّرعن جميع ما قال[٣] وأحسن المقال وسمّاها بالممّحصات ، والله يقبـل التَّوبة ويعفو عن السّيئات . فمن ذلك قطعة محّص بها القطعة المذكورة آنفا : [119A]

يا عاجزاً ليس يعفُوحيث[٤] يَقتدرُ   ولا يُقَضَّى له من عَيشه وطَرُ
عَايِن بقلبك إنّ العين غَافلةٌ   عن الحقيقــة وأعلم أنهـا سَقَر
سوداءُ تَزفِرُ عن غيظٍ إذا سُعِرت   للظَّالمين فلا تُبـقى ولا تَذَر
إنّ الذين اشْتروا دُنيـا بآخرة   وشِــقْوةً بنعيمٍ ساءَ ما تَجَروا
يا من تلهّى وشيبُ الرأس يندُبه   ماذا الذى بعد شيبِ الرّأسِ تنتظر
[119B] / لو لم يكن لك غيرُ الموت موعظةٌ   لـكان فيه عن اللّذّات مُزدَجَر
أنت المقولُ له ما قلتُ مبتــدئاً   هلَّا ادَّكرتَ لِبيْنٍ أنت مبتكر

قال ذو النّسبين ، رضى الله عنه : وحدّثنا الفقيه الأجلُّ أبو الحسنِ علىُّ بنُ الحسين[٥] بلفظه بمدينة فاس سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة ، وفيهـا مات رحمه

---

(١) مرتهنا ، أى محبوسا على ذلك لا فكاك لى منه . والذى فى الأصل « ملتهفا » واللهفة على فائت . والصيغة مما لم ترد فى المعاجم .

(٢) ولى الحكم الخلافة بعد وفاة ابيإ الناصر سنه ٣٥٠ وتوفى سنة ٣٦٦ هـ .

(٣) ولـكن الحميدى فى جذوة المقتبس يقول : « إنه نقض كل قطعة قالهـا فى الصبا والغــزل بقطعة فى المواعظ والزهد » . . والقطعة التالية تؤيد الحيدى . ولعل فى العبارة نقصا ، ويستقيم بزيادة « فى الصبا والغزل » وتكون العبارة : « ثم كفر عن جميع ما قال فى الصبا والغزل »

(٤) فى الجذوة : « حين » .

(٥) ويعرف باللواتى من فاس كان فقيها محدثا مشاورا ، روى عن أبى جعفر بن باق ، وأخذ اللغة والنحو عن ابن الأخضر وحدث بالموطأ عن الخولانى . (ابن الأبار — ت ١٩١٣) .

الله ، قال : حدّثنا الفقيه الحافظ أبو الحجّاج يوسف بن عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن عدُيس [١] الأنصارى بجامع القرويّين بمدينة فَاس سنة خمس وخمسمائة ، وفيها مات . قال : سمعت الإمامَ أبا عُمر بن عبدِ البرّ [٢] يقول : سمعت الإمام الحافظ أبا الوَليد عبدَ الله بن محمّد بن يُوسفَ الأزدى،/ المعروف بابن الفَرضى [٣] يقول : [120A] أنشدنا الإمام أبو زكريّا يحيى بنُ مالك بنِ عائذ [٤] ،قال : أنشدنى أبو عمر أحمدُ بن محمد بن عبد ربه شاعرُ الأندلس لنفسه :

ألّا إنّما الدُّنيا غضَارةُ أيكةٍ   إذا اخضرَّ منها جانبٌ جفَّ جانبُ
هى الدَّار ما الآمال إلّا فجائعٌ   عليها ولا اللذَّاتُ إلّا مَصائب
وكم سَخِنَت بالأمس عَـينٌ قَريرةٌ   وقرَّت عُيونٌ دمعُها اليوم ساكب
فلا تَكتحل عيناك فيها بعَبْرةٍ   على ذاهب منها فإنك ذاهب

وآخر شعر قاله قبل موته بأحدَ عشر يوما [٥] :

كلَانِى لمَا بى عاذلَىّ كفَانى   طويتُ زَمانى بُرهةً وطَوانِى
/ بليتُ وأبلَتنى الليالى وكَرُّها   وصَرْفان للأيّام مُعتَوران [120B]
وما لِىَ لَا أَبلى لِسَبْعين حِجّةً   وعَشْرٍ أتتْ من بعدها سَنَتان

---

(١) من أهل شريون ، تفقه بطليطلة ، وكان من أهل العلم . وتوفى ببلاد العدوة ودفن بفاس . (الصلة ت ١٣٩٢) .

(٢) هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي ولد فى سنة ٣٦٢ وتوفى سنة ٤٦٠ ومن كتبه الاستيعاب فى أسماء الأصحاب . (بغية الملتمس ت ١٤٤٢) .

(٣) انظر (الحاشية رقم ١ ص ٣٢) .

(٤) رحل إلى المشرق قبل الخمسين والثلاثمائة ، وسمع ببغداد والبصرة وغيرهما بعد أن سمع بالأندلس ، وحدث بالمشرق والأندلس ، وروى عنه بعض أهل مصر وبغداد . وكان يملى ويحدث بجامع قرطبة . ومات سنة ٣٧٦ ﻫ عن سن عالية . (بغية الملتمس ت ١٤٩٢) .

(٥) زاد الحميدى بعد هذا : « وفيه بيان مبلغ سنه » .

فلاتسألانِى عن تَباريح عِلَّتى ... ودونكما منِّى الذى تَريان
وإنِّى بحمد الله راجٍ لِفَضـله ... ولى من ضَمان الله خيرُ ضَمانِ
ولستُ أبالى عن تَباريح عِلَّتى ... إذا كان عَقْلى باقيًا ولِسانى
هُما ماهُما فى كُل حالٍ تُلِمّ بى ... فذا صارمى فيها وذاكَ سنانِى

* * *

[و] الوزير الكاتب ، كاتب الملك المنصور أبى عامرٍ محمدِ بن أبى عامر[١] :

أبو عمرَ أحمدُ بنُ محمّدِ بنِ درّاجٍ المعروفُ بالقسطَلى[٢]

نُسب إلى بلد هناك تُعرف بقَسطلة درّاج[٣] ، معدود فى الأندلس فى جملة العلماء، والمتقدّمين من الشّعراء، والمذكورين من البلغاء، وشعره وترسيله فى عدّة أجزاء. فمن مستحسن قوله ماقاله فى ملك سَرَقسطة[٤] ، المُنذر بن يحيى التُّجيبى[٥] :

يا[٥] عاكفينَ على المُدام تَنبَّهوا ... وسلُوا لِسانى عن مكارِم مُنذِرِ
مَلِكٌ لو آستوهبتَ حبّةَ قَلْبه ... كَرَمًا لجادَ بها ولم يَتَعـذَّر ... [121A]

---

(١) هو الحاجب محمد بن أبى عامر ، استبد بأمور الأندلس أيام هشام المؤيد ، وكانت وفاته سنة ٣٩٢ هـ .

(٢) ترجم له الثعالبى فى اليتيمة ، وابن خلكان فى وفيات الأعيان ، والحميدى فى جذوة المقتبس ، وابن بسام فى الذخيرة . وذكر ابن خلكان أنه رأى ديوانه فى جزأين .

(٣) دراج : قرية فى غرب الأندلس .

(٤) سرقسطة : مدينة فى شرق الأندلس .

(٥) استقل بسرقسطة أيام الفتنة سنة ٤٠٥ هـ وظل عليها أميرا حتى توفى سنة ٤١٤ هـ ، على خلاف فى ذلك .

قال الحميدى : « سمعتُ أبا محمدٍ علىّ بن أحمدَ[١] ، وكان عالمًا بنقد الشعر يقول : « لولم يكن لنا من فُحُول الشّعراءِ إلا أحمدُ بن درّاج لما تأخّر عن شأو حبيبٍ والمتنبى » مات أبو عمر قريبًا من العشرين وأربعمائة [٢]

*

الأديب الحسيب :

أبو عمر أحمد بنُ هشامٍ

ابن عبد العزيزِ بنِ محمد بنِ سعيد الخير[٣]

أورد له الوزير أبو الوليد بنُ عامر[٤] فى الورد والنرجس :

انظر[٥] إلى الرّوض فى جَوانِبه أحمرُه ضاحكٌ وأصفرُه

إذا هفَت فوقه الرّياحُ سَرَى بِهفْوِها مِسْكُه وعَنْبرُه

نَرجسُه تَستجدُّ صُفرته حتى كأنّ الحَبيبَ يهجره

والورد يَختالُ فى مَنابتِه تَطْويهِ أكمامُه وتَنشره

*

---

(١) هو ابن حزم .

(٢) وكانت ولادته فى المحرم سنة سبع وأربعين وثلثمائة . .

(٣) وزاد الحميدى فى الجذوة : « ابن الأمير الحكم أخو محمد » . وذكره أيضا صاحب بغية الملتمس (ت ٤٧٥) .

(٤) هو أبو الوليد اسماعيل بن محمد بن عامر الكاتب باشبيلية ، مات قريبا من سنة ٤٤٠ هـ . (بغية الملتمس ت ٥٣٤) .

(٥) انظر البديع فى وصف الربيع (ص ٣٠) .

[و] الوزير الخطير ، الفاضل النِّحرير :

[ابن شهيد]

أبو عامرٍ أحمدُ بنُ السّادةِ الوزراء :

أبِي مَروان عبدِ الملك بنِ مروان بنِ ذى الوزارتين الأعلى أحمدَ بنِ عبد الملك ابنِ عمر بن محمّدِ بن عيسى بن شُهيد / أشجعىُّ النّسب ، من ولد الوضاح بن رزاح [121B] الذى كان مع الضّحاك بن قيس الفِهْرىّ يوم مَرْج راهِط[1] .

وأبو عامرٍ هذا أرسخُ أهل الأندلس قاطبةً بالأدب، يُنْسَل إليه من كل حَدَب، ولِم يرَ لنفسه فى البلاغة أحداً يُجارِيه، ويُساجلُه فى جميع العلوم ويُبَارِيه، وأما الكَرَمُ فلا يُقاربه فيه أحد من أهل بلده ولا يدانيه .

ومن أخبارِه العظيمة ، ومَناقبه الكريمة ، ما حدَّثنى به الفقيه العـالم المحدّث النحوى القاضى بمدينة غرناطه وأعمالِها، أبو محمّدٍ عبدُ المنعم بنُ محمّدِ بن عبد الرحيم الخزرجى، رحمه الله، قال: حدَّثنا الوزير أبو عامرٍ محمدُ بنُ أحمدَ بن عمرَ السالمىّ ، قال : حدّثنا الشيخ أبو عبدِ الله بن الصَفَّار قال :

كان رجلٌ من أهل طُليطلة ذا محلّ شريف، ومكان عالٍ مُنيف ، فَنَبَأَ بِهِ الوطن ، وخانه على معهوده/الزمن؛ فأتى إلى قُرطبة رثَّ الحال ، منبَتَّ الحبال، [122A] لا يملك فَتيلا ، ولا يدرك كثيرا ولا قليلا ؛ فأنزل عيـاله فى أحد الفنادق

---

(١) مرج راهط : بنواحى دمشق . يشير إلى الوقعة التى كانت بين الضحاك ومروان بن الحكم ، والتى انتهت بقتل الضحاك واستقامة الأمر لمروان .

وخرج يلتمس حُرًّا يَستجديه ، وفاضلا يستهديه . فأُرشد إلى أبى عامر بن شُهيد ، فكتَب إليه كتابا يُعرب عن فضل أدبٍ ، وكريم نَسب . فقال للرّافع له : ما زِىُّ هذا الرجل ولُبسه ؟ وكيف همته ونفسُه ؟ . فأعلمه بما بدا من حاله ، وظهر من اختلاله ، فأمر بدخوله . فلما دخل أدناهُ أبو عامر وقرّبه ، ورتّب له من البرّ والإكرام ما رتّبه ؛ ثم إنه أسَرَّ إلى وكيله بكلام لم يَدْرِه الرّجل ، إذ كان حائرا قد اكتنفه الخجَل . ثم أمر أن يُدخَل فى الحمّام ، ويُحتفل فى البرّ به والإكرام . فلما خرج منه أُلقِىَ سَبَنِيَّةً[1] بثياب أعدّت له فلبسها ، وأعيد إلى دار ابن شُهيد ، ووافق ذلك اليوم دعوةً له لبعض القوم ، فمكثَ الرّجل وهو معلّق البال ، بمن تركه / هنالك من العيال ؛ فلما انتظم الأصحابُ ، وقـدّم الطّعام [122B] والشّراب ، دخل الرجل مدخلهم فى ذلك المـأْنَس ، وأخذ مكانه من المجلس ؛ وأبو عامر بن شُهيد يؤْثِر مكانَه ، ويدعو إلى بره إخوانَه . فمكث الرجل بين فرح وترح ، طورا ممتدَّ الأُنس ، وتارة مكدَّر النفس . فلما كان عشىُّ اليوم الثانى خرج الرّجل وقد قُدّم له مركب سار عليه ، وغلامٌ بشمعة بين يديه ؛ إلى أن أدّى به إلى هذه الدّار ، وهى مشهورةٌ بقرطبة إلى الآن بين جميع الدّيار . فقال : انزل يامولاى . قال الرّجل : ليستْ هذه دارى ، وإنّما نزلتُ فى الفندق الفلانى . فقال الغلام : بل هى دارك ، أعطاكها سيّدى ، وأنا والدّابةُ لك . فأُخرس الرجل ودخل الدّار ، فوجدها قد مُلئت نعماً كثيرة ، وفُرشا وثيرة ؛ وعياله فى مُنَضَّد تلك المجالس ، قد أفرغت عليهنّ أفخر الملابس ؛ / وقد مُلئت خزائنُها بما يملأ العيونَ قُرّة ، [123A] والقلوب مَسرة .

---

(١) نوع من الثياب ينسب إلى سبن ، بالتحريك : محلة ببغداد .

ولهذا الوزير كتبٌ كثيرة الهزل والجد ، بعيدة عن الحصر والعدّ . منها كتابُ التّوابع والزّوابع[١] ، وكتاب حُانوت العطار ، وكتاب كشف الدّك و إيضاح الشك[٢]

وقال حافظ أهــل زمانه الفقيه أبو محمّدٍ علىُّ بن أحمَد بنِ سعيد بن حزم الظّاهرى ، فى رسالته فى فضل الأندلس ، مفتخرا به : « ولَنــا من البلغاء أحمد ابنُ عبد الملك بنِ شُهيد[٣] ، صديقُنا وصاحبنُا ، وهو حى لم يبلغ [بعد][٤] سنّ الاكتهال . وله من التّصرّف فى وجوه البلاغة وشعابها مقدارٌ يكاد ينطق فيه بلسان مركّب من لسانى عمرو وسهل »[٥] . وتُوفّى رحمه الله ضحى يوم الجمعة آخر يوم من جمادى الأولى سنة ست وعشرين وأربعمائةٍ بقُرطبة ؛ ودُفن يومَ السّبت ثانى يوم وفاته فى مقبرة أُم سلمة ؛ وصلّى عليه رئيس قرطبة أبو / الحزم جَهْورُ بن محمّد بن جَهْور الكلبىّ . [123B] ومولده سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة ، ولم يُعقِّب . وانقرض عقبُ الوزير أبيه بموته . وكان جوادًا لا يُليق[٦] شيئا ، ولا يأسى على فَائت ، عزيز النفس . ومن شعره الدّال على كرمه ونخره :

أَلِفْتُ بالحُبّ حتى لو دَنَا أجَلِى   لَمَا وجدتُ لطعم الموتِ من أَلَم
وزادنى كَرَمِى[٧] عمّن وِلِهْتُ به   ويْلِى من الحبِّ أو ويْلِى من الكرم

---

(١) أورد ابن بسام فصولا منها فى الذخيرة فى القسم الأول المطبوع بمطبعة الجامعة . وطبعها الأستاذ بطرس البستانى مستقلة مع شرح غامضها وتصديرها ، ودراسة لابن شهيد .

(٢) وهو فى علم الحيل والشعوذة .

(٣) انظر النفح (٤ : ١٧٠) .

(٤) التكملة من النفح .

(٥) يريد بعمرو وسهل : الجاحظ وابن هارون .

(٦) لا يليق : لا يمسك .

(٧) فى الجذوة (ص ١٢٦) : « وزاد فى كرمى » .

وقال :

كتبتُ[١] لَهَا أنّى عاشقٌ ... على مُهْرَقِ الكَتْمِ[٢] بالناظر

فردّتْ علىّ جوابَ الهَوى ... بأحورَ فى مائه حائر

منعَّمةٌ نَطقتْ بالجُفون ... فدلّت على دقّة الخاطر

كأنّ فؤادىَ إذ أعرضتْ ... تعلَّق فى مِخْلَبَىْ طائر

وقوله :

وتَدرى سِباعُ الطَّير أنَّ كُماتَه ... إذا لَقيتْ صِيدَ الكُماةِ سِباعُ[٣]

تَطير جِياعًا فوقَه وتَردُّها ... ظُباهُ إلى الأوكارِ وهى شِباع

/ قال ذو النّسبين، رضى الله عنه : هذا المعنى قد سبقَه إليه مَروانُ بن أبى [124A] الجَنوب[٤] فقال : يمدح المعتصم :

لا تَشبع الطّيرُ إلّا فى وقائعه ... فأينما سَارَ سارت خلفه زُمَرَا

عوارفًا أنّه فى كُلّ مُعتَرِك ... لا يُغمد السَّيفَ حتّى يُكثِرَ الجزَرَا

الجزَر، بفتح الجيم والزاى : الشاء المُذَبَّحُ، والواحدةُ : جزرة . قاله أبو علىّ فى البارع[٥] : وأراد به الشاعرُ هاهنا كثرةَ القتلى. وهذا مأخوذٌ من قول أبى نُواس :

تتأيَّا الطَّيرُ غُدوتَه ... ثِقةً بالشِّبع من جَزَرِه[٦]

---

(١) الشعر فى الجذوة (ص ١٢٤) .

(٢) المهرق : الصحيفة . والكتم ، بالتحريك : نبت فيه حمرة . و إن صحت الكلمة هنا ، فالتسكين للشعر ويكون المراد : الخد ، وكأنه وهو يشير بناظره يخط على صفحة خده .

(٣) الكماة : الشجعان . وصيد : جمع أصيد ، وهو الذى يرفع رأسه كبرا .

(٤) هو مروان بن ابى الجنوب يحيى بن مروان ، و يكنى أبا الصمت ، و يلقب غبار العسكر ، و يعرف بمروان الأصغر . مدح المأمون والمعتصم والواثق . (معجم الشعراء للمرزبانى) .

(٥) هو البارع فى اللغة لأبى على إسماعيل بن القاسم القالى المتوفى سنة ٣٥٦ هـ . وقد طبع الكتاب فى لندن سنة ١٩٣٣ م

(٦) تتأيا : تقصد . والبيت من قصيدة فى مدح العباس بن عبد الله بن أبى جعفر المنصور مطلعها :

ايها المنتاب من عفره ... لست من ليلى ولا سمره

وأخذَه مُسلم بن الوليد فقال :

قد عَوَّد الطيرَ عاداتٍ وَثِقنَ بهـا فهنّ يَتْبَعْنَـه فى كُل مُرْتَحَـلِ[١]

وأخذه أبو تمّـام فقال :

وقد ظُلّلت عِقْبانُ أعلامه ضُحًى بعقبـان طَيْرٍ فى الدّماء نَواهـلِ[٢]

أقامتْ مع الرّاياتِ حتى كأنّهـا من الجَيْش إلّا أنّهـا لم تُقَاتل

[124B] وكلّهم قصَّر عن النابغة الذُّبيانى فى قوله :

إذا ما غَزَوا بالجَيْش حَلّق فوقهم عَصائبُ طَيْرٍ تَهتدى بعَصائب

جَوانحَ قد أيقنَّ أنّ قَبيـلَه إذا ما التَقى الجَمْعـان أولُ غالب

لهنَّ عليـه عادةٌ قد عَرَفْنهـا إذا عُرِّضَ الخَطِّىُّ فوق الكَواثب[٣]

وإنمـا قلنَا إنّهم قَصَّروا عن النابغة لأنّه زادَ فى المعنى وأحسن التركيب. ودلَّ على أنّ الطَّيرَ إنّمـا أكلتْ أعداءَ الممدوح . وكلامُهم كلُّهم مشترك محتمل ضد مانواه الشّاعر. وإن كان أبو تمـام قد زادَ فى المعنى على أن الطَّـير إذا شبِعَتْ ما تَسألُ أىَّ القبيلين الغالب . وقد أحسن أبو الطَّيب المتنبى فى قوله :

له عَسْكَرا خَيْلٍ وطَيرٍ إذَا رمَى بها عسكرًا لم يَبق إلا جَماجِمُه

---

(١) البيت الأربعون من القصيدة الأولى (ص ١٠) من ديوان مسلم طبعة ليدن .

(٢) من قصيدة مطلعها : غدا الملك معمور الحرا والمنازل منور وجف الروض عذب المناهل

(٣) كذا فى اللسان (كثب) وشعراء النصرانية ص٦٤٦ . والكواثب : جمع كاثبة ، وهى مجتمع كتفيه قدام السرج . وفى الأصل : « الكتائب » .

ويتوجَّه عليه أنّ هذه الطيرَ لأى معنى عافَت الجماجم ، دون عِظَام السوق والأذرع وغيرها من الأعضاء . وقد أخذ / منهم بكرُ بن النَّطاح فقال : [125A]

وتَرى السباعَ معَ الجوَا رج فوق عَسْكرنا جَوانحْ

ثقــةً بأنَّا لا تَزا لُ نُمير ساغِبَهـا الذبائح

ساغبُها : جائعُها ، والسَّغَبُ : الجوع .

ولو تَتَبَّعنا جميع ما نَظمه الشّعراءُ فى هذا الباب ، لأتى على أكثر الكتّاب .

* * *

وقال أبو عامر بن شُهيد :

ولمّـا تملّأ مِن سُكرِه فَنَام ونَامت عُيون العَسَسْ

دنوتُ إليه على بُعـــده دُنُوَّ رفيق دَرى ما التَمَس

أدبُّ إليـه دبيبَ الـكَرى وأسمو إليـه سُمُوَّ النَّفس

وبِتُّ به ليلتى ناعمًـا إلى أن تَبسَّم ثغرُ الغاس

أقبّل منه بَيـاض الطُّلا وأرشفُ منه سَوادَ اللَّعس

. . .

ومنهم شاعر قُرطبة وزعيمُها ، ونُخبةُ بنى مخزوم وصَميمُها ، ذو الوزارتين :

[125A]

/ أبو الوليدِ بنِ زيدونَ المخزومىّ

أحمدُ بنُ عبدِ الله بنِ أحمدَ

فمن قصائده التى ضربتْ فى الإبداع بسهم ، وطلعت فى كل خاطرٍ ووَهْم ، ونزعت منزعًا قصَّر عنه حبيبٌ وابنُ الجهم[1] :

أضحى التنائى بَديلاً من تَدانينا ⁂ وناب عن طِيب لُقيانا تجافينَا

بِنْتُم وبِنَّا فما ابتلَّت جوانحُنا ⁂ شَوْقًا إليكم ولا جَفَّت مآقينا

تكاد حين تُناجيكم[2] ضمائرُنا ⁂ يَقْضى علينا الأَسَى لولا تأسِّينا

حالتْ[3] لفقدكُمُ أيّامُنا فغَدتْ ⁂ سُودًا وكانتْ بكُم بيضًا ليالينا

إذ جانبُ العَيْشِ طَلْقٌ من تألُّفنا ⁂ ومَوْرِد[4] اللّهو صافٍ من تَصافينا

وإذ هَصَرنا غُصون[5] الأُنس دانيةً ⁂ قُطوفُها فجَنينَا منه ما شِينَا

لِيُسق عهدُكُم عهدُ السرور فما ⁂ كُنتم لأرواحنا إلّا رياحينا

مَن مُبلغُ المُلبِسِينَ بانتزاحِهمُ ⁂ حُزنًا مع الدّهرِ لا يَبلى ويُبْلينا

أنّ الزّمان الذى ما زال يُضحكنا ⁂ أُنسًا بقُربهمُ قد عادَ يُبكينا

غيظَ العدَا من تَساقينا الهوَى فدعَوا ⁂ بأنْ نَغَصّ فقالَ الدهرُ آمينا

---

(١) حبيب : هو أبو تمام حبيب بن أوس المتوفى سنة ٢٣١ هـ . وابن الجهم ، هو أبو الحسن على بن الجهم بن بدر المتوفى سنة ٢٤٩ هـ .

(٢) فى جذوة المقتبس : « تناجينا » .

(٣) فى الجذوة : « حارت » .

(٤) فى الديوان : « ومربع اللهو » .

(٥) فى الجذوة : « فنون اللهو ... قطوفه » . وفى الديوان : « فنون الوصل » .

وبات ليلةً بإحدى جنّاتِ إشبيلية فقال :

/وليلٍ أدمنا فيــه شُربَ مُدامةٍ ... إلى أنْ بدَا للصُّبح فى الّليل تأشيرُ[١] [126A]

وجاءَت نُجومُ الّليل تَضربُ فى الدُّجى ... فولّت نُجومُ الّليــلِ والّليلُ مقْهور

فَحُزْنَا من اللّذات أطْيبَ طِيبِها ... ولم يغــرُنَا هَمٌّ ولا عاق تَكْدير

خَلا أنّه لو طالَ دامتْ مَسرّتى ... ولكنْ ليالى الدّهرِ فيهنَّ تقصير

ومن قوله :

بينى وبينَك ما لو شئتَ لم يَضِعِ ... سِرٌّ إذَا ذَاعت الأسرار لم يَذِعِ

يا بائعـا[٢] حظَّـه منّى ولو بُذلت ... لِىَ الحيـاةُ بحظى[٣] منك لم أبِعِ

حَسْبى[٤] بأنّك إنْ حَمَّلت قلبىَ ما ... لا تَستطيع قُلوبُ النـاس يَستطِع

تِهْ أحتمِلْ ، واستَطل أصْبِرْ، وعِزّ أهُنْ ... وَوَلِّ أقبِلْ ، وقُل أسمَعْ، ومُرْ أُطع

هذا أحسن ما قيل فى هذا الباب ، لما فيه من ذكر الجوابِ/ لكلّ حرف [126B] من حروف الأمر ، وخلوُّ بيتِ أبى الطّيّب المتنبّى :

أقِـل أنِلِ اقطع احْمِل عَلِّ سَلِّ أعِدْ ... زِدْ هَشّ بَشّ تَفضّلْ آدْنُ سُرَّ صِلِ[٥]

---

(١) التأشير : التحزيز فى الأسنان . شبه به بياض الصبح فى سواد الليل .

(٢) فى بغية الملتمس ص (١٧٤) : « يا مانعا » .

(٣) فى الذخيرة (١ : ٣١٩) : « بحظى منه » .

(٤) فى الذخيرة : « يكفيك أنك ... » .

(٥) من قصيدة مطلعها :

أجاب دمعى وما الداعى سوى طلل ... دعا فلباه قبــل الركب والإبل

ولبعض أهل ذلك العصر ، وهو أقلّ تكلفا وأيسر تعسُّفا :

فَدُم وابقَ واسلَم واستطل عزّةً وصِلِ ... وسُدْ وارقَ واغنَم واستزِدْ رفعةً وانمُ
فلن يَتنافَى اثنـانِ رأيُك والنُّهى ... ولن يتَلاقى اثنـان فعلُك والذَّمُ

ولأبى الفَرج الأصبهانى مؤلِّف كتاب الأغانى :

يافرحةَ الهمِّ بعـد اليأسِ من فـرجٍ ... يافرحةَ الأمن بعـد الرَّوع والوَهَـلَ
اسلَم ودُمْ وابقَ واملك وانمُ واسمُ وزِد ... وأعطِ وامنَع وضُر وانفَع وصِل وَصُلِ

[117A] وكان الأصل فى ذلك قول أبى العَمَيْثَل[1] فى عبدِالله بن طاهر، ذى اليَمينين[2] :

يامن يُحاول أن تـكونَ صِـفاتُه ... كخِصال عبـد الله أنصِتْ واسمعِ
أصدُق وعِفَّ وَجُد وأنصف واحتَمِل ... واصفَح وكافِ ودَارِ واحلُم واشجُع[3]

*
* *

وكانَ[4] مجلس ذى الوزارتين أبى الوليد بنِ زيدون مُنحطًّا عن مجلِس السُّلطان المعتمد على الله أبى القاسم محمّد، ابن السلطان أبى عمرو عبّاد ، فى القُعود لإنفـاذ أوامر أبيه، إذ كان لمّـا هاجرَ إليه من قُرطبة تلقّاه بأعلى المحلّ ، وعوَّل عليه فى العقد والحلّ ، فكتب اليه المعتمد :

أيُّهـا المنحطُّ عني مجلسـًا ... ولَه فى النَّفس أعلى مَجلِس
بِفـؤادى لك حبٌّ يقتضى ... أن تُرى تُحمَلُ فوق الأرؤُسِ

---

(١) هو عبد الله بن خليد بن سعد ، اتصل بالامير طاهر بن الحسين وأدب ولده عبد الله . وكان كاتبا ، وله من الكتب : « الأبيات السائرة » ومعانى الشعر ، وغيرهما . وتوفى سنة ٢٤٠ ﻫ .

(٢) أمير خراسان من قبل المأمون . توفى سنة ٢٣٠ ﻫ . وكان جواد شهما .

(٣) بعده فى الذخيرة (١ : ٣٢٠) .

والطف ولن وتأن وارفق واتئد ... واحزم وجد وحام واحمـل وادفع

(٤) انظر قلائد العقيان (ص : ٧) وديوان المعتمد بن عباد (ص ٥٧) .

[127B] / فراجعه ابن زيدون :

أسقيطُ الطَّلِّ فوق النَّرجِسِ ... أم نَسيمُ الرَّوضِ تحت الحِنْدِسِ[(١)]

أم قريضٌ جاءنى عن ملك ... مالك بالــبِرِّ رِقَّ الأنفس

يا جمــالَ الموكب الغادِى إذا ... سارَ فيــه يا بهاءَ المجلِس

شُرِّفَتْ بِكْرُ المعــالى خِطبــةً ... بكَ فانعم بسُرور المَغرِس

وارتشفْ مَعْسُول ثغرٍ أَشْنَبِ ... تجتنيــه من مُجَاج اللُّعس[(٢)]

واغتبق[(٣)] بالسَّعد فى دَسْت المُنَى ... يصبحُ الصَّنعُ دهاق[(٤)] الأكؤُس

فاعتراضُ الدّهر فيما شئتَــــه ... مرتَقٍّ[(٥)] فى صَدْره لم يَهْجِس

وكان ابنُ زيدون زعيمَ الوزراء[(٥)] القُرطبيةَّ، ونَشأةِ دولتها السَّنِيّة، حتى صار ملْهَج لسانها، وحلَّ من عَينها مكانَ إنسانها . وكان بينَه وبين رئيسها الحَسيبِ أبى الحزم ابن جَهْور[(٦)] ائتلافُ الفَرقدين، واتصالُ الأُذن بالعين ؛ فلما صارَ تدبير ملك قُرطبة إليه، ومَدارُ أمرها عليه/ ؛ طلب ابنُ زيدون طلبًا أصارَه إلى الاعتقال ؛ وقصَره عن [128A]

---

(١) بعده فى الديوان :

أم نظام للآل نسق ... جامع كل خطير منفس

(٢) فى الديوان والأصل: «عجاج» تحريف. والتصويب من القلائد فى ترجمة المعتمد . واللعس ، بالضم وحرك للشعر : النسوة فى شفاههن سواد ، وهو مما يستحسن

(٣) فى الديوان المطبوع : «وارتفق» .

(٤) دهاق الأكؤس : ملؤها . جعل صنعه لطيبه كالخمر فاضت بها الأكؤس نشوة ولذة

(٥) كذا فى الأصل والمعنى بها غير مستقيم . ولعلها محرفة عن «من تق» . أو شىء بمعناه

(٥) فى القلائد : « الفتنة »

(٦) هو أبو الحزم بن جهور بن محمد بن جهور، استولى على قرطبة أيام الفتنة وتوفى سنة ٤٣٥ هـ

الوخد والإرقال،وكان له فيه أمداح بَهرت بنظامها،وظَهرت كالبدُور عند تَمامها .
فكتب إليه :

بَنى[1] جَهورٍ أنتُمْ سمـاءُ رياسةٍ مَنَاقبكم[2] فى أُفقهـا أنجمٌ زُهُر
طريقتكُم مُثْلَى وهـديكُم رِضًا ومَذهبكُم قَصْـدٌ ونا لكم غَمْر
عطاءٌ ولا مَنٌّ وحُكْمٌ ولا هَوًى وحِلْم ولا عَجـز وعزّ ولا كِبْرُ

وقال فى أبى الحَزم بنِ جَهور حين حَبسه :

بنى جَهـورٍ أحرقتُم بجفـائكم ضميرى[3] فما بالُ المَدائح تَعْبَقُ
تعـدّونى كالعَنْبرِ الوَرْد إنّمـا تَطيب لكم أنفاسُـه حين يُحْرَق

ثم كتب إليه :

قُل للوزير وقد قَطعتُ بمَدْحه عُمرى فكان السِّجن منـه ثَوابى
لم تَعْدُ[4] فى أمرى الصّوابَ مُوفّقًا هـذا جزاء الشَّاعرِ الكذّابِ

[128B] ثمّ إنّه أعمل لنفسه فى الخَلاصِ من سجنه حِيَلًا ، واتّخـذ اللّيل/للهرب جَمَلا .
فقطع فى ليلة واحدة ما بين قُرطبة وإشبيلية من المَفاوز والمَراحل ، ومَسافتها ثلاثة
أيّام لِوَاخِدَاتِ الرّواحل. ولمـا اتّصل خبرُ وصُوله بأبى عَمرٍو عبّاد[5]، وهو يومئذ
سلطان تلك البلاد ، تلقّاه فى جماعة من جماهيرِ الكُماة ، ومَشاهيرالعلماءِ والقُضاة؛
فألقَى مقاليدَ وزارته وجميع أُمور دولته إليه ، وأفاض الخِلَعَ والسّوابغَ عليه .

---

(١) من قصيدة فى مدح ابن جهور ورثاء أمه مطلعها :
هو الدهر فاصبر للذى أحدث الدهر فمن شـيم الأبرار فى مثلها الصبر
(٢) فى الديوان (ص ١٧٦) : «لطافكم» .
(٣) فى الديوان : «جنانى ولـكن المدائح»
(٤) فى الديوان : «لم تخط» . (٥) هو المعتضد بالله صاحب إشبيلية .

ذو الوزارتين أبو بكر محمدُ بنُ عمَّار

هو وابن زيدون فرسَا رهان ، ورضيعَا لِبان ، فى التصرّف فى فنون البيان ؛ وهما كانَا شاعرَى ذلك الزّمان . وكانتْ ملُوك الأندلس تخافُه لبذاءة لسانه ، وبراعة إحسانه ؛ لا سيَّما حين اشتمَلَ عليه السلطانُ المعتمد على الله وأنهضه جليسًا وسَميرًا ، وقدّمه وزيرًا ومُشيرًا ، ثمّ خلَع عليه خاتَم المُلْك ووجهه أميرًا ، وقد كان أتى عليه / حين من الدّهرِ لم يكنْ شيئًا مذكورًا ؛ فتبعتْه المواكب والمَضاربُ ، والنجائبُ والجنائبُ[1] ، وانقادت له العساكرُ والكتَائبُ والجنُود ، وضُربت خلفَه الطبولُ ونُشرت على رأسِه الرّاياتُ والبنود ؛ فملك مدينةَ تُدْمير[2] ، وأصبحَ راقىَ منْبرٍ وسريرٍ ؛ مع ما كان فيه من عدم السياسةِ وسوء التدبير . ثم انتزى[3] على مالك رقّه ، ومستوجِبِ شُكره ومستحقّه . فبادر إلى عُقوقه وبَخْس حقّه ؛ فتحيّل المعتمد عليه ، وسدّد سهام المكايد إليه ؛ حتى حَصلَ فى قَبْضته قَنيصا ، وأصبح لا يجد له مَحيصا ، إلى أن قَتله المعتمدُ فى قَصره ليلاً بيده ، وأمر من أنزله فى مُلْحَده ؛ وذلك سنة سبع وسبعين وأربعمائة .

[129A]

فمن قوله الرائق ، ولفظه الفائق ، يمدح السلطان المعتضَد بالله أبا عمرو عبّادَ بن محمد :

[129B]

/أَدرِ الزُّجاجَةَ فالنّسيمُ قد انبرَى ... والنجمُ قد صَرف العنَانَ عن السُّرَى

والصبحُ قد أهدَى لنا كافورَه ... لما استردَّ اللّيلُ منا العَنبرَا

---

(١) المضارب : جمع مضرب ، بالكسر ، وهو الفسطاط . والنجائب : الإبل . والجنائب : كرام الخيل ، وذلك لأنها تجنب ولا تركب . (٢) تدمير ، بالضم : كورة بالأندلس تتصل بكورة جيان ، وهى شرق قرطبة .

(٣) انتزى : عدا ووثب .

والرَّوْضُ كالحَسْنَا كَساهُ زَهْرُه[1] وَشْياً وقلّده نَداهُ جَوهرَا

أو كالغلامِ زَها بورْد رياضِه تَجَلّاً وتاهَ بآسِهِ مُعذَّرا

روضٌ كأنّ النَّهر فيه معصمٌ صافٍ أطلَّ على رِداءٍ أخضَرا

وتكلَّلت بالزَّهر صُلع هضَابِه حتى حَسِبْنا كُلَّ هَضْب قَيْصرا

وتَهُزّه ريحُ الصَّبا فتخاله[2] سيفَ ابن عبّاد يُفرّق[3] عَسْكرا

عَبّادٌ المُخضَرُّ نائلُ كَفِّه والجوُّ قد لَبِس الرّداءَ الأغبرَا

عِلقُ الزمانُ الأخطرَ المُهْدى لنَا من ماله العِلْقَ النَّفيسَ الأَخطَرا

ملكٌ إذا ازدحمَ المُلوك بمَوْرِدٍ ونَحاهُ لا يَرِدُون حتى يَصْدُرا

أندى على الأكبادِ من قَطرِ النَّدى وألَذّ فى الأجفانِ من سِنَةِ الكَرى

قَدّاح زَنْدِ المَجْد لا يَنْفَكّ عن نارِ الوَغى إلّا إلى نارِ القِرَى

يختار أنْ يَهَب الخَريدةَ كاعباً والطِّرْفَ أجردَ والحُسامَ مُجوهرَا

[130A] /أيقنتُ أنّى من ذُراه بجَنَّة لمّا سَقانى من نَداهُ الكوثرا

وعلمتُ حقّاً أن رَبْعى مُخْصِبٌ لمّا سألتُ به الغَمامَ المُمْطِرا

مَن لا تُوازِنُه الجبالُ إذا احتبَى مَن لا تُسابِقُه الرّياحُ إذا جَرى

قَاد المواكبَ كالكواكبِ فوقَها مِن لامه مِثلُ السحاب كَنَهْوَرا[4]

---

(١) فى الخريدة (١١ : ١٦٥) : «نوره» .

(٢) فى الذخيرة المصرية (٢ : ٢٤٤) والخريدة «فتظنه»

(٣) فى المصدرين السابقين : «يبدد»

(٤) لأم ، بالهمز : جمع لأمة ، وهى أداة الحرب . وتسهل أيضا . والكنهور من السحاب : القطع المتراكبة

من كلِّ أبيضَ قد تَقلّد أبيضًا ... عَضْبًا وأسمرَ قد تقلّد أسْمرا

مَلكٌ يروقُك خَلْقُه أو خُلْقه ... كالرَّوض يُحسن مَنظرًا أو مَخْبرا

وسمعتُ بآسم القَطْرِ حتى شِمْتهُ ... فرأيتُه فى بُرْدَتَيْه مُصوَّرا

وجهلتُ معنى الجُود حتى زُرْته ... فقرأتُه فى راحَتَيْه مُفَسَّرا

فاحَ النَّدَى متعطِّرا بثَنائه ... حتّى حَسِبْنا كلَّ تُرْب عَنْبرا

حَسبي على الصُّنع الذى أولاهُ أنْ ... أَسْعَى بشُكْرٍ أو أموتَ فأُعْذَرا

عَبّادٌ المَلك الذى وَصَل المُنَى ... منه بوَجْهٍ مثلِ حَمْدِى أزْهرا

ماضٍ وَصدْرُ الرُّمح يَكْهَمُ والظُّبا[1] ... تَنْبُو وأيدى الخَيل تَعْثُر فى البَرَى[2]

لا شَيْء أقرأُ من شِفَار حُسَامه ... إنْ كنتَ شَبّهتَ المواكبَ أسْطُرا

[130B]

السيفُ أفصحُ من زيادٍ[3] خُطبةً ... فى الحَرْب إن كانت يَمينُك منبرا

ما زِلتَ تُغْنِي من عَنَا لك راجيًا ... فَضْلًا وتُفْنِي مَن طَغَى وتَجَبَّرا

حتّى حَلَلْتَ من الرِّياسة مَحْجِرا ... رَحْبًا وضَمَّت منك طَرْفًا أحورا

شَقِيَتْ بسيفك أُمّةٌ لم تعتمد ... إلّا اليهود وإن تَسمّت بَرْبَرا

أثمرْتَ رُمحك من رءوس كُماتهم ... لمّا رأيتَ الغُصْنَ يُعْشَقُ مُثْمِرا

وصَبغتَ دِرْعك من دماء كُلُومهم ... لمّا رأيتَ الحُسن يُلْبَسُ أحمرا

وإليكَها كالرَّوض زارتْه الصَّبا ... وحَنا عليه الطَّلُّ حتّى نَوَّرا

نمّقتُها وَشْيًا بذِكْرك مُذهَبًا ... وفَتَقْتُها مِسْكًا بحَمْدك أذْفَرا

---

(١) فى الخريدة : « بالظبا » .

(٢) البرى : التراب .

(٣) هو زياد ابن أبيه . وكان مشهورا باللسن والفصاحة .

مَن ذا يُناجينى وذِكْرك مَنْدلٌ　　أوردتُه مِن نار فِكْرى مِجْمرا
فلئن وجدتَ نسيم حَمْدى عاطرًا　　فلقد وجدتُ نسيمَ بِرِّك أعطرا

قال ذو النّسبين رضى الله عنه : وهذه القصيدة من غُرر القصائد ، ودُرر القلائد ، وكلُّ بَيت منها بيتُ قصيد ، وواسطَةُ سِلكٍ فَريد .

[131A] وله يتغزّل فى مملوك/رومّى للمُؤتمن ، قد لَبس درعا :

وأغيدَ من ظِباء الرّوم عاطٍ　　بِسالِفتَيْه مِن دَمْعى فريدُ[1]
قَسَا قلبًا وشَنّ عليه دِرعًا　　فظاهرُه وباطنُه حديد
بكيتُ وقد دَنَا ونأى رِضاه　　وقد يَبْكى من الطَّربِ الجَليد
وإنّ فَتًى تَملّكه بنَقْدٍ　　وأَحرزَ رِقّهُ لَفتًى سَعيد

يقال : سَننت الماء بالسّين ، المهملة ، وشَننته ، بالشّين المعجمة ، فالسنّ والشنّ : الصبّ .

وقال ابن الأنبارىّ : سنَّ الدّرع عليه ، بالسين غير معجمة : صبها .

وأهدى النّاسُ فى يوم عيدٍ إلى السّلطان المعتمد على الله أبى القاسم محمد بن عبّادٍ ، مما يُهدى للملوك فى الأعياد ، فاقتصرَ على ثوبِ صُوفٍ بَحْرىّ أصفر ، وكتب معه :

لما رأيتُ النّاسَ يحتفلون فى　　إهداءِ يومك جِئتُه من بابِه
فبعثتُ نحوَ الشّمس شِبْهَ إهابها　　وكسوتُ مَتْنَ البحر بعضَ ثيابه

---

(١) عاط ، من عطا الظبى يعطو ، اذا تطاول الى الشجر ليتناول منه . وقد وردت الابيات فى بغية الملتمس (ت١٠٣) والقلائد (ص : ٨٤) .

[131B] /وله يعتذر من وداعه للسلطان أبي يحيى محمد بن مَعْن بن صُمادح .

أمُعتصمًا بالله والحــربُ ترتَمى بأبطالهــا والخيلُ بالخيــل تَلْتَقِى[١]
دَعتْنى المطَــايا للترحيل وإنّنى لأُفْرَقُ من ذكرِ النّوى والتفرُّق
وإنّى إذا غرَّبتُ عنك فإنمــا جَبينُــك شَمسى والمرِيّةُ مَشْرِق

وكتب إليه المعتصم بالله ثلاثة أبيات فى العتاب :

وزهّدنِى فى النّــاس مَعْرفتِى بهم وطُولُ آختبارِى صاحبًا بعد صاحب
فــلم تُرِنى الأيام خِلًّا تَسرُّنى بواديه[٢] إلا ساءنى فى العَواقب
ولا صِرْتُ أرجوهُ لدَفْع مُلِمَّــةٍ من الدّهر إلّا كان إحدى النّوائب[٣]

فأجابه آبنُ عمّــار :

فديتُــك لا تَزْهــدْ فثَمّ بقيّةٌ ستَرْغب فيهــا عند وَقْع التجاربِ
وأبقِ على الخُلْصَان إنّ لديهمُ على البَدْءِ كَرّاتٍ بحُسن العَواقب
تكنَّفْتَنى بالنّظم والنّثر جاهــدًا[٤] وسُقتَ علىّ القَولَ من كلّ جانب
وقد كان لى ــ لو شئتُ ــ ردٌّ وإنّما أجرَّ لسانى بعضُ[٥] تلك المواهب
[132A] /ولا بدّ من شَكْوَى ولو بتنفُّسٍ يُخفّف[٦] من حرّ الحَشَــا والترائب
كتبتَ على رَسْمى وبعــد نَسيئة قرأتُ جوابى من[٧] سُطور المواكب
ثلاثةَ أبيات ــ وهيهاتَ ــ إنّمــا بعثتَ إلى حَربى ثلاثَ كتائب

---

(١) الابيات فى القلائد فى ترجمة المعتصم بن صمادح .
(٢) فى الخريدة (١١ : ٢٧٩) والقلائد : «مباديه» .
(٣) فى القلائد (ص٥٠) : «المصائب»
(٤) فى الخريدة : «عاتبا» .
(٥) فى الخريدة : «ذكر» .
(٦) فى القلائد : «يبرد» .
(٧) فى الخريدة : «فى سطور» .

وكيف يَلذُّ العيشُ فى عَتْب سيِّد ... وما لَذَّ لى يومًا على عَتْبِ صاحبِ
وقبلُ جَرَتْ عن بعض كُتْبِى جَفوةٌ ... ألحَّ على وجْهى بغَمْز الحواجب[١]
وما كنتُ مُرتاداً ولكنْ لنَفْحة ... تعوّدتُ من رَيحان تلك الضَّرائب[٢]
سلكتُ سَبِيلى للزّيارة إثرها[٣] ... فقابلتُ[٤] دَفعًا فى صُدور الرّكائب
ولو لمعتْ لى من سمائك بَرْقةٌ ... ركبتُ إلى مَغْناكَ[٥] هُوجَ السّحائب
فقبّلتُ من يُمنـاك أعذبَ مَشْرَعٍ ... وقضّيتُ من رُؤياك أوْكد واجب
وأُبْتُ خفيفَ الظَّهر إلا من النّدى ... وخلّفتَ للعَـافى ثِقَالَ الحَقائب
سِواكَ يَعِى قولَ الوُشـاة من العدَا ... وغيرُك يَقْضى بالظُّنون الكَواذب

واجتـاز على أكرم أهل زمانه ، وأعلم وَقْته وأوانه ؛ الوزير الكاتب السميّ المراتب ، أبى محمد بن القاسم الفهرىّ[٦] ؛ فما/ عرّج عليه، فعاتبه الوزير أبو محمّد عَلَى [132B] إساءته فى ذلك إليه ، فكتب إليه أبياتا أمر بعض خوَاصّه أن ينثرها بين يديه :

لم يَثْنِ عنك عنَـانى سَلْوةٌ خَطَرت ... على فُؤادى ولا سَمْعى ولا بَصَرِى
وقَصْرُك[٧] البيتُ لو أنّى قَضيتُ به ... حَجّى وكَفُّك منه موضعُ الحجر
لـكنْ عدتْنَى عنكُم خَجلةٌ سلَفَت ... كفانِىَ القولُ فيهـا قولُ مُعتذر :
(لو[٨] اختصرتُم من الإحسان زُرْتكُمُ ... والعذْبُ يُهجر للإفراط فى الخَصَر)

وشعره مدوّن كثير ، وقد ذكرنا منه ما اقتضاه التّخيير .

---

(١) كذا ورد هذا العجز فى الأصل . كأنه يريد أن يقول : ان تلك الجفوة حملتنى على قصدى اليه بتحريك الحواجب ، أى النوق . وواحد الحواجب : حاجب ، وهو هنا بمعنى ما أشرف من الجبل . شبه الناقة به فى عظمها .

(٢) الضرائب : السجايا والطبائع ؛ الواحدة : ضريبة .

(٣) فى القلائد : «قبلها» . (٤) فى الخريدة : «فصادفت»

(٥) فى القلائد والخريدة : «لقياك» . (٦) شاعر أديب من أهل اشبونه . (بغية الملتمس ١٢١٢) .

(٧) فى الخريدة (١١ : ١٦٨) : «فقصرك» .

(٨) البيت من قصيدة لأبى العلاء مطلعها :

يا ساهر البرق أيقظ راقـد السمر ... لعل بالجزع أعوانا على السهر

ذو الوزارتين أبو الحسن جعفرُ بنُ إبراهيمَ بنِ الحاج[1]

عَيْن مَدنية لُورَقة[2] وإنسانُها ، ومِدْرَهُها ولِسانها ؛ وكان أكرَمَ من غمام ، وأرسى حِلْماً من شَمَام[3] ؛ وله شعر أعذبُ من الجِرْيال فى صَحن الخدّ ، وأطيبُ من الوِصال بعد الصدّ .

أنشدنى الوزير الفقيه المحدّثُ الكاتب ، أبوعبد الله محمّدُ بنُ أبى القاسم بن عميرة[4] ،/ قراءةً منى عليه سنة اثنتين وسبعين وخمسمائةٍ ، رحمه الله ، قال : [133A]

أنشدنا ذُو الوزارتين أبو محمّدٍ[5] قال : أنشدنى أبى ذو الوزارتين أبو الحسن المذكور :

أزورَك مُشتاقًا وأَرجع مُغرمًا ... وأفتح بابًا للصَّبابَة مُبْهَما

أمدَّعِىَ السُّقم الذى آد[6] حَمْلَهُ ... عَزيزٌ علينا أن تَصِحّ وتَسْقما

مَنَعْت مُحِبًّا منك أيسرَ لحظة ... تَبُلُّ غَليلَ الشَّوق أو تَنقعُ الظَّما

وما رَدَّ ذاك السَّجفُ حين رميتَه ... من القلب سَهمًا[7] من هواك مُصمِّما

هَوًى لم تُعِنْ عينٌ عليه بنَظرةٍ ... ولم يكُ إلّا سَمْعةً وتَوهُّما

---

(١) سبق التعريف به . (انظر الحاشية ٣ ص ١٣٧) .

(٢) لورقة ، بالضم ثم واو ساكنة وراء مفتوحة ، ويقال فيها : لرقة ، بسكون الراء : مدينة بالأندلس من أعمال تدمير .

(٣) شمام : جبل لباهلة . (ياقوت) .

(٤) انظر الحاشية (٦ ص ٢٠) .

(٥) هو عبد الرحمن بن جعفر . (انظر الحاشية ٢ ص ١٣٧) .

(٦) آده الحمل : أثقله وبهظه .

(٧) فى قلائد العقيان (ص ١٤١) : "سيفا"

ومُلتقطات من حديث[١] كأنّما ... نثرت به سِلْكَ الجُمان المنظّما
دعوتُ[٢] إليك القلب بعد نُزوعه ... فأسرع لمّا لم يجــد متلوّما

وله :

وبيضاءَ يَنبو اللَّحظُ عند التقائها[٣] ... وهل تَستطيع العينُ تنظرُ فى الشّمسِ
[133B] وَهَبْتُ لها نفسًا علىَّ كريمــةً ... وقد عَلِمتْ أنَّ الضَّنانة[٤] بالنَّفس
أعالجُ منها السُّخطَ فى حالةِ الرِّضى ... ولا أعدَم الإيحاش فى ساعة الأُنس

وله وقد أهدَى تفّاحا

بعثتُ بها ولا آلوك حَمْــداً ... هديّةَ ذى اصطناعٍ واعتِلاقِ
خدودَ أحبّـــةٍ وافَيْنَ صَبًّا ... وعُدْنَ على ارتماضٍ واحتراقِ
فحمَّر بعضَها خَجَلُ التَّــلاقى ... وصَفَّر بعضَها وَجَلُ الفِــراقِ[٥]

وله فى زُرزُور :

يا رُبَّ أعجمَ صامتٍ لَقَّنْتُــه ... طَرَفَ الحديثِ فصار أفصحَ ناطقِ
جَوْن الإهابِ أُعيرَ فُوه صُفْرةً ... كاللّيـــل طَرَّزه وميضُ البارق
حِكَمٌ من التَّدبير أعجزتِ الوَرى ... ورأى بهـا المخلوقُ لُطفَ الخالق[٥]

(١) فى الأصل : « جمان » . وما أثبتنا عن القلائد .
(٢) فى القلائد : «دعون» .
(٣) فى القلائد ص (١٤٣) : «التفاتها» .
(٤) فى الأصل والخريدة (١١ : ٣٢٧) : « الصبابة » .
(٥) الأبيات فى الخريدة (١١ : ٣٢٧).

وكان الوزير ذو الوزارتين أبو الحسن المذكورُ ذا بضائع من العلوم والآداب كلها جواهر ، وجميعُها إذا أَدجت/الأيام زَواهر ؛ وكان ذكرُ بنى عبادٍ بالكرم [134A] بالمغرب قد طارَ وطبّقَ الأقطار ، فقصدهم بتلك البضائع التى لا يَرُوج إلا لديهم نَفَاقُها[١] ، ولا تُقام إلّا عندهم أسواقُها ؛ فأَخفق لاشتغالهم عنه — لا لتقلُّص ظلال كرمهم — مَسعاهُ ، وتكدّر مَوْرده وصَوّح مرعاه[٢] ؛ فأمَّ غير موردِ نداهم موردا ، وارتحل عنهم منشدا :

تَعزَّ عن الدُّنيا ومَعروفِ أهلها ... إذا عُدِم المَعروفُ فى آلِ عبّادِ
أقمتُ بهم ضَيفًا ثلاثةَ أشهرٍ ... بغَيْرِ قِرى ثمّ انصرفتُ[٣] بلا زاد

فندموا على تَفْريطهم فيه وما فَرطَ من إهمالهم ، وقد ألبسَهم من العار ما عرَّاهم من حُلل الأَيادى السّابقة من نَوالهم .

وله إلى الفقيه العالم الأديب الأَحسب ، قاضى القُضاة بشرق الأندلس ونُخبة الأملاك من كَلْب ، أَبى أُمية إبراهيم بن عصام الكلبى[٤] :

لى صاحبٌ عَمِيَتْ علىّ شُؤُونُهُ ... حركاتُه مَجْهولةٌ وسُكُونُه [134B]
يرتابُ بالأَمرِ الجَلِىِّ تَوهُّمًا ... وإذا تيقَّن نَازَعَتْهُ ظُنُونُه
ما زلتُ أَحفظه على شَرَقٍ[٥] به ... فالشَّيبُ[٦] تكرَهُهُ وأنتَ تَصُونه

---

(١) النفاق : ضد الكساد .

(٢) صوح : يبس .

(٣) فى القلائد ص (١٤٣) : « ارتحلت » .

(٤) ترجم له الفتح فى القلائد (ص ٢٠٣ — ٢٠٥) .

(٥) شرق به : شجى وغص .

(٦) فى القلائد : « كالشيب » .

والوزير أبو بكرٍ محمّدُ بنُ عيسى الدَّانى المعروف :

بابن اللبانة [١]

من شعراء السلطان ٱبن عبّاد ، وممن وفى له فقَصده وهو محبوس بأَغْمَات[٢] آخرِ تلك البلاد . فمن قوله فى المدح فى المُعتمد على الله :

مَلكٌ إذا عَقَــدَ المَغَافِرَ للوَغَى ... حَلَّ الملوكُ مَعاقِدَ التِّيجانِ

وإذا غَدت راياتُه مَنشــورةً ... فالخافِقان لهُنَّ فى خَفَقان

وله فى ناصرِ الدّولة صاحب جزيرة مَيُورْقَة[٣] .

وعَمَرْتَ بالإحسان أُفْق[٤] مَيورْقةٍ ... وبَنَيتَ فيهـا ما بَنَى الإسكَندَرُ

فكأنّها بَغدادُ أنتَ رَشــيدُها ... ووزيرُها — ولَه السلامةُ — جَعفر

[133A] قوله : «وله السَّلامة» فى باب الحَشو أملحُ وأوضحُ من/قول المُتنبى لكافور :

وتَحتقرُ الدّنيـا ٱحتقارَ مُجرِّبٍ ... ترى كلَّ ما فيها — وحاشاكَ — فَانيَا

---

(١) انظر قلائد العقيان (ص ٢٤٥) والنفح والخريدة .

(٢) أغمات : ناحية فى بلاد البربر من أرض المغرب قرب مراكش و بينهما ثلاثة فراسخ (معجم البلدان) .

(٣) ميورقة : جزيرة فى شرق الاندلس بالقرب منها جزيرة مينورقة التى كانت قاعدة ملك مجاهد العامرى . (معجم البلدان) .

(٤) رواية هذا الصدر فى النفح (١ : ١٥٨) : « وغمرت بالإحسان أرض ميورقة » .

وله :

كأنّ علاكَ أفلاكٌ وفُلْكٌ　　بأرزاقِ البرِيّةِ جارياتُ

كأنّ هِباتِها من غير وَعْدٍ　　نَتائجُ مالهنّ مُقَدّمَات

ومهما اهتزّ جيشُك نحو جيشٍ　　فأنتَ سِنانهُ وهو القَنَاة

النَّتيجة عند أهل المنطق لا تكون إلّا عن مقدمات ، أقلُّهنّ اثنتان . والشّاعرُ لا يُطالب بحقيقةٍ ، ولا يُغَالَب بغير طريقته من طريقه .

وله فى غلام جميل :

إن[1] تكُنْ تَبتغى القِتالَ فدَعْنِي　　عنكَ فى حَوْمةِ القِتَال أُحَامِى

خُذ جَنانِى عن جُنّةٍ ولِسانى　　عن سِنانٍ وخَاطرى عن حُسَام

وقال يُهنّىء بمولودٍ وُلد فى شهر رَجب :

نَجمٌ تَراءَى فى سماءِ الحَسَبْ　　للشُّهب فى إبّانه مُنْتَسَبْ

/ وأعْرَبت[2] ليلةُ ميلاده　　بلَيلةِ القَدْرِ أتَتْ فى رَجَبْ

[135B]

٭٭٭

(١) انظر الخريدة (١١ : ٣٠٥) .

(٢) أعربت بليلة القدر ، أى أبانت عن ليلة من ليالى القدر .

والوزيرُ الفقيه اللغوى النّحوىُّ العالم، ومن له المناقب والأحسَابُ الشّهيرة والمكارم ؛ بحرُ العلم الزاخر ، ونخرُ الأوائل والأواخر ، الذى يهتدى بنجم فضله المهتدون ، أبو محمّدٍ عبدُ المجيدِ بنُ عبد الله :

ابنِ عَبْدُون[١]

وقد ذكرنا قبلُ قصيدتَه المحتويةَ على جميع الفُنون ، التى أنشدنيها عنه القاضى أبو عبد الله محمّدُ بنُ سَعيد بن زَرْقُون[٢] . وأنشدنى له أيضا :

وما أَنْسَ بين القَصْرِ والنَّهرِ وَقْفَةً ... نَشدتُ بها ماضَلّ من شاردِ الحُبّ
رَميتُ بعيْنى رَمْيةً سَمَحتْ بها ... فلم أثْنِها إلّا ومَجروحُها قَلْبى[٣]

| 136A | / وله :

مَررتُ على الأيّامِ من كل جَانبٍ ... أُصَعِّدُ فيها تَارة وأُصوِّبُ
يُنِير[٤] لِىَ الثّغرانِ: صبحٌ وصارم ... ويكتمُنى القلبانِ : لَيلٌ[٥] وغَيْهب
لَقد لَفظَتْنى الأرضُ إلّا تَنُوفَةً ... يُحدّثنى عنها العِيانُ فيَكْذب

ومما قاله ، وجَمع فيه حروف الزّيادة :

سألتُ الحُروف الزّائداتِ عن اسمها ... فقالت ولم تَكْذِب أمانٌ وتَسْهيلُ

(١) ترجم له ابن بسام فى الذخيرة (٢ : ٤١٤) والفتح فى القلائد ، وابن بشكوال فى الصلة (ت ٨٣١) والعماد فى الخريدة (١١ : ٢٩٨) والكتبى الفوات ، والمقرى فى النفح .

(٢) ولى قضاء إشبيلية وسبتة ، ومن تواليفه : كتاب الأنوار، وغيره . وتوفى سنة ٥٨٦هـ . (بغية الملتمس ت ١٣٨) والصلة (ت : ٨٢) .

(٣) رواية البيت فى الذخيرة (٢ : ٤٤٥) .

رميت بلحظى رمية سمحت بها ... فلم انتبه الا ومحرابها قلبى

(٤) فى الذخيرة : « ينم » . (٥) فى الذخيرة : « نقع » .

قال أبو الفتح بن جنى فى كتاب «التصريف الملوكى» له ما هذا نَصُّه[١] :

«القولُ على حُروف الزِّيادة، وهى عشرةُ أحرف : الألف والياء والواو والهمزة والميم والتاء والنون والهاء والسين واللام ، ويجمعها قولُك : اليوم تَنساه ؛ ويقال [أيضا][٢] : سألتمونيها . ويحكى أنّ أبا العباس سأل أبا عثمان / عن حروف الزِّيادة ، فأنشده أبو عثمان : [136B]

هَـوِيتُ السِّمانَ فشَيَّبننى ... وما كنتُ قِدْماً هَوِيتُ السِّمانَا

فقال [له][٢] أبو العبّاس : الجوابَ؟ فقال : قد أجبتُك دَفْعتين . يعنى قولَه : هويتُ السِّمان » .

وأبو العبّاس ، الذى ذكره ، هو محمد بن يَزيد المبرِّد . وأبو عُثمانَ هو المازنى . وإنما ذكرنا هذا بسبب بيت الوزير ابن عَبْدون الذى ذكر فيه حُروف الزَّوائد ، وهى قوله : «أمانٌ وتَسهيل» . وهى أحسن من جميع الألفاظ التى جَمعوا فيها حروف الزَّوائد ، لما فيها من عُذوبة اللفظ وسُهولة النُّطق بها وحُسن التفاؤل . فحروفُ الزيادة هى حروف «هويت السِّمان» وهى الهاء والواو والياءِ والتّاء والهمزةُ ، فى أول السِّمان دون أن تصلها ، واللامُ والسين والميمُ والألف الساكنة والنُّون[٣] . [137A]

/ وقرأتُ بمدينة شَريش شَذُونة[٤] على فارس الفقه والنحو والشعر ، القاضى العدل أبى الحسن علىّ بن أحمد بن نَبَّال الأمَتِّى[٥] فى كتاب «المُحكَم فى حروف

---

(١) انظر (ص ٥) من التصريف .

(٢) التكملة من التصريف .

(٣) اضطرب نقل الناسخ بعد هذه الكلمة فأعاد أسطرا من قوله « وإنما » إلى قوله « التفاؤل » ثم فطن لما كان فيه بقوله ، تكرار .

(٤) انظر الحاشية (٢ : ٩٧)

(٥) كذا فى بغية الوعاة . والذى فى صلة الصلة لابن الزبير : « الامى » . وفى المقتضب من تحفة القادم (ص ١٨) والأصل : « الأميى » .

المعجم» ، وذكر حروف الزّيادة وذكر ما تقدّم من قولهم : «اليوم تنساه» التى هجاؤها : الهمزة ، فى الألف الأولى واللام ، والياء والواو والميم والتاء والنون والسّين والألف السّاكنة والهاء .

[137B] «وسألتمونيها» عشرة أيضا / : السّين والهمزة واللام والتاء والميم والواو والنون والياء والهاء والألف . وزاد فى كتابه «أسلمَنى وتاه» وهى أيضا من الألفاظ المستَعذَبة إلّا أنّها لاتدخل فى الوزن . وتفسيرها : الهمزة الأولى والسين واللام والميم والنون والياء والواو والتاء والألف والهاء . ولشيخنَا فيها جمعان ذكرهما فى كتاب المحكم له .

*
* *

وله وقد أنزله المتوكّل[1] على الله بدَار وكَفَت عليه ، فكتب إليه :

أيا سامياً من جانبيه إلى العُلا (سُمُوَّ حَبابِ الماء حالًا على حال)[2]

لِعبدك دارٌ حلَّ فيها كأنَّها (ديارٌ لسَلْمى عافياتٌ بذى الخَال)

يقولُ لها لمَّا رأى من دُثُورها (ألا عِمْ صَباحًا أيُّها الطَّلَلُ البالى)

فقالت ولم تَعْبَأ بردّ جوابه (وهل يَعِمَنْ من كان بالعُصُرِ الخالى)

فَمُرْ صَاحِبَ الأنزالِ[3] فيها بفَاضِل (فإنَّ الفتى يَهذى وليس بفَعّال)

---

(١) هو المتوكل على الله عمر بن المظفر بن الأفطس قتل سنة ٤٨٨ هـ .

(٢) هذه الاشطار الخمسة أعجاز من معلقة امرىء القيس ، إلا قوله : (ديار لسلمى عافيات بذى الخال) فإنه صدر بيت .

(٣) الأنزال جمع : نزل ، وهو المنزل وما هيىء للضيف أن ينزل فيه .

/ قال اللغويون: الخالُ يأتى على آثنى عشر معنى: الخال: أخُو الأم. والخالُ: [138V]
موضع. والخال: من الزمان الماضى. والخالُ: اللّواء. والخال: الخُيَلاء.
والخال: الشّامَة. والخال: العَزَب، ويقال: المتفرّد. والخال: قاطع الخَلا.
والخالُ: الجَبان. والخال: ضَرب من البُرود. والخالُ: السحاب. وسيفٌ
خالٍ: أى قاطع. وقد نَظم ذلك الفقيه الأستاذ النحوىّ الكبير، المُتقنُ الخطير،
أبو عبد الله محمّدُ بنُ أحمد بن هشام اللَّخمىّ السَّبتى[1]، وقد لقيتهُ ولقيتُ أباه،
فإنه مات بعده رحمه الله، فقال:

أقولُ لخالى وهـو يومًا بذى خالِ ... يروحُ ويغدو فى بُرود من الخَال
أما ظَفِرَتْ كفّاك فى العُصر الخالى ... بربّة خالٍ لا يُزنّ بها الخالى
/ تمرُّ كمرّ الخالِ يرتجّ رِدْفُها ... إلى منزلٍ بالخالِ خِلْوٍ من الخَال [138B]
أقامتْ لأهل الخَالِ خالًا فكلّهم ... يؤمُّ إليها من صحيح ومن خَالِ

***

قال ذو النّسبين، رضى الله عنه: وأغفلَ شيخُنا القاضى المؤرّخ المحدّث الثّقةُ
العدل أبو القاسِم بن بَشْكُوال فى كتابِ الصِّلةِ له، ذِكْرَ أبى الحسن:

---

(١) كان عالما بالعربية وآدابها. وله تواليف مفيدة، منها: الفصول والجمل فى شرح أبيات الجمل، وله كتاب فى لحن العامة. وشرح الفصيح لثعلب. ومقصورة ابن دريد. توفى سنة ٥٥٧ هـ (ابن الأبار ت ١٠٥٣ — وبغية الوعاة ص ٢٠).

علىّ بنِ إسماعيل الفِهْرِىّ

من أهل مدينـــةِ أُشْبُونَة[(١)]. وكان من الشُّعراء العُلماء ، والزّهاد الفُضلاء. ويلقَّب بالطيطل[(٢)] وبالقط. وقد ذكره الحُميدىّ فى جَذوة المُقتبس . فمن شعره :

وتحتَ الـبَرَاقـع مقلوبُهـا ... تَدبُّ على ورْد خَدٍّ نَدى

تُسالِمُ مَن وَطِئتْ خَدَّه ... وتَلسَع قلبَ الشَّجى الأَبعد

وَقد أخذه ابن جاخٍ[(٣)] الصَّبّاغ وادّعاه .

*
* *

ولبعض أهلِ العصر[(٤)] فى قَصيدٍ فريد، يمدَحُ فيها مولانا السّلطانَ الملكَ الكاملَ ملكَ مُلوكِ العصرِ ، أيَّده الله بالنّصر :

[139A]

وما محنَتى فى الحُـبِّ غيرُ غَريرةٍ ... هى البدرُ فى لَيْلِ الذّوائب طالِـعُ

يَقُـدّ فُـؤادى قَـدُّها وهـو ذَابلٌ ... على أنّه غُصن من البان يَانِـع

وتَجرح أحشائى بعينٍ مَريضـــةٍ ... كما لان مَتْنُ السّيف والحدُّ قَاطع

خَضعتُ لها فى الحُبّ من بعد عزّتى ... وكلُّ مُحِبٍّ للأحبّة خَاضـع

وما ذا أَجنَّت من أزاهر جَنّــةٍ ... كمائمُ من رَيْط وهُنَّ البَرَاقع

وفوقَ شَبيهِ الوَرْد يُلحظُ عكسُها[(٥)] ... لوادِغُ فى قلبى لهـا ولواذع

---

(١) أشبونة ، بالضم من كور باجة . (صفة جزيرة الأندلس) :

(٢) كذا بالأصل وفى الجـذوة : « يلقب بطيطن » . وفى بغية الملتمس : « يلقب بطيطى » .

(٣) ابن جاخ : شاعر أمى من شعراء المعتمد .

(٤) أورد هذه القصيدة الآتية الغبرينى فى عنوان الدراية (ص ١٦٤) وجعلها من شعر ابن دحية فى مدح الكامل ردا على كتاب منه إليه .

(٥) شبيه الورد ، أى الخدود . وعكسها ، أى عكس كلمة « البراقع » وهى العقارب . ولها ، أى لتلك العقارب .

وقالُوا بُدورٌ والشُّعورُ حَنادِس   وهنّ شُموس فى الغُصون طَوالع

دَعتْ وادَّعت مِلْكِى لَدَى حاكِم الهوَى   ولِى لِلْهَوى قَلْبٌ مُطِيع وسَامع

ولا حاكِمٌ أَرْضاهُ بَيْنِى وبَيْنها   سِوَى مَلِكٍ دَهرى له اليومَ طائِع

يُدافعُ عنِّى الضَّيْمَ قائمُ سَيْفه   إذا عزَّ مَن للضَّيْم عنِّى يُدافع

هُو الكاملُ الأوصافِ والمَلِكُ الذى   تُشِير إليه بالكَمال الأَصابع

لِبِيضِ أَيادِيه الكَرِيمةِ فى الوَرى   قَلائدُ فى الأَعْناق هُنّ الصَّنائع   [139B]

ويَوماه يَوماه اللذان هُما هُما   إذا جَمعت غُلْبَ الملوكِ المَجامع

فيوم ندًى فوق السَّرير موقَّعٌ   ويومُ ردًى تحت اللواءِ مُواقع[1]

وأَنحى ملوكِ الأرض فى لُغة الوَغى   وأعْرَبهم بالسَّيف حين[2] يُماصع

ومِن نَحوِه يوم الجلادِ عواملٌ   خَوافضُ للهامَات فيه رَوافع

كتائبُه منصورةٌ بكتائب   مِن المَلأ الأَعْلى وجِبْرِيلُ وازِع

تَهيم بِمَغْزاهُ خِلالُ أَبِيَّةٌ   وتَغْنَى بِمَغْناه نُفوسٌ نَوازِع

فلا يَطْمَعَنْ فيه العِدَا ـ فُلّ حَدُّهم ـ   ففى غيرِ أَمْنِ اللهِ يَطْمع طامع

والقَصيد طويل .

---

(١) مواقع ، أى مقدر محسوب ، من وقع فلان ، إذ أبق ظنه على شىء ؛ أو معلوم معروف ، من التوقيع الذى هو التأثير فى الشىء ؛ أو واقع غير مدفوع فى غير مشقة ، من التوقيع الذى هو التذليل . والمواقع : المدانى . أى إن الردى غير مبعد من أعدائه .

(٢) أنحى : أقصد . والمصع : الضرب بالسيف . وماصع قرنه مماصعة ومصاعا : جالده بالسيف ونحوه . (وانظر اللسان : مصع)

الوزراء الأجلاء الشعراء

أبو محمدٍ وأبو بكرٍ وأبو الحسنِ بنُو القَبْطُرنه[1] بيتُ الفضلِ والإحسان، والمعانى الحسان. فمن أحسن أخبارهم، ورقيق أشعارهم أنهم باتوا ليلةً فى زمن الرّبيع [140 A] بالمُنْية الّتى أنشأها/ السلطانُ المتوكل على الله، وسمــاها بالبديع، يتعاطَوْن كئوس الراح، ويَدور عليهم منها أقداح الأفرَاح، إلى أن غَلَبهم النَّوم، ورَبَط على آذانهم فارتفع عنهم اللَّوم؛ فلمّــا تبلَّج وجه الصباح، وألبست الشمسُ مُعَصْفَر خلَعها فِجاجَ البِطاح، هبَّ كلٌّ واحد منهم من نومه مُنْشدا رافعاً عَقيرته بالإنشاد مُغَرِّدا، فقال الوزير الأوحد أبو محمد:

يا شَقيقِى أتَى[2] الصّباحُ بوَجْهٍ ... سَتَرَ الليلَ ضَوْؤُه[3] وبَهــاؤُهْ

فاصْطَبِـحْ واغتنِمْ مَسَرّةَ يَوْمٍ ... لستَ تَدْرِى بمــا يَجىء مَساؤُه

ثم استيقظ الوزير الخطير أبو بكر فقال:

يا أخى قُمْ تَرَ النَّسيم عَليلا ... باكِرِ الرَّوضَ والمُدامَ شَمُولَا[4]

لا تَنَمْ واغْتَنِمْ مَسَرَّةَ يَوْمٍ ... إنّ تحت التُّراب نَوْماً طَوِيلا

---

(١) أبو محمد هو طلحة؛ وأبو بكر هو عبد العزيز؛ وأبو الحسن محمد: أولاد سعيد بن عبد العزيز بن القبطرنه. وقد ترجم لعبد العزيز ابن الأبار فى التكملة (ت ١٧٤٣) وذكر انه كتب للتوكل بن الافطس وابن تاشفين وتوفى سنة ٥٢٠هـ. كما ترجم لاخيــه طلحة (ت ٢٥٩) وذكر انه صحب ابن العربى وتوفى فى حياة اخيه عبد العزيز. وكان اخوهما محمد أبو الحسن كاتبا للتوكل بن الأفطس أيضا. (وانظر المغرب ص٣٦٧ والقلائد ١٤٨ والرايات. والخريدة (١٢ : ١٣٠) والذخيرة (٢ : ٤٥٤) والمعجب (ص ١٧٣) إلا أن المراكشى ذكر أن أبا بكر اسمه محمد بن محمد بن القبطرنه.

(٢) فى نفح الطيب (٢ : ١٦٣) وقلائد العقيان (ص ١٥١) «وافى».

(٣) فى المصدرين السابقين: «نوره».

(٤) زيد فى المصدرين السابقين:

فى رياض تعانق الزهر فيها ... مثل ما عانق الخليل خليلا

وأورد النفح هذا البيت آخر القطعة.

ثمّ استيقظ أخُوهما الوزير الحسنُ أبو الحسن فقال :

يا صَاحِبيّ ذَرَا لَوْمى ومَعتَبتِي   قُمْ نَصْطَبِح خَمْرةً من خَير ماذَخرُوا

[140 B] /وبَادِرَا غَفْلَةَ الأيامِ وآغتَنِما   فاليومَ خمرٌ ويبدُو فى غَدٍ خَبَرُ

* * *

[و]ذو الوزارتين الناظمُ الناثرُ الكثيرُ المعالى والمـآثر أكتب أهل زمانه على الإطلاق، وآدبُ أهل الأندلس بالإجماع والاتّفاق ؛ مع التقييد للحديث، والاشتغال بعلومه فى القديم والحديث :

ابن أبى الخصال[1]

أبو عبد الله محمد بن مسعود

حدّثنى عنه خمسون شيخًا ، منهم قاضى القضاة إمام النحويّين ، بقيةُ أعلام مشيخة الأندلسيّين ، أبو جعفرٍ أبو العباس أحمدُ بن عبد الرّحمن بن محمد بن سعد[2] بن مَضاءٍ اللخميّ رضى الله عنه .

فمّا أنشدونا له فى مُطْرِب :

وافَى وقد عَظُمتْ علىّ ذُنُوبُه   فى غَيبة قَبُحت بها آثارُهُ

فَمَحَا إساءَته بها إحسانُه   وآستغفرتْ لذُنوبه أوتارُه

---

(١) كتب ليوسف بن تاشفين أمير المرابطين ، وتوفى مقتولا سنة ٥٤٠ هـ . (بغية الملتمس ص ٢٨٢ — والرايات ص ٧٤ — والقلائد ص ١٧٣ . والمعجب والذخيرة) .

(٢) فى الاصل : « سعيد » . والتصويب عن بغية الوعاة . ولابن مضاء من الكتب : المشرق فى النحو ، والرد على النحويين وغيرهما . ولد بقرطبة ٥١٣ هـ ومات بإشبيلية سنة ٥٩٢ هـ .

[141 A] / وله يعتذر من استبطاء المُكاتبة :

أَلم تَعلموا والقلبُ رَهْنٌ لَديكم يُخبِّرُكم عَنّى بمُضمرِه بَعدى
ولو قَبِلتْنِى[1] الحادثاتُ مكانَكم لأنهبتها وَفْرى وأوطأتها خدّى
أَلم تعلموا أنّى وأَهْلى وواحِدى فداءٌ ولا أَرْضَى بتَقْدِمتى[2] وحدى

ولابن أبى الخِصَال تصانيف كثيرة، مستحسنة أثيرة ؛ منها : كتاب ظِلّ الغمامة وطوق الحمامة ، فى مناقب من خَصَّه رسول الله صلى الله عليه وسلّم من صحابته رضى الله عنهم بالكرامة ، وأحَلّهم بشهادته الصّادقة دار المُقامة . والقصيدة المَوْسُومة بمعراج المَناقب ، ومِنهاج الحسَب الثّاقب،فى نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وما أنْتَظم به من مناقب صحابته الأبرار . إلى غير ذلك من ترسُّله الفائق، وشعره الرائق ، وذلك فى خمس مجلدات .

وأَنشدنى الوزير الفقيهُ المحُدِّث الفاضل الكاتب أبو عبد الله محمدُ بنُ أبى القاسم ابن عُميرة[3] المَرَوىّ ؛ المنسوب إلى/ مدينة المريّة،على ماتقتضيه صناعة العربية[4] ؛ [141 B] قال : حدّثنى بجميع تَصانيفه الوزير أبو نَصر الفتحُ بن خاقان[5]، سامحه الله بما سَلف منه وكان ، وكان طبعُه فى الانقياد له فى ميدان البلاغة سَلِس العنان ؛ وقد قدّمنا أنه قتل ذَبْحا[6] ، ورأو له فى تشَحّطه[7] بدمائه سَبْحا .

فمن شعره[8] يخاطب أبا يحيى [محمد][9] بن الحاجّ ، وقد كان وقع بينه و بينه فى بعض الأيام تنازعٌ أدّى إلى الانفصال ، وتَعطيلِ تلك البُكَر والآصال ؛

---

(١) فى القلائد : «قلبتنى» . (٢) فى القلائد : «بتفدية» . (٣) انظر الحاشية (ص٦ — ٢٠) .
(٤) يشير الى ما هو معروف فى النسبة الى كل مختوم بياء مشددة بعد حرفين ، من حذف الياء الأولى ، وقلب الثانية واوا ، وفتح الحرف الثانى . (٥) هو صاحب القلائد والمطمح . ولم نجد الفتح قد عرض لمؤلفات ابن أبى الخصال فى قلائده .
(٦) انظر الحديث عن مقتله (ص ٢٥) . (٧) يتشحط : يتخبط . (٨) الشعر لأبى نصر بن خاقان .
وانظر الحديث مفصلا فى القلائد (ص ١٧٩) (٩) التكملة من القلائد .

ثم انقشَعت تلك المَخِيلة ، وتحرّكت فيه المودّة[١] الدّخيلة ، وأكّدت تجديد ذلك العهد الرائق ، وكف أيدى العوائق ، فكتب إليه :

أَكعبةَ عَلْيَاءٍ وهَضْبة سُؤْدَدٍ ... ورَوْضةَ مَجْدٍ بالمَفاخر تُمْطِرُ
هَنيئاً لمُلْكٍ زانَ نُورُك أُفْقَه ... وفى صَفْحتَيه من مَضائك أَسْطُر

وإنّى لخفّاق الجناحَين كلّما ... سَرَى لك ذِكرٌ أو نَسيم مُعَطّر
وقد كان واشٍ هاجَنا لتنافُرٍ ... فَبِتُّ وأحشائى جَوًى تتفطّر
فهل لك فى وُدٍّ ذَوَى لك ظاهراً ... وباطنُه يَنْدَى صَفَاءً ويَقْطُر

[142A]

ولستُ بِعِلْقٍ بِيعَ بَخْساً وإنّنى ... لأَرْفَعُ أَعْلاقِ الزمان وأَنْضَر

— الأعلاق : جمع عِلق ، وهو الشئ النفيس — فأمر الأمير ذو الوزارتين[٢] أباعبد الله ابن أبي الخِصال بمراجعته ، فكتب عنه بقطعة منها :

ثَنيتَ أبا نَصْر عِنانى وربّما ... ثَنَتْ عَزْمةَ السّهم المُصمم أَسْطُرُ
ونالت هوًى مالم تكن لِتنالَه ... سُيوفٌ مواضٍ أو قَنًا تتأطّر
وما أنَا إلّا مَن عرفتَ وإنّما ... بَطِرْتَ ودادى والمودّةُ تُبْطِر
نظرتَ بعينٍ لو نظرتَ بغيرِها ... أَصَبْتَ[٣] وَجفْنُ الرّأى وسْنانُ يَشْطُر[٤]

***

---

(١) فى القلائد : « وتحركت لوعة مودته » .

(٢) هو ابن الحاج المتقدم .

(٣) فى الأصل : «لأبت» . وما أثبتنا من القلائد .

(٤) شطر بصره يشطر : صار كأنه ينظر إليك و إلى آخر . وفى القلائد : «أشطر» .

الوزير الحسيب العالم الأوحد :

ابنُ الجدّ

أبو القاسم محمد بن عبد الله

الفهريُّ النّسب ، المُستبحر فى الحـــديث والفقه والمتقدّمُ فى الأدب وعلم النّسب ، كاتب الحَضرة العُلْيا ، المَرجوّ للدّين والدّنيـا . تُوفّى رحمه الله سنة خمسَ عشرة وخَمسمائة[1]

[142 B] حدّثنى عنه ابنُ عمّه حافظُ/أهل زمانه ، المُقدَّمُ على أهـــل عصره بحفظ مذهب إمام دارِ الهجرة ، أبى عبد الله مالكِ بن أنسٍ وأصحابه ، ونصوص أقوالهم ، واتفاقهم واختلافهم ، مع المعرفة بلسان العرب ، والنّهاية فى الفضل والدّين وسموّ النّسب ، والجاه وأعلى الرُّتب ، أبو بكر محمدُ بنُ عبد الله بنِ يحيى بنِ الجدّ . تُوفّى رضى الله عنه ليلة الخميس الرّابع عشَر من شوّال سنة ستٍّ وثمانينَ وخَمسمائة ، ودفن ظهر يوم الخميس بداره بمدينة إشبيلية ؛ ولم يتخلّف عن شهود جنازته كبيرُ إنسان ، ومَشى فيها الملوك والعلماء وجميعُ الأعيان ، حتّى أودعوه بطن ضريحـــه وتركُوه فى ذمَّة من الله وضَمان . وكان مولده فى شهر ربيع الأوّل سنة ستّ وتسعين وأربعمائة . فكان له من العمر يوم وفاته تسعونـــ سنة وسبعةُ أشهر .

---

(١) وانظر الذخيرة (٢ : ١٧٣) والقلائد (ص ١٠٩) والصلة ، والمعجب (ص ١٢٤) والنفح (٤ : ٤٠٧) والخريدة والمسالك (٨ : ٢٢٣) .

[143 A] فمن شعر الوزير أبي القاسم بن الجدّ ما أنشدنيه/ له ابن عمّه رحمهم الله :

لئن رَاق مرأى للحسان ومَسمعُ ... لحسناؤك الغرّاءُ أبهى وأمتعُ[١]

عَروسٌ جلَاها مَطلعُ الشَّمس[٢] فانْثنتْ ... إليها النّجومُ الزّاهراتُ تَطلَّع

زَففت بها بِكرًا تضوع طيبُها ... وما طيبُها إلا الثّناء المُضوّعُ

لهـا من طِرازِ الحُسن وَشْيٌ مُهلّلٌ[٣] ... ومن صِيغَة الإحسان تاجٌ مُرصّع[٤]

وأنشدنى له[٥] :

أما ونسيمِ الرّوضِ طَاب له نشرُ[٦] ... وهبَّ له من كُلّ زاهرةٍ نَشْرُ

يُحامى[٧] له عن سرّه زَهَرُ الرُّبى ... ولم يَدر أن السّرَّ فى طَيّـه نَشْر

ففى كُلّ سِرّ[٨] من أحاديث طِيبه ... تمـائمُ لم يَعـلَق بحاملها وِزْر

لقد فَغَمتْنى من ثَنـائك نَفْحةٌ ... يُنافسنى فى طِيبِ أنفاسِها العطْر

تَضَوعَ منها العَنْبر النّدّ[٩] فانْثنت ... وقد أوهَمتْنى أنّ منزلهـا الشِّحْر

سَرى الكبرُ فى نفسى لهَا[١٠] ولربّما ... تجانف عن مَسرى صَرامتىَ[١١] الكبرُ

وشيبَ[١٢] بها معنًى من الرّاح مطربٌ[١٣] ... فخيّل لى أنّ ارتياحى بهـا سُكر

أبا عامرٍ أنْصِـف أخاك فإنّه ... وإيّاكَ فى مَحْضِ الهوى المـاءُ والخمْـر

(١) فى الأصل : «وأوسع» تحريف . (٢) فى الخريدة والقلائد : « مطلع الفكر » .

(٣) مهلل : على هيئة الهلال . (٤) وزاد العماد فى الخريدة بعد هذا البيت أربعة أبيات أخرى .

(٥) ذكر ابن بسام فى الذخيرة (٢ : ١٩٩) أن هذه الأبيات جواب على أبيات أرسلها اليه الأديب أبو عامر .

(٦) فى القلائد (ص ١١٢) والمغرب والخريدة : « طاب به بخر » .

(٧) فى الخريدة : « تجافى » . (٨) فى القلائد والمغرب : « سهب » .

(٩) فى القلائد والمغرب : « الورد » . (١٠) فى المغرب : « بها » .

(١١) فى الذخيرة والمغرب : « ضرائبها » . وفى القلائد : « ضرائبى » .

(١٢) فى القلائد والذخيرة : «وشبت» . (١٣) فى القلائد والمغرب : « مطربا » .

[143 B]

أمثلكَ يَبْغى فى سَمَائى كوكبًا ... وفى جَوّك الشَّمسُ المُنيرةُ والبدرُ

ويلتمسُ الحَصْباء فى ثَعْب[1] الحَصَى ... ومن بَحرك الفيّاض يُستخرج الدُّرّ

عجبتُ لمن يَهوى من الصُّفر تُومَةً[2] ... وقد سالَ فى أرجاء مَعْدِنه التِّبر

قوله : «لقد فغمتنى» الفَغْم ، بالغين المعجمة يُستعمل فى ملء الرّائحة ، أنفًا أو مكانًا

قال الراجز :

* نفحَةُ مِسْك تَفْغم المَزْكوما *

*
* *

ومن المُتقدّمين من شعراء الأندلس والمغرب :

أبو القاسم محمدُ بنُ هانىءٍ[3]

الأندلسى الدّار ، وإن كان قبيح الغُلوّ ، شَهِير الاستهتار ، فربما صَدرت عنه دُررٌ تُلحقه بالشّعراء الكِبار :

فُتِقَتْ[4] لكم ريحُ الجِلَاد بعَنْبَرِ ... وأمدَّكم فَلَق الصَّباح المُسْفِرِ

وجَنَيْتُمُ ثَمَرَ الوقائع يانِعًا ... بالنَّصْر من وَرَق الحَديد الأخْضَر

---

(١) الثعب : مسيل الوادى .

(٢) الصفر : ضرب من النحاس . والتومة : القرط . وأراد بها ما يحلى به .

(٣) ولد باشبيلية وبها نشأ ورحل عنها عند اتهامه بمذهب الفلاسفة الى المغرب الأقصى فاتصل بالمعز . وكانت وفاته فى برقة سنة ٣٦٢ هـ . ومولده ٣٢٦ هـ . وله ديوان قام على نشره الدكتور زاهد على وطبع بالمعارف بمصر ومعه دراسة وافية .

(٤) من قصيدة فى مدح جعفر بن على . (انظر شرح ابن هانى لزاهد على ص ٣٢١) .

144A —قال ذو النّسبين، رضى الله عنه، هذا بيت بديع /زاد فيه على قول البُحترىّ:

حَملتْ[١] حمـائلُه القديمـة ثِقْلَهُ   من عَهْـد عادٍ غَضّة لم تَذْبل —

* * *

وضربتمُ هـامَ الكُماة ورُعتمُ   بِيضَ الخُدور بكُلّ لَيْث مُخْـدِرِ
أبنِي العَوالِي السَّمهريّة والسّـيو   فِ المَشْرفية والعَـديد الأكثرِ
مَن منكُم الملكُ المُطـاعُ كأنّه   تحت السّـوابغ تُبّعٌ فى حِمْـيَرَ
القائدُ الخيـلِ العتاقِ شَـوازبًا   خُزْرًا إلى لحظ السِّـنان الأخْزَرِ

ومنهـا يصف الممدوح :

نَحَـر القَبُولَ من الدَّبُور وسار فى   جَمْع الهِرَقْلِ وعَزْمَـةِ الإسْكندرِ
فى فتْيةٍ صَـدَأُ الدّروع عَبيرُهُم   وخَلوقُهم عَلَقُ النَّجيعِ الأحْمـرِ
لا يأكُلُ السّرحانُ شِلْوَ عَقيرهم[٢]   مما عليه من القَنَـا المتكسّرِ

قوله : « لا يأكل السِّرحان شِلْو عَقيرهم ... البيت » . أى لم يمت لشجاعته حتى تُحطّم عليه من الرّماح مالا يصل معه الذئبُ إليه ، ولو كان العقيرُ هو الذى عقروه هم / لكان البيت هجوا ، لأنّه كان يَصفهم بالتّكاثر على واحد . [144 B]

ومن قوله أيضا يمدح الأمير أبا الفضلِ جَعفر بن علىٍّ الأندلسىَّ :

أليلتَنَا إذْ أرسَلَتْ وارداً وَحْفَـا   وبِتْنا نَرى الجوزَاء فى أُذْنها شَنْفَا
وباتَ لنا ساقٍ يَصُول[٣] على الدُّجَى   بشَمْعة صُبح[٤] لاتُقَطّ ولا تُطْفَـا

---

(١) ختام قصيدة ، مطلعها :
أهـلا بذلكم الخيال المقبل   فعل الذى تهواه أو لم يفعـل
(٢) فى الديوان : «طعينهم» .   (٣) فى الديوان (ص ٤٣٨) : «يقوم» .
(٤) فى الديوان : « نجم » .

ومن مليحها قوله :

يقولون حقْفٌ فوقه خَيْزُرانةٌ ... أمَا يَعْرفون الخيزرانةَ والحقْفَا

جَعلنا حَشَايَانا ثِيابَ مُدامنا ... وقَدّت لنا الظلماءُ من جِلْدها لُحْفا

فَمن كَبِدٍ تُدنِي إلى كَبِدٍ هَوًى ... ومن شَفَة تُوحِى إلى شَفَةٍ رَشْفا

وقوله منها يشبّه نجوم اللّيل :

قوِلَت نُجومٌ للثّريّا كأنّها ... خَواتِيمُ تَبْدُو فى بَنانِ يدٍ تَخْفَى

ومرّ على آثارها دَبَرانُها ... كصاحب رِدْءٍ كُمِّنَتْ خَيلُه خَلْفا

وأقبلت الشّعْرى العَبُورُ مُكبَّةً ... بِمِرْزَمِها اليعبوبِ تجنُبُه طِرفا[1]

[145 A] / وقد بادرتْها أختُها من ورائها ... لِتَخرق من ثِنْيَىْ مَجَرَّتِها سِجْفا[2]

تخَافُ زئيرَ الليثِ يَقْدُمُ نَثْرَهُ ... وبَرْبَرَ فى الظّلماء ينسِفُها نَسْفا

كأنّ السّماكين اللذين تظاهرا ... على لِبْدَتيه ضامنان له حَتْفا

فذا رامحٌ يَهْوى إليه سِنانَه ... وذا أعزلٌ قد عَضّ أنْمُلَه لَهَفا

كأنّ رقيبَ الليل أجْدَل مَرْقَبٍ ... يُقَلِّبُ تحت اللّيلِ فى ريشه طرْفاً[3]

كأن بنى نَعْشٍ ونَعْشاً مَطافلٌ ... بوَجْرة قد أضلَلْن فى مَهْمَه خَشْفا[4]

كأنّ سُهيلاً فى مَطالع أُفْقه ... مُفارِقُ إلفٍ لم يَجِد بعدَه إلفا

كأن سُهاهَا عاشقٌ بين عُوَّدٍ ... فآونةً يَبْدو وآونةً يَخْفى

كأنّ مُعلَّى قُطْبها فارسٌ له ... لِواءان مركُوزان قد كَره الزّحْفا

---

(١) المرزم : أحد مرزمين : نجمين . واليعبوب : الجواد البعيد القدر فى الجرى . وتجنبه : تقوده الى جنبها . والطرف : الكريم من الخيل .

(٢) أختها : أى الشعرى الغميصاء .

(٣) رقيب النجم : الذى يغيب بطلوعه . مثل الثريا رقيبها الإكليل . والأجدل : الصقر .

(٤) بنو نعش : سبعة كواكب ، أربعة منها نعش ، وثلاثة بنو نعش . والمطافل : ذوات الأطفال . ووجرة : موضع .

كأنّ قُدامَى النّسر والنَّسرُ واقــعٌ　　قُصِصْنَ فلم تَسْمُ الخَوافِى به ضُعْفا

كأنَّ أخاهُ حِين دوَّم طائرًا　　أَتَى دون نِصْف البدرِ فاختطف النِّصفا

[145 B] /كأنّ الهَــزِيعَ الآبَنوسِىّ لَوْنُه　　سَرَى بالنَّسيج الخُسْروانىّ مُلتفّا

كأنّ ظلامَ اللّيــلِ إذ مال مَيْلَةً　　صَريعُ مُدَام بات يَشْربها صِرْفا

كأنّ عَمُــودَ الفَجْر خاقانُ مَعْشر　　من التُّرك نادىَ بالنجاشى فاستَخْفى

كأنّ لِواء الشّمس غُرّةُ جَعفرٍ　　رأى القِرْن فازدادَت طَلاقَتُه ضِعْفا

وبقيّة شعر هذا الرّجل قَعاقع وجَعاجع ، وثالثةُ الأثافى والرُّسوم البلاقع .
والخُسروانىّ : الحرير الرّقيق الحسن فى الصنعة ، منسوبٌ إلى خُسرو، أحد ملوك الأكاسرة .

ومنهم الأديب ، الشّاعر الأرِيب :

أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ عبدِ الولىّ البَتّى (1)

وبَتّة : قرية من قُرى مدينة بَلَنْسية . وكان كثير التّصرف ، مليح التّظرّف .
أنشدنى له غير واحد من أهل مدينَة بَلَنْسية :

غَضِبْت الثُّريّــا فى البِعادِ مكانَهــا　　وأُودعت فى عينَىَّ صَادِقَ نَوْئِهــا

/وفى كُل حالٍ لم تزالِى بَخيــلةً　　فكيفَ أعرتِ الشّمسَ حُلّةَ ضوئِها

[146 A]

أحْرقه القنبيطور—لعنه الله—فى حينِ تُغلبه على بلنسية وذلك فى سنة ثمان وثمانين وأربعمائه .

(1) وهكذا عاد المؤلف إلى ذكر البتى مرة ثانية غير أنه هناك قدمه باسم أبى محمد بن البتى (ص ١٢٤) وأكملنا الاسم هناك . وهنا ذكره باسم أبى جعفر. وكذلك أورده العماد فى الخريدة فى موضعين الأول (١١ : ١٩٤) باسم (أبى جعفر عبد الولى البتى) والثانى(١٢ : ٢٨٥) باسم جعفر بن البتى ، على أنهما ترجمتان لشخصين . ويؤخذ من الوصف الذى أورده ابن دحية فى الموضعين ، وكذا ماأورده العماد ، أنهما لشخص واحد .

والوزير الكاتب :

أبو الفضْلِ بنُ حَسداى[1]

من بيتِ شرف اليهود بالأندلس ، ذكَرَ القاضى بطُليطلة الفقيهُ المؤرخ المتقنُ أبو القاسم صاعدُ بن أحمدَ بنِ عبد الرّحمن بنِ محمّدِ بن صاعدٍ فى كتاب الطبقات[2] له ، أنّ ابن حسداى هذا من ولد موسى[3] صلى الله على نبيّنا وعليه . جرى فى ميدان البلاغة إلى أبعد أمد، وبنى عِراصَها بالصِّفاح والعَمَد ، وكانت الذّمّة تُقعده عن مراتب أكفائه ، وتجِدّ فى طُموس رَسْمه وعَفائه ، حتّى ألحقَه الله بأقرانه ، وأقاله من متعثَّر[4] خُسرانه ، فتطهّر وأسلم ، وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم .

[146 B] فمن شعره القطعةُ التى/أَطلعها نيّرةً ، وترك الألباب منها مُتحيّرةً ، ذكرها أبو نصر الفتح بن خاقان ، فى كتاب قلائد العقيان :

تَوْريدُ خدّكِ للأَحداق لذّاتُ	عليه من عَنْبر الأَصْدَاغ لامَاتُ
نيرانُ هَجْرك للعُشّاقِ نـارُ لظًى	لـكنْ وصالُك[5] إن واصلتَ جنّات
كأنّمـا الرّاحُ والرّاحاتُ تَحملُهـا	بُدورُ تِمٍّ وأَيدى الشَّرب هالات
حُشاشةٌ ماتَركنا المـاءَ يَقتُلهـا	إلّا لتَحْيا بهـا منّـا حُشاشات
قد كان فى كأْسِها من قبلها ثِقَلٌ	نخفّ إذ مُلِئتْ منهـا الزُّجاجات

---

(١) هو أبو الفضل حسداى بن يوسف بن حسداى .

(٢) هو طبقات الأمم . والكتاب مطبوع . وكانت وفاة مؤلفه صاعد سنة ٤٦٢ هـ .

(٣) انظر طبقات الأمم (ص ٩٠) .

(٤) فى الأصل « متجر » وما أثبتناه عن النفح .

(٥) فى قلائد العقيان (ص ١٨٤) والنفح (٢ : ١٦٥) والخريدة (١٢ : ٢٧٧) : «لـكن وصلك» .

[147 A] قال ذو النسبين رضى الله عنه : أخذ هذا المعنى/من قول الشاعر أبى على[١] إدريسَ بنِ اليَمانِ،من أهل جزيرة يابسة[٢]،من قصيدة طويلة[٣]يمدح بها إقبال الدولَة أبا الحسن علىّ بن أبى الجَيش مُجاهد بن عبد الله مولى أبى عامر :

ثَقُلتْ زُجاجاتٌ أتَتْنـا فُــرَّغًا ... حتّى إذا مُلئت بِصِرْف الرَّاح

خفَّت فكادتْ تَستطيرُ بما حَوتْ ... وكذَا الجسوم تَخِفُّ بالأَرواح

* * *

ومنهم الفقيه الأديب الزكىّ الحَسِيب :

أبو عبدُ الله محمدُ بنُ الفخار[٤]

بَيت الفخَار ، ومَنْبت الفَضْــل المُشرق إشراقَ النهار ؛ يعرف بأبن نصف الرَّبض[٥]،الراسخ فى علم الجوهر والعرض.أنشدنى لهجماعة من أهل مدينة مالقة، منهم ولدُه الوزير الأديبُ ، الفقيه الحكيم الأريب : أبو الحسينِ ؛ والخطيب /فى مجالس الملوكِ، النّاثر من فيه دُررَ السّلوكِ ، صديقُنا أصبغ بن أبى العبَّاس : [147 B]

أُمستنكَرٌ شَيبُ المَفارِق فى الصِّبا ... وهل يُنْكَر النَّوْرُ المُفتَّح فى غُصْنِ

أظُنّ طِلابَ المَجـد شَيَّب مَفــرِقى ... وإن كنتُ فى إحدى وعشرين من سِــنّى

---

(١) انظر الحاشية (ص ١٣٠) (٢) انظر الحاشية (٢ص ١٣٠) .

(٣) لم يذكر ابن دحية (ص ١٣٠) ولا المراجع التى أشرنا اليها غير هذين البيتين .

(٤) هو محمد بن الحسن بن كامل الحضرمى المالقى . فقيه أديب اشتهر بالأدب وله شعر . توفى سنة ٥٣٩ هـ (بغية الملتمس ت٩٠) . خريدة القصر المجلد الأخير (ص ١٣٥) والمغرب (ص ٤٣٢) والقلائد (ص٢٩٢) والنفح (٣ : ٣٦)

(٥) وكذا وردت العبارة فى النفح .

ومن شعراء الجزيرة صاحب الموشحات الشهيرة :

أبو بكرِ بنُ بَقِّي[١]

فمن شعره :

عاطيتُــهُ والليـــلُ يَسحبُ ذَيْلَه ... صَهْبـاءَ كالمِسْك الفَنِيق لناشِـــقِ
وضَممتُـــه ضَمَّ الكَمِيِّ لسَيْفِــه ... وذُؤَابتـاه حمائلٌ فى عاتِقِى
حتى إذا مالَت[٢] به سِنَةُ الكَرَى ... زَحْزحتُه رِفقًا[٣] وكان مُعانِقِى
باعَدتُه[٤] عن أَضْلُع تَشْتاقه ... كى لا يَنـام على وِسَادٍ[٥] خَافق

*
* *

[148 A] ومنهم الفقيه الأصولىُّ/اللغوىّ النحوىُّ :

العبدرىّ

أبو بكرٍ محمدُ بنُ عبد الله بنِ ميمون بن إدريسَ بنِ محمّد بن عبد الله[٦]، سكن عُذوة المغرب ، وتَصــدَّر بمراكش لإقراء النَّحو والأدب . لقيتُه بهـا سنة

---

(١) هو أبو بكر يحيي بن محمد بن بقى الأندلسى . له ما ينيف على ثلاثة آلاف موشحة ، ومثلها قصائد ومقطعات منقحة . وتوفى سنة ٥٤٠ أو سنة ٥٤٥ . وانظر خريدة القصر (ص ٥٨) والتكملة لابن الابار (ت ٢٠٤٢) والقلائد (ص ٢٧٩) والمطمح . والنفح (٤ : ٣٦٨) والمسالك (١١ : ٢٨١) .

(٢) فى الخريدة : «أخذت» .

(٣) فى الخريدة : «عنى» . وفى القلائد ومسالك الأبصار : «شيئا» .

(٤) فى المسالك والخريدة : «أبعدته» .

(٥) فى الخريدة : «فراش» .

(٦) انظر ابن الأبار (ت ٧٥١) .

خمس وستّين ، وقد شرح كتاب «الجُمل»[١]،وانفرد من الفضل بمفصّله والجُمل.
وتوفّى رحمه الله بحضرة مَرَاكش يَوم الثلاثاء الثّامن عشر من جمادى الآخرة ،
ودُفن ضُحى يوم الأربعاء ، سنة سبع وستين وخمسمائة . فمن شعره :

أبـا قاسِمٍ والهــوى جِنَّــةٌ ... وها أنـا من مَسّهـا لم أُفقْ
تَقَحَّمْتُ جَاحِمَ نَار الضُّـلوع ... كما خُضت بَحر دمُوع الحَـــدق
أكنتُ الخليلَ أكنتُ الكليمَ ... أمنتُ الحريقَ أمنت الغَــرَق

⁂

ومنهم شاعرُ المغرب الأقصى ، ومفخرُه فى صناعة المحاكاة والتخييل ؛ وإن
كان له غلوٌّ فى الأمداح ، وإفراط فى الاختراعِ والاقتداح ؛ فرُبما ثَنَى عنانه/ إلى [148 B]
مدح اللّطيف الخبير ، وروّى ظمأه ذلك العذب النّمير ، وهو :

أبو عبد الله محمّدُ بنُ حسين بنِ عبد الله بن حَبُّوس[٢]

بالباء بنُقطةٍ واحدة من أسفل ، مولى بنى أبى العافية ، الّذينَ ملكوا المغرب
الأقصى ، فى أيام بنى أُميّة الأندلسيّين . وأصلُهم من تَازا ، من أهل تَسول ،
من بنى مَجدول ، منهم . وتَسول : كانت حاضرةَ مُلكهم ، ومنتظَم سلكهم ؛
فذهبتْ أيامهم ، وتقلّص إنعامهم ، وتلك عادةُ الله ، وسُنته فى الّذين خلوا من
قبل ، ولن تَجد لسنّة الله تَبديلا[٣] .

---

(١) لعله يريد كتاب « الجمل فى النحو » للزجاجى أبى القاسم عبد الرحمن بن إسحاق المتوفى سنة ٣٣٩هـ . وللجرجانى عبد القاهر المتوفى سنة ٤٧٤هـ : الجمل فى النحو أيضا . ذكره حاجى خليفة ولم يذكر بين شراحه اسم العبدرى .

(٢) انظر التكملة (ت ١٠٥٥) ومسالك الأبصار (١١ : ورقة ٢٨٧) .

(٣) انظر تاريخ ابن خلدون فى الحديث على بنى أبى العافية (ج ٦ ص ١٣٤) .

وقد رفعتُ ديوان شعره للمقام المولوى السلطانىّ الملكى الكاملى الناصرى ، أدامَ الله إنعامه ، ووالى له حسن الصنع وأدامه .

لقيتُه بحضرة مَرَّاكش ، ســنة أربع وستينَ وخمسمائه . ثمّ دخلتُ عنده فى داره بمدينة فاس ، بدرب السَّراجين منهـا ، فأخذت عنه وسمعت منه .

[149A] وأنشـدنى شيخى الفقيه الأستاذُاللغوىّ النحوى أبوالعبّاس أحمدُ/ بن علىّ بن محّد الكنانىُّ[١] — يعرف بابن سيّد — من أهل إشبيلية ؛ تصدّر للإقراء بها ، فطلع شمسًا من جانبها ، وكان من أهل البلاغة والشّعر ، والتقدّم فى النظم والنـثر . ختم كتاب سيبويه مرتين على الأستاذ النحوىّ أبى القاسم بن الرّماك[٢] بعـد قراءته القرآن العظيم على القاضى أبى الحسن شريح[٣] بنِ محمد ، والمجوِّد الكبير أبى العباس أحمد بن عَيشون[٤] ، وأجازَ له . وكذلك أجاز له جماعة من علماء قرطبة ، منهم الفقيه ابو محمّد بن عَتّاب[٥] ، والعـالِمُ أبو بَحرِ سُفيانُ بنُ العَاصى [٦] ، والوزير أبو الوليد بنُ طريف[٧] وغيرُهم ، ولزم الوزير الأديبَ البليغ الأوحد أبا محمد ابن عبد الغفور[٨] . فقرأ عليه كثيرًا . وأنشدنا له فى صاحب إشبيلية وقد خرج إلى غَزاة :

---

(١) ترجم له صاحب الرايات (ص ١٩) وصاحب بغية الوعاة (ص ١٤٩) وصاحب نفح الطيب (٥ : ٣٣٥) . وقد أورد له شعرا .

(٢) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن عيسى . أقرأ النحو والأدب بإشبيلية ، وكان مقدما فيهما إلى أن توفى سنة ٥٤١ ﻫ (بغية الملتمس ت ٩٩٠) وابن الابار (ت ١٥٩٥) و بغية الوعاة .

(٣) انظر الحاشية (٢ ص ٦٢) . (٤) هو أحمد بن خلف فقيه مقرئ توفى سنة ٥٣١ ﻫ (بغية الملتمس ت ٣٩٨) .

(٥) هو عبد الرحمن بن محمد من أهل قرطبة ، كان فقيها عالما بصيرا بالحديث . وطرقه ، عالما بالوثائق وعللها . وكان شيخ أهل الشورى فى زمانه . وعليه كان مدار الفتوى فى وقته . ولد سنة ٤٣٣ وتوفى سنة ٥٢٠ ﻫ (الصلة ت ٦٤١ ، و بغية الملتمس ت ٩٨٦) .

(٦) هو أبو بحر سفيان بن العاص بن أحمد بن العاص . روى عن ابن عبد البر وأبى الوليد الباجى . وحدث عنه جماعة ، منهم ابن بشكوال وتوفى سنة ٥٢٠ ﻫ (الصلة ٥٢٢ و بغية الملتمس ت ٧٨٢) .

(٧) هو أحمد بن عبد الله بن طريف فقيه أديب محدث . ولد سنة ٤٣٢ وتوفى سنة ٥١٩ ﻫ . وروى عن ابن عبد البر . (بغية الملتمس ت ٤٢٨) .

(٨) هو أبو القاسم محمد بن عبد الغفور . ترجم له الفتح فى القلائد (ص ١٦٠) وابن بسام فى الذخيرة وابن سعيد فى المغرب والعمرى فى مسالك الابصار والعماد فى الخريدة (١٢ : ٢٠٠) . وذكر هذا الأخير أنه كان حيا فى سنة ٥٣١ بمراكش وكان كاتب أمير المسلمين .

سِرْ حَلَّ حيثَ تحــلُّه النُّوار   وأراد فيــك مُرادَك الأقدارُ
وإذَا ٱرتحلتَ فشَيَّعتك غمامةٌ   أنّى حَلَلتَ ودِيمــةٌ مِدْرَار
/تَنْفِى الهَجير بظلّها وتُنِيمُ بالرَّ   شِّ القَتــامَ وكيف شِئْتَ تُدار [199 B]
وقَضَى الإلهُ بأنْ تَعود مُظفَّرا   وقَضَت بسَيْفك نَحبَها الكُفّارُ

ولقد أبدع فى هذه الأبيات غاية الإبداع، وهى من أبلغ ما قيل فى الوداع .

وأنشدنى رحمه الله قال : أنشدنى الوزير الشريفُ الحسيبُ النَّسيب أبو محمّد عبدُ العزيز بنُ الحسن بنِ أبى البسَّام[1] الحُسينىّ ، فريدُ عصره ووحيد دهره . قال : نزلتُ بفندق بمدينة دَانيــة ليلاً ، فرأتنى آمرأة كانت تعرفنى فى أيام السلطان أبى الطّاهر تَمِيم ، و[هى] الحُرّة الفاضلة مَرْيَمَ بنت إبراهيم ؛ والدّنيا قد سَحَبت علىّ من جَاهها ووِزارتها ذَيلا ، فقلت مُرتجلا :

عَاذِلَــتِى لا تُفنّــدِينِى   أَنْ صِرْتُ فى مَنزلٍ هَجِينِ
فليسَ قُبْح المَكان ممّا   يَقْــدَحُ فى مَنْصِبى ودِينى
الشمسُ عُلْوِيّةٌ ولكنْ   تَغْرُبُ فى حَمْأةٍ وطِين

/وكان شيخنا هذا رحمه الله يلقَّب باللِّصّ لدِيَاثته[2] وسكونه ، وتَردُّده[3] خُفْيةً [150 A] فى جميع شُؤونه ؛ وكان لا يُنكر هذا اللقب مع جاهه عند سلطان زمانه ،

---

(١) انظر الحاشية (٢ ص ٦) من هذا الكتاب .   (٢) الدياثة : التذليل والتليين .

(٣) مكان هذه الكلمة طمس يظهر من بقايا رسمه ما أثبتنا . وقد ذهب السيوطى فى البغية إلى أن سبب تسميته باللص هو إغارته على أشعار الناس .

وقــد أنشدنى بيتين قالها فى الوزير أبى الحسين بن قَنـدلَه(١) فى إبّان شبابه وعُنفوانه :

خَلَسْتَ(٢) قلبى بطَرفٍ أبَا الحُسين خَلُوبِ
فـكيفَ(٣) أُدعى بلصٍّ وأنت لصُّ القلوبِ

ولمـا وصلَتْ المَحِلّاتُ(٤) العظيمة ، والعساكر العميمةُ ، بجبـل الفَتح والنَّصر والهُـدى ، قام مُنشدا(٥) :

غَمِّضْ عن الشَّمسِ واستقصِرْ مَدى زُحَلِ وانظُرْ إلى الجبلِ الرَّاسى على جَبَلِ(٦)
أنَّى اسـتقلَّ به أنَّى اسـتقرَّ به أنَّى رأى شخصه العـالِى فلم يَزُلِ

توفِّى شيخُنا رضى الله عنه ببـلدة إشبيلية سنة / ستٍّ وسبعينَ وخمسِمائة(٧) . [150 B]
وأخبرنى أنّ مولده سنة سبعٍ وخمسمائةٍ . سمعتُ منه كثيرا ، وأجاز لى جميع رواياته ولأخى ، نفعنا الله .

*
* *

(١) هو محمد بن عمر بن محمد بن عبد الغنى من أهل أشبيلية . ترجم له ابن الأبار (ت ٧٧٥) وابن سعيد فى المغرب (ص ٢٤١) وكلاهما كناه بابى الحسن .

(٢) فى النفح : (٥ : ٢٣٢) : « سلبت » .

(٣) فى النفح : « فلم أسمى . . » .

(٤) كذا بالأصل . والمحلات : هى القدر والرحى والدلو والقربة والجفنة والسكين والفأس والزند . لأن من كانت هذه معه حل حيث شاء . فلعله يريد ما يحمله الجيش معه .

(٥) ساق النفح هذا الخبر (٥ : ٣٣٢) وذكر أن اللص أنشد هذه الأبيات لأمير المؤمنين عبد المؤمن بن على بجبل الفتح . وجبل الفتح هو جبل طارق .

(٦) فى الأصل : « الجبل » : وما أثبتنا عن النفح والمعجب (٢١٧) .

(٧) وذكر هذا أيضا السيوطى فى بغية الوعاة نقلا عن ابن دحية ، وزاد بأن وفاته كانت سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمسمائة . وأن مولده كان سنة اثنتين أو ثلاث وخمسمائة .

الوزير الكبير وزيرُ إشبيلية وعظيمُها ، وشاعرُها المشهورُ وكريمُها :

أبو بكرٍ محمّدُ

ابنُ الوزيرِ الكبيرِ ، الطّبيبِ النّحريرِ ، أبي مروانَ عبد الملك ؛ ابن وزير ذلكَ الدهرِ وعظيمه ، فيلسوفِ ذلك العصر وحكيمه ؛ أبي العَلاء زُهر ، ابن الوزيرِ الكبيرِ أبي مروانَ عبدِ الملكِ ، الراحلِ إلى المشرق ، وبه تَطَّبب[1] زماناً طويلا وتولّى رياسة الطّب ببغداد ، ثم بمصر ثمَّ بالقيروان ، ثم استَوطن مدينة دانِيــةَ ، وطار ذكره منها إلى أقطارِ الأندلس والمغرب ، واشتهرَ بالتقدّم فى علم الطّبّ حتى بذَّ أهلَ زمانه .

ومات بدانية . وأبوه الوزير الفقيه العالم أبو بكرٍ محمد بنُ مروان بن زُهر/الإيادىُّ [151 A] النَّسب العالم بالرّأى والحافظ للأدب . وكان حاذقاً فى الفَتْوى ، مُقَدَّماً فى الشُّورى ، متفنّناً فى العلوم ، وسيماً فاضلا ، جمع الروايةَ والدراية . تُوفى بطَلْبيرة[2] سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ، وهو ابن ستٍ وثمانينَ سنة . حدّث عنه جماعة من علماء الأندلس ، ووصفُوه بالدِّين والفضل ، والجُود والبذل .

حدثنى شيخُنا المُبدأُ بذكره ، وهو الوزير أبو بكرٍ ، عن جدّه الوزير أبي العَلاء بجميع تَواليفه[3] وشعرِه . وتوفّى الوزير أبو العلاء بمدينة قُرطبة ، مُمتَحَناً من نَغْلة[4] بين كتفيه سنة خمس وعشرين وخمسمائة .

---

(١) تطبب : تعاطى علم الطب .

(٢) طلبيرة (بفتح أوله وثانيه وكسر الياء) : مدينة بالأندلس من أعمال طليطلة (ياقوت) .

(٣) ذكر تواليفه ابن أبي أصيبعة فى كتابه طبقات الأطباء (٢ : ٦٦) .

(٤) النغلة : الجرح المتعفن .

والذى انفرد شيخُنا به وآنقادت لتخيّله طِباعُه ، وأصارت النهاءَ خَوَلَه وأتباعَه :
الموشّحـات ، وهى زُبدة الشعر وخُلاصة جوهره وصفوته . وهى من الفُنون
[151 B] التى أغربت بها أهل المغرب على أهل المَشرِق . وظهروا فيها كالشَّمس الطالعة
والضياء المُشرق ، فمن ذلك قولُه :

سَـــدلْنَ ظَلامَ الشُّعورْ على أَوْجهٍ كالبُـــدورْ

سَفَرنَ فلاح الصباحْ

هَزَزن قُدودُ الرِّماحْ

ضَحِكن آبتِسَـــامَ الأَقاحْ

كأنَّ الذى فى النُّحور تخيَّرنَ منه الثُّغورْ

سَـــلُوا مُقلَتَىْ ســـاحرْ

عن السِّحر والسّاحِر

وعن نَظَـــرٍ حائر

يَرِيشُ سهـامَ الفُتـــورْ ويَرمى خَبـايَا الصُّدورْ

لقـــد هِمْتُ ويَحِى بِهَا

وذُلّل قَلْبى لهـــا

أمَا والهــــوَى إنّهـــا

لَظَبْىُ كِناسٍ تَفُوزْ تَغارُ عليه الخدورْ

حُرِمتُ لذيذَ الكَرَى

سَهِرْتُ ونام الوَرى

[152 A] / تُرَى ليت، شِعْرى تُرَى

أساعاتُ لَيْلى شُهوزْ أمِ اللَّيلُ حولى يَدُورْ

ظَفِرتُ بصَبٍّ كَئِيب[1]

فنكَّد وعذَّبْ وجُوزْ أَسرفْ غُلامك[2] صَبُورْ

وقوله :

أيّها السّاقى إليك المُشتكَى قد دعونَاك وإن لم تَسْمَعِ

ونَديمٍ هِمتُ فى غُرَّتِهِ

وسَقَانى[3] الرّاح من راحتِه

كلما استيقَظَ من سَكْرته

جذب الزِّقّ إليه واتّكَا وسقَانى أربعًا فى أربعِ

ليس لى صبرٌ ولا لى جَلَدُ

ما لِقومى[4] عذَلُوا واجتهدوا

أنكرُوا شَكْواى ممّا أَجِد

---

(١) ظاهر ان هنا سقطا يبلغ البيتين .

(٢) فى الأصل : « أسرف هو غلامك » .

(٣) فى طبقات الأطباء (٢ : ٧٣) : « وشربت » .

(٤) فى طبقات الأطباء : « يالقومى » .

مثـلُ حالى حقُّها أن تُشتكَى   كَمَدُ اليأس وذلُّ الطَّمَع

[152 B] غُصنُ بانٍ مال من حيثُ استوى

بات من يهواهُ من فرط الجوى

خافقَ الأحشاء موهُون القُوى

كلمـا فكَّر فى البين بكَى   ماله[1] يبـكى لمـا لم يَقع

ما لعينى شُغِفت بالنَّظر

أنكرتْ بعـدك ضوءَ القَمر

فإذا ما شِئْتَ فاْسمع خَبَرى

عَشِيتْ عَيناى من طُول البُـكا   وَبكَى بَعْضى على بَعضِى مَعِى

الشغاف : حِجابُ القلب،وقيل:سويداؤه، وهو الشَّعف أيضا، بالعين المهملة. قال الله العظيم : (قد شَغَفَها حُبًّا). وشغَفَة القلب: أعلاه،وهو مُعَلَّق النِّياط. قال أبو عُبيد : المَشْغُوف : الذى بلغ حُبُّه شَغاف قلبه ، وبالعين المهملة : الذى خَلَصَ الحُب إلى قَلبه فأحرقه .

وكان شيخنا الوزير أبو بكر[2] — رحمه الله — بمكان من اللُّغَة مَكين، ومورِدٍ من الطلب عَذْب مَعين / [153 A] . كان يحفظ شعرَ ذى الرُّمّة ، وهو ثُلث لُغة العرب ، مع الإشْراف على جميع أقوال أهل الطِّب ، والمنزلَةِ العُلْيا عند أصحاب المَغرب مع سموّ النَّسب، وكثرةِ الأموال والنَّشب

(١) فى الأصل : « ياله » . وما أثبتنا عن طبقات الاطباء .

(٢) هو أبو بكر محمد بن أبى مروان عبد الملك بن أبى العلاء زهر .

صحبتُه زمانا طويلا، واستفدتُ منه أدبا جَليلا. واستجزتُه فى جميع تصانيف أسلافه وتصانيفه ، وجميع شعره ونثره وتواليفه .

ومن شعره :

وموسدين على الأكفّ خُدودَهم قد غالَهم نومُ الصَّباح وغَالَنِي
ما زِلتُ أَسقيهم وأشربُ فَضْلَهم حتى سكرتُ ونالَهم ما نالنى
والخمر تعلم كيف تَطلبُ ثأْرَها إنّى أملْتُ إناءها فأمَالَنى

ومن شعره :

رمتْ كبدى أختُ السِّماك فَأقصدتْ ألاَ بأبى رَامٍ يُصيب ولا يُخطِى
قريبةُ ما بين الخَلاخِلِ / إن مَشَتْ بعيــدةُ ما بين القِــلادة والقُرْط [153 B]
نَعِمْتُ بهـا حتى أُتيحتْ لنـا النَّوى كذا شِيمُ الأيّام تأخذُ ما تُعطى

سألته رحمه الله عن مولده فقال : ولدتُ سنةَ [سبع][1] وخَمسمائة. و بلغتنى وفاته آخر سنة خمس وتسعين وخمسمائة[2]

* * *

(١) بياض بالأصل . والتكملة من ابن الابار (ت ٨٥٥) .

(٢) ذكر ابن أبى أصيبعة أنه توفى سنة ٥٩٦ بمراكش .

وأنشدنى الوزير الكاتبُ أبو الحَكمِ عليٌّ، ابنُ الوزير الأعلى أبى بكرٍ محمّدِ بنِ عبدِ الملك بن عبد العزيز بن محمّد بن الحسين بن كُميل بن عبد العزيز بن هارون اللخمى قال : أنشدنى أبى لنفسه :

قد هَزَزناك فى المكارم غُصْناً　　واستَلَمْناك فى النَّوائب رُكناً

ووجدنا الزَّمان قد لَانَ عِطْفاً　　وتأتَّى فِعــلاً وأشْرَق حُسنا

فإذا ما سألتَـــه كان سَمْحًا　　وإذا ما هززتَه كان لَدْنا

مؤثِراً أحسنَ الخلائقِ لا يعـ　　ـرف ضَنًّا ولا يُكذِّب ظَنّاً

أنتَ ماءُ السماء أخصَبَ وَاديــــه　　ورفّت رياضُــه فانْتَجعنا

نَزعَتْ بى إلى ودادِك نَفْسٌ　　قلّما استمتعتْ بذى الفَضْلِ خِدْنا

وأنشدنى له وقد ودّع . . . .[1]

فى ذمّة المجْــد والعَلْياءِ مُرتَحِــلٌ　　فارقتُ صَبْرِىَ مذ فارقتُ موضِعَهُ

ضاءتْ به برهـــةً أرجاءُ قُرْطبة　　ثم استقلَّ فَسَرَّ[2] البَيْنُ مَطْلعَه

والوزيرُ أبو الحكَم هذا يعرف أبوه بأبن المُرخِى[3] . وصوابه عندأهل النّحو: المُرخَى، بفتح الخاء. وهو من أهل قُرطبة ، وأصلهم من شَرَّانة ، قرية من قُرى

---

(١) مكان هذه النقط بالأصل كلمات مطموسة تبلغ الست .

(٢) سر : أخفى وفى الأصل « فسد » تحريف .

(٣) هو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز الكاتب . وقد ترجم له الصدفى المعجم (ت ١٢٠) توفى سنة ٥٣٦ وانظر (بغية الملتمس ت ٢٠١) .

شَرِيش شُذُونه . وكان أبوه بَذَّ أهـــلَ وقته فى الكتابة والأدب ، واللغة وأنسابِ العرب ؛ وكان وزيرا جليـــلًا بوزارة السّلاطين بقُرطبة ، وكان يَنْتفع به النّــاسُ لحسن وَسَاطته ، ومُبادَرته إلى قضاء حوائج النّاس ومُشاركته .

أخذت عن ولده الوزير : أبى الحكم[1] جميعَ ما رواه عن أبيــه وعن غيره من أشياخ قُرطبة ، منهم ابن عَمّــه الوزيرُ الكبيرُ أبو جعفرِ بنُ عبد العزيز[2] . وأخذت / عنه[3] استدرا كه على الوزير أبى عُبيد البكرى[4] فى معجم ما استعجم ، [155 B] وذلك نحوٌ من أربعمائةِ موضِع . وسمعتُ من لَفظه أوهامَ ابنقُتيبة[5] فى المعارف . وصحبتُه كثيرا ، وأخذتُ عنــه فضلاً غزيرا ، واستجزته فى جميع ما رواه ، وألّفه ، فأجاز لى ولأخى الحافظ أبى عمرو . وسألته عن مولده ، فقال : ولدتُ آخر سنة تسعَ عشرة وخمسمائة . وتُوفّى رحمه الله بحضرة مَرّاكش سنة أربع وثمانين وخمسمائة ، وشهدتُ جِنازته .

* * *

---

(١) هو على بن محمد بن عبد الملك . سمع من أبيه وابن مكى . وولى خطة الكتابة ، وأخذ عنه جماعة . انظر ابن الأبار (ت ١٨٧٢) .

(٢) هو أحمد بن محمد بن عبد العزيز اللخمى . من أهل إشبيلة . سكن قرطبة . توفى سنة ٥٣٣ هـ وانظر معجم الصدفى (ت ١٣) .

(٣) وقع فى بعض الصحف من هنا اضطراب تكشف عنه الأرقام الجانبية المشيرة اليه .

(٤) هو أبو عبيد ، عبد الله بن عبد العزيز البكرى المتوفى سنة ٤٨٧ هـ . وكتابه المعجم فى ذكر البلدان قد طبع مرتين ، الثانية منهما فى القاهرة بتحقيق الاستاذ مصطفى السقا .

(٥) هو ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبه الدينورى المتوفى سنة ٢٧٦ هـ وكتابه المعارف فى ذكر أخبار الرسول والصحابة والخلفاء وتابعيهم طبع فى جوتنجن سنة ١٨٥٠ م

[و] صاحبُ أحكام القضاء بمدينة مالَقَةَ ، الفقيهُ العالمُ :
أبو الحسن صالح بن عبد الملك .

ابن سعيدٍ الأوسيّ

يعرف بالقَنْترال ، بالقاف ، والنُّون والتَّاء المثناة باثنتين من فوقها والرّاء المهملة .

وكان شيخاً جايلا ، محدِّثا ، فَقيها ، فاضلاً ، أصيلاً . لقى قاضىَ الجماعةِ ، أبَا الوليدِ محمدَ بنَ أحمدَ بنِ [محمد[1]] بن أحمد بنِ رُشد المالكى[2] مؤلِّف كتابِ المقدماتِ لأوائلِ كُتُبِ المدوّنةِ، وكتابِ البيانِ والتّحصيل لما فى المستَخْرجةِ من التوجيهِ والتّعليلِ ، واختصارِ المبسوطةِ ، واختصارِ مُشْكلِ الآثارِ للطحاوى — والامامَ العالم قاضى الجماعة أبا عبد الله ، مُحمد بنَ الحاجّ الشّهيد[3] ، فسمع عليه صحيح مسلم . ولَقِى الإمام العالمَ أبا بكرٍ غالبَ بنَ عَطيّة المُحاربى[4]، والفقيهَ المُشاورَ القاضى أبَا الحَسَن علىَّ بن أَضحى الهَمْدانى[5]،والمحدّثَ الجليلَ أبَا جعفرِ

---

(١) التكملة من ابن الأبار (ت ٨٥٣) .

(٢) ولد سنة ٥٢٠ وتوفى ٥٩٣ هـ .

(٣) هو محمد بن أحمد بن خلف التجيبي قاضى الجماعة بقرطبة . يروى عن أبى مروان بن مراج ، وأبى على الغسانى . ولد سنة ٤٥٨ هـ واستشهد بجامع قرطبة سنة ٥٢٩ هـ (بغية الملتمس ت ٢٥) .

(٤) هو غالب بن عبد الرحمن بن عطية . فقيه زاهد محدث وله رحلة إلى المشرق . ولد سنة ٤٤١ هـ وتوفى سنة ٥١٨ هـ (بغية الملتمس ت ١٢٧٧) .

(٥) ترجم له الضبي فى بغية الملتمس (ت ١٥٤٧) ، والفتح فى المطمح .

أحمدَ بنَ محمّدِ بن عبدِ العزيز اللخمى[١]، ولقى بلَوْشَة[٢] الفقيهَ الإمام أبَا الوليد هشامَ ابنَ أحمَد بن هشامٍ الهلالىّ[٣] ، قرأ عليه ، وعلّق عنـه جميع كلامه ، على صحيح البخارى ، وكان عالمـًا به واقفا على معانيه . ولقى بإشبيلية القاضى الإمامَ أبا بكرٍ محمدَ بن عبد الله بنِ العربى المعافرى[٤] ، وكان مُختصا به . والفقيه المشاور القاضى أبامروانَ الباجى ، والمقرئَ النحوىَّ القاضىَ بإشبيلية أبا الحسن شُريحَ / بن مُحمد الرُّعينى[٥]، والفَقيه القاضى الإمام أبَا القاسم أحمدَ بنَ محمّـد بن أحمـد بن عيسى ابن مَنْظور[٦] ، والوزير أبا بكر محمد بن فَنْدَله[٧] . والوزير الحسيب أبا عبد الله جعفرَ بنَ مكى[٨] ، وقرأ القـرآن العظيم بقرطبة على ابن ذروة ، وعلى الأستاذ عياش بن عبدالملك الأزدى اليابرى[٩] . ولَقى الفقيه المشاور الأستاذ أبا عبد الله محمدَ بنَ عيسى المشتهرَ بالشرقىّ ، ولـقى بالمريّة الامام العالِمَ الأوحدَ أبَا القـاسِم ابن وَرد[١٠] ، وقرأ عليه الحديث تفقُّها ، والفقيه الإمام الزاهد الشهيدَ أبا عبد الله

[154 B]

---

(١) فقيه محدث . توفى سنة ٥٣٣ هـ . عن سن عالية . ومولده سنة ٤٥٨ هـ (بغية الملتمس ت ٣٦٣) .

(٢) لوشة ، بالفتح : مدينة بالأندلس غربى ألبيرة .

(٣) ولد سنة ٤٤٤ هـ . وتوفى بغرناطة سنة ٥٣٠ هـ . (بغية الملتمس ت ١٤٢٥) .

(٤) فقيه حافظ ، رحل فى أحواز الخمسمائة صحبة أبيه ، وأقام بالعراق مدة و بالشام ومصر ، وتفقه هناك وروى فأكثر ، وتآليفه كثيرة منها : أنوار الفجر ، وهو ديوان كبير ، وكتاب فى أحكام القرآن ، والتلخيص فى مسائل الخلاف . والقبس فى شرح موطأ مالك بن أنس ، وغيرها . توفى سنة ٥٤٣ هـ . ومولده سنة ٤٦٨ هـ (بغية الملتمس ت ١٧٩) .

(٥) توفى سنة ٥٣٧ هـ . ومولده سنة ٤٥١ هـ . (بغية الملتمس ت ٨٤٩) .

(٦) طمس بالأصل والتكملة من بغية الملتمس . وهو فقيه محدث وكان قاضى اشبيلية توفى سنة ٥٢٠ (بغية الملتمس ت ٣٦٥) .

(٧) هو محمد بن عبد الغنى بن محمد بن عبد الله توفى سنة ٥٣٣ هـ (بغية الملتمس ت ٢١٠) .

(٨) هو جعفر بن محمد بن مكى ، وهو حفيد مكى المقرى . أقرأ بالمرية مدة . (بغية الملتمس ت ٦١٧) .

(٩) كانت وفاته فى نحو الاربعين وخمسمائة . (ابن الابار ت ١٠٤٩) .

(١٠) هو أبو القاسم أحمد بن محمد بن عمر بن ورد التميمى . ولد سنة ٤٦٥ هـ . وتوفى سنة ٥٤٠ هـ . (بغية الملتمس ت ٣٦٢) .

محمدَ بنَ يحيى ، يعرف بابن الفَرّاء[١] ، وسمع عليه . ولَقِى ببلده ما لَقة الفقيهَ المشاورَ الفاضل أبَا عبد الله محمدَ بن عبد الرحمن بن معْمر[٢] ، والفقيهَ الأستاذ المقرئَ أبا علىّ بن تَمْـلَا ، يعرف بالأحدب[٣] ، والأستاذ النحوى أبَا الحُسين بن الطّراوة[٤] ، والفقيهَ الأستاذَ اللُّغوى أبا عبد الله مُحمد بن سليمانَ[٥] /هو ابن أخت غانم . ولقى من أهل مُرْبَاطَر[٦] بلنسية الإمامَ العالمَ أبَا بحرٍ سُفيان بن العاصى[٧] ، ولقى الأستاذَ المقرئَ أبا المطرِّف عبدَ الرّحمن بن سعيد الفَهْمى[٨] ، حدّثه عن الفقيه عبد الحقّ الصّقلىّ إجازة ، وعن القاضى الإمام أبِى الوليدِ الباجى[٩] سماعاً عليه ، وعن الإمام أبى عمر بن عبد البر[١٠] إجازةً ، وعن غيرهم . [155A]

ولقى فى علم الأُصول الفقيه المتكلّم أبَا العبّاس أحمَـد بنَ مُحمَّد الجُذامىّ ، يعرف بابن الزَّنَق[١١] ، إلى غير ذلك من شُيوخه . وقـد سمعتُ عليـه وصحبته ، وأجاز لى جميع رواياته ، ولأخِى الحافظ أبى عمرو[١٢] .

(١) قاضى المرية من أهل الفقه والفضل والزهد والورع . توفى شهيدا سنة ٥١٤ هـ . (بغية الملتمس ت ٣٢٠).

(٢) فقيه محدث زاهد توفى سنة ٥٣٧ هـ وقد قارب التسعين (بغية الملتمس ت ١٩٥) .

(٣) هو منصور بن الخير بن تملا بن يعقوب بن محمد المغراوى المالقى . كان متقدما فى إقراء القرآن . توفى سنة ٥٢٦ هـ (بغية الملتمس ت ١٣٨٩) .

(٤) هو سليمان بن محمد الأستاذ الأوحد أبو الحسين ، كان إماما فى النحو ، لم يكن أحد أحفظ منه لكتاب سيبويه . توفى سنة ٥٢٨ هـ وقد قارب التسعين (بغية الملتمس ت ٧٧٩) .

(٥) فقيه أديب يروى عن خاله غانم المخزومى ، وكان من المتقدمين فى الإقراء لكتب العربية واللغة . ولد سنة ٤٣٤ هـ وتوفى سنة ٥٢٥ هـ (بغية الملتمس ت ١٢٥) .

(٦) مرباطر (Murbiter = Murbāṭar) : حصن . (انظر الإدريسى ١٧٥ — Steiger : 155 Diccionario de Historia de Espsna 2 : 605.) . ورسمه صاحب الروض المعطار « مربيطر » .

(٧) انظر الحاشية ٦ (ص ٢٠٠) .

(٨) يعرف أيضا بابن الوراق ، ولد سنة ٤٤١ هـ وتوفى سنة ٥٢٢ هـ . (بغية الملتمس ت ١٠١٧) .

(٩) هو سليمان بن خلف بن سعد ، وله كتاب المنتقى ، وكتاب إحكام الفصول فى أحكام الأصول ، وكتاب التعديل والتجريح ، وغير ذلك . ولد سنة ٤٠٣ هـ ببطليوس وتوفى بالمدينة سنة ٤٧٤ هـ (ابن خلكان ١ : ٣٠٤) .

(١٠) هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر . كان يميل فى الفقه الى مذهب الشافعى ، وله مؤلفات منها : كتاب التمهيد . ولد سنة ٣٦٣ هـ وتوفى سنة ٤٦٠ هـ . (بغية الملتمس ت ١٤٤٢) .

(١١) نشأ بمرسية واستقر بأريولة وتقدم فى علم الكلام ، وله فيه مسائل . (المعجم ت ١٠ وبغية الملتمس ت ٣٥٦) .

(١٢) هو أبو عمرو عثمان بن دحية .

ومن أعظمِ ما شاهدَ أهلُ الأندلس منه أنَّ يدَهُ اليُمنى بَطَلت فأطلقَ الله يدَه اليسرى، فكتبَ بها دواوين[١] لا تُحصى كثرةً، كمُسند البزَّار[٢] وغيره، كما كان يكتب بيده اليمنى وأحسن. وتُوفّى رضى الله عنه بمالقَة وهـو يتولّى الأحكام، ويدرِّسُ العُلوم سنة خمسٍ وسبعينَ / وخمسمائة. [156 B]

وأنشدنى قال: أنشدنى الإمام العالم أبو بكرٍ غَالبُ بن عبد الرحمن بن غَالب بن عطيّة المحاربىُّ[٣] لنفسه، يُعاتب بعضَ إخوانه:

وكنتُ أظنُّ أنَّ جبالَ رَضْوَى ... تَزول وأنَّ وُدَّك لا يَزولُ
ولكنَّ القلوبَ لها انقلابٌ[٤] ... وأحوال ابنِ آدم تَستحيل
فإن يَكُ بيننا وَصْلٌ جَميل ... وإلّا فليكُن هَجْرٌ جميل[٥]

وقد سمعتُ هذه الأبيات من الفقيه أبي محمد عبد الحق، ابن قاضى مالقَة أبي مروانَ عبدِالملك بن بُونة العبدرى[٦]، قال: أنشدنا الإمام أبو بكر غالب لنفسه أيضا يحذِّرُ من خِلْطة النّاس:

جفوتُ أناسًا كُنتُ آلفُ وصلَهم ... وما بالجَفَا عند الضرورةِ من بَاسِ
بلوتُ فلم أحمدَ فأصبحتُ[٧] يائسًا ... ولا شَيءَ أشْقَى للنُّفوس من الياس
فلا تَعْـذلونى فى انقباضِى فإننى ... رأيتُ جميعَ الشَّرِّ فى خِلْطة الناس

*
* *

(١) كذا. ولعله يريد بالدواوين «المدونات».
(٢) هو أبو بكر احمد بن عمر بن عبد الخالق البزار، المتوفى بالرملة سنة ٢٩٢ هـ.
(٣) ولد سنة ٤٤١ هـ وتوفى سنة ٥١٨ هـ (بغية الملتمس ت ١٢٧٧).
(٤) فى النفح (٣ : ٢٧٩): «اضطراب». (٥) فى النفح: «طويل».
(٦) ولد سنة ٥٠٤ وتوفى سنة ٥٨٧ هـ (ابن الأبار ت ١٨٠٦) وابنه أبو محمد عبد الحق.
(٦) فقيه محدث ولد سنة ٤٦٢ هـ وتوفى بمالقة سنة ٥٤٩ هـ (بغية الملتمس ت ١٠٦٠).
(٧) فى النفح: «وأصبحت».

[157 A] وأنشدنى القاضى الفقيه أبو الحسن صالح [١] المذكور، قال: أنشدنا الفقيه القاضى أبو الحسن بن أَضْحى [٢]:

أَزِفَ الفِراقُ وفى الفؤاد كُلُومُ ... ودنا التَّرحُّل والحِمَامُ يَحُومُ

قُل للأحِبَّة كيفَ أنعمُ بعدَكم ... وأنا المُسافر [٣] والفؤادُ مُقيم

قالوا الوداعُ يَهيجُ منكَ صبابةً ... ويُشِيرُ ما هو فى الهوَى مكتوم

قلتُ آسمحوا لى أنْ أفوزَ بنَظْرة ... ودَعُوا القيامة بعد ذاكَ تَقوم

***

وحدثنى شيخنا المذكورُ آنفا قال: أخبرنا القاضى أبو بكرٍ بن العَربىّ [٤] وأملاه علىّ، قال: حدّثنا محمد بنُ عبد الملك التَّنّيسىّ الصُّوفى قال: خَرجنا مع شيخنا أبى الفَضل بن الجَوهرىّ بجُبّ [٥] عَميرة لتشييع الحَاجّ ووداعه على العادة، فبتنا مَعهم. وحين أصبحنا وأُثيرت الجمال وقَوضَ الناسُ للرحيل إذا بفتى شابّ حسن الوجه عليه شُحُوبٌ واصفرارٌ، وهو يُشيِّع / الهوَادج هودَجاً هودجا، حتى فنيت الهوادج [157 B] ومشى الحاجّ، وهو يقول أثناء تردّده عليها، ونظره إليها:

أحُجّاجَ بيت الله فى أىّ هودجٍ ... وفى أى خِدر من خُدوركمُ قَلبِى

أأبقَى رهينَ الجسم فى أرض غُربةٍ ... وحاديكمُ يحدُو بقَلْبى مع الرَّكب

---

(١) هو صالح بن عبد الملك بن سعيد الأوسى. وانظر ما سبق (ص ٢١٠).

(٢) انظر القلائد (ص ٢١٦) والنفح (٢ : ١٩٤ ؛ ٥ : ٢٩٦) والذخيرة و بغية الملتمس (ت١٥٤٩).

(٣) فى القلائد: «أسافر».

(٤) انظر الحاشية (٤ ص ٢١١).

(٥) ينسب الى عميرة بن تميم التجيبى كان قريبا من القاهرة، وكان يبرز اليه الحاج والعساكر. (ياقوت).

فَوا أسفَا لم أَقْضِ منكم لُبَـانتى　　ولم أتمتَّع بالجِـوار وبِالقُـرْب

وفُرِّقَ بينى فى الرّحيل وبَينـكم　　فهأنذا أَقْضى على إثركم نَحْبِى

فلمـا أكمل الحاجُّ السَّيْرَ ويئس ، ضَرب بنفسه إلى الأرض وجعل يقول :

خَلِّ دَمْع العين يَنهملُ　　بانَ من تهواهُ وارتحلُوا

أىُّ دَمْعٍ صانَهَ كَلِفٌ　　فهو يومَ البَيْنِ مُبتـذَل

ثم مال إلى الأرض ، فجئنا إليه فوجدناه ميتا .

*
* *

أبو الفضل بنُ الجوهرىّ ، هذا مصرىٌّ ، كان يسكن القرافة ، واسمه عبد الله ابن حسين ، أسماه الإمامُ أبو بكرِ بن عطية[1] . وهو واعظ جليل ، وفقيه نَبيه ونَبيل. رَوى عنه من العلماء : أبو مروانَ عبدُ الملك بن زيادة الله/ الطُّبْنى[2] ، وأبو عبد الله [158 A] محمّدُ بنُ أبى نصرٍ الُحميدىُّ[3] ، وغيرهما . وذكَرَه الأميرُ أبو نصر بن ماكولا[4] فى كتاب الإكمال له وأثنَى عليه وقال : « روى عنه الحميدىُّ » .

*
* *

(١) هو أبو بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب . ولد سنة ٤٣١ وتوفى سنة ٥١٨ هـ (بغية الملتمس ١٢٧٧) .

(٢) من أهل الحديث والأدب . رحل إلى المشرق غير مرة ومات بقرطبة سنة ٤٥٦ هـ ومولده سنة ٣٩٦ هـ (بغية الملتمس ت ١٠٦٥) .

(٣) صاحب جذوة المقتبس (وانظر الحاشية ١ ص ٥) .

(٤) هو أبو النصر على بن هبه الله على بن جعفر توفى سنة ٤٨٦ هـ . وكتابه « الإكمال » هذا ذيل على المختلف والمؤتلف فى أسماء الرجال لأبى الحسن على بن عمر الدارقطنى .

وصاحبُ لواءِ العربية ، وذُو الأنساب السَّرية :

أبو محمد القاسم بن عبد الرحمن

ابنِ القاسم بن مَسْعَدة بن عبد الرحمن بن القاسم بن عثمان بن إسماعيل بن عثمان بن مطرف بن دَحْمان بن الغَمَر بن مَرْغَم بن ذُبيان بن فتوح بن نصر الأوسيّ ، من أهل مدينة مالَقة ، وأصله من وادى الحِجارة[١] ، وجدُّه ملكها ، والدَّحْم ، فى اللغة : الدفع ، وبه سُمى الرجل دَحْمان . قاله كُراع[٢] وغيرُه .

لقيتُه بمدينة مالقة فسمعتُ عليه وأجاز لى ولأخى الحافظ أبى عمرو بخطه . وأخبرنى أن مولدَه سنة خمسٍ وثمانينَ وأربعمائة ببلنسية ، عام حصار القَنْبيطور[٣] لها . وتُوفى رضى الله عنه بمالَقة وله اثنتان / وتسعون سنة ، يوم الاثنين بعد [158 B] صلاة العصر ، وهو الثانى من ذِى القعدة ، وآخر يوم من آذار ، سنة خمس وسبعين وخمسمائة . ودُفن يوم الثلاثاء بعد صلاة العصر بمَقْبُرة من الشَّريعة بخارج مالَقة . وصلّى عليه على شَفير قبره أخوه الفقيه أبو عبد الله محمَّد ، وكان رحمه الله إمام أهل زمانه فى الحَرف والفِعل والاسم ، والحدِّ والرَّسْم ، والتنكير والتعريف ، والصَّرف والتصريف . ويذهبُ كلَّ مذهب فى التَّعليل . ويُفضِّل رأى عمرٍو أبى

---

[١] وادى الحجارة بلد بالأندلس (ياقوت) .

[٢] هو على بن الحسن الهنائى ، المعروف بكراع النمل . من أهل مصر . وكان نحويا كوفيا . توفى بعد سنة ٣١٧ هـ . (انظر بغية الوعاة) .

[٣] هكذا درجت المراجع العربية على تسمية Campeador, Campidoctus ومعناها : القائد الكبير ، باسم القنبيطور .

بشر، والخليل[١] . وإذا وقع فى وادى الشعر والقريض، فذو لسان طويل وباع عريض . ثم رأى أن الحـديثَ والفقه ثمرةُ المعارف،وعارفةُ العوارف ؛ فأكثر منهما وأفرط ، واستقصر نفسه عن اشتغاله بغيرهما وفرط؛ مع أنه لم تعرف له قطُّ فى شَبيبته صَبوةٌ ، ولا اتخذ أهلًا ولا سُمعت عنه هَفوة . وانفرد فى آخر عمره لإقراء القرآن والقِيام به ، واجتهد فى العبادة ،/ليله راكعا وساجدا . وسأل الله [156 A] الكريم فى جنح الظلام متهجِّدا لا هاجدا[٢] ؛ إلى أن مات على أحسن أحواله، مقدما لصالح أعماله . وهو شيخُ شيخِنا الأستاذ النحوى، أبى القاسم السهيلى[٣] ؛ قَرأ كتاب سيبويه قراءة تفقُّه وإتقان ، وبحث وبيان؛ على نحوىّ أهل زمانه ، أبى الحُسـين بن الطَّراوة[٤] ، واختَصّ به . ولقى الخطيبَ المِصقع أبَا الفتح سَعْدُون بن مَسعودٍ المُرادىّ[٥] ، فروى عنه جميع رواياته وتَواليفه ؛ والأستاذَ اللغوىَّ النحوىَّ أبا عبـد الله محمد بن سليمان، المُشتهر بابن أخت غانم[٦] ؛ وقرأ القرآن العظيم علىَ الأستاذ أبى علىّ المغراوى[٧] المتصدِّر بجامع مالقة . روى بهـا عن أبى مَعشر الطَّبرى[٨] ؛ ولقى الفقيه أبا عبد الله ابن الأديب ، والقاضى المتقن

---

(١) هو سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر ، توفى سنة ١٨٠ هـ . والخليل ، هو الخليل بن أحمد المتوفى سنة ١٧٥ هـ : على خلاف فى ذلك .

(٢) المتهجد : المستيقظ للصلاة وغيرها . والهاجد : النائم .

(٣) انظر الحاشية (١ ص ٩٢) .

(٤) سبقت ترجمته (ص ٢١٢) .

(٥) فقيه محدث ترجم له الضبى فى (بغية الملتمس ت ٨٣٠) .

(٦) سبقت ترجمته (الحاشية ٥ ص ٢١٢) .

(٧) هو منصور الأحدب (انظر الحاشية ٣ ص ٢١٢) .

(٨) هو عبد الصمد بن عبد الرحيم الطبرى .

أبا محمد الوَحيدىّ[١] . وأجاز له الأئمةُ العلماءُ : أبو بَحْرٍ سفيانُ بنُ العاصى[٢] ، والقاضى الشهيدُ / أبو عبدِ الله بنُ الحاج[٣] ، والفقيهُ أبو الحسن بن مُغيث ، [159 B] والإمامُ العالم أبو القاسم بن ورد[٤] ، والعالم أبو جعفرٍ بنُ باقٍ السرقسطى ، نزيل مدينة فاس ، والأديب أبو عبد الله جعفر محمد بن مكّى[٥] ، والقاضى الأديبُ الكاتبُ الخطيبُ أبو الفضل جعفرُ بنُ محمدِ بنِ يوسف[٦] حفيدُ الأعلم النَّحوى ، أبى الحجّاج الشَّنتمرى[٧] . وأنشدنَا قال : أنشدنا الأستاذُ اللغوىُّ النحوىُّ ، أبو عبد الله محمَّدُ بنُ سليمان النَّفرِى[٨] ، قال : أنشدنى خالى اللغوى النحوى العالم الفقيه أبو غانم بن وليدٍ القُرشى[٩] المخزومى لنفسه :

صَيِّرْ فؤادك للمحبوب مَنزلةً ... سَمُّ الخِيَاطِ مَجالٌ للمحبَّيْنِ

ولا تُسامحْ بَغيضًا فى مُعاشرةٍ ... فقلّما تَسعُ الدُّنيا بَغيضَين

السَّمّ : ثُقب الإبرة

---

(١) هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن عمر ، فقيه محدث . ولد سنة ٤٥٦ هـ وتوفى سنة ٥٤٣ هـ (بغية الملتمس ت ٩٠٢) .

(٢) انظر الحاشية ٦ ص ٢٠٠ .

(٣) محمد بن أحمد بن خلف التجيبى قاضى الجماعة بقرطبة توفى سنة ٥٢٩ ومولده سنة ٤٥٨ (بغية الملتمس ت ٢٥) .

(٤) سبقت ترجمته فى الحاشية ١٠ ص ٢١١

(٥) انظر الحاشية ١ ص ٨ .

(٦) توفى سنة ٥٤٧ هـ (بغية الملتمس ٦٠٩) .

(٧) هو الاعلم يوسف بن سليمان بن عيسى ولد سنة ٤١٠ ومات سنة ٤٧٦ هـ (بغيه الوعاة) .

(٨) هو المعروف بابن أخت غانم وقد سبقت ترجمته ص ٢١٢

(٩) ترجم له الضبي فى بغية الملتمس (ت ١٢٨) .

[و] الفقيه أبو عبد الله محمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد يعرف :

بابن زرقون[١]

بتقْـديم الزاى المُعجمة على الراء المُهملة ، من أهل إشبيلية ، وقد/ تكلّمنا [160 A] على نَسبه ولقبه فى كتابنا المسمى بـ"وهَج الجمر فى تحريم الخمر" .

أجاز له الشيخ الفقيه أبو عَبد الله أحمـدُ بن محمد الخَوْلانىّ[٢] برغبة أبيه سـنة اثنتين وخمسمائة ، وهو العامُ الذى وُلِد فيه أبو عبد الله ، وآستجاز أيضًا له ولابنه أبى عبد الله القـاضىَ بإشبيلية العالم أبا عبد الله محمد بن شِبرين[٣]،والفقيهَ المفتى أبا محمدَّ بن عَتاب[٤] . ونَقله أبوه إلى حضرة مَرَّاكُش فلقى بهـا الفقيه الإمام أبا عِمران مُوسى بن أبى تَليدَ[٥] الشاطبى — إذكان حُمل إلى مراكش ، وأُخرج عن وطنه — فسمع عليه كتاب التَّقَصّى[٦]، فأكثرَ كتابِ السنن لأبى داود،وأجاز له جميع ما رواه. ثم تجوّل بالأندلس ولزم الَوزيرَ الفقيهَ الكاتبَ أبا محمد [بن] عَبْدون[٧] [وقرأ] عليـه كثيرا من روايته وتصانيفه ومنظومه ومنثوره ، وكان أشعر أهل الأندلس وأكتبهم . ولزم الوزير أبا محمد بن القَبْطرنه وإخوته[٨] . ثم رجـع من بَطَلْيَوس [160 B] إلى إشبيليه ، فقرأ على القاضى الخطيب بجامعها ، أسـتاذ المقرئين أبى الحسن

(١) ولى قضاء سبتة . ومن تصانيفه : كتاب الأنوار . وجمع أيضا بين مصنفى الترمذى وسنن أبى داود . توفى بأشبابية سنة ٥٨٦ ومولده سنة ٥٠١ هـ (ابن الآبار ت ٨٢٤ وبغية الملتمس ت ١٣٨) .

(٢) ترجم له الضبي فى البغية (ت ٣٦١) . (٣) ولد سنة ٤١٨ وتوفى ٥٠٨ هـ (بغية الملتمس ت ٣٥٧).

(٤) أنظر الحاشية (٥ ص ٢٠٠) . (٥) انظر الحاشية (٢ ص ١١٢) .

(٦) كتاب للحافظ ابى عمر بن عبد البر يوسف على حديث الموطأ . (٧) انظر (ص ٢٢ ، ١٨٠) .

(٨) أنظر (ص ١٨٦) .

شريح بن محمد الرعيني[١]، وعلى الفقيه القاضي العالم اللغويّ النحويّ أبي محمد عبد الله ابن الوحيدي[٢]. ثم لزم القاضيَ أبا الفضلِ عياضَ بنَ موسى[٣] مدّةً مديدةً، وأعواماً عديدة، وكان فقيهَ الدَّرس والنّفس، وإن كان حَكى عنه ابنُ خاقان في "قلائده"[٣] أنه كان يحضر مجالس الأنس. فالتوبة بإجماع محّاءةٌ للذنوب، مُذهبةٌ للجُون والعيوب. وقد استُصلح في كَبْرَته للقضاء وقَضى، ولم يقض إلا وهو عَدْل رِضى.

فمّا أنشدنيه لنفسه، وكتبتُه من خطه:

ذَكر العهـدَ والدّيارَ غريبُ	فجرَى دمعُـه ولجَّ النّحيبُ
إذ صفاءُ الوِداد غيرُ[٤] مَشُوب	بتَجنٍّ، وودُّنا مَشْـبوب
وإذِ الدهـر دَهْرُنا وإذ الدا	رُ قريب وإذ يقول الرّقيب
وقيَان الأوتار تُسعدها الأط	يار والروض زاهرٌ مَهْضُوب[٥]
ووِشَاحي مَعَاصمٌ لـوتِ الشَّو	ق علينا وظاهرتْها القلوب
وفِراشي بَطْنٌ وصَدْر ونَهْدٌ	وعليها منِّي رَفيـقٌ طبيب
واللَّمَا والرُّضابُ كأسي وخَمْري	حبّذَا الكأسُ حبّذَا المَشْروب
وحِمَى الأُزْر لِي مُبَاحٌ وحُكْمِي	نافِذٌ فيـه والفعالُ ضُروب

[161 A]

---

(١) انظر (ص ٦٢). (٢) أنظر الحاشية (١ ص ٢١٨).

(٣) فقيه أديب. له تآليف كثيرة منها كتاب الالماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع توفي سنة ٥٤٤ ه بمراكش وكان مولده سنة ٤٧٦ (بغية الملتمس ت ١٢٦٩).

(٣) ليس ثمة ترجمة لابن زرقون في القلائد المطبوعة. ولكن الفتح ذكر عنه عند حديثه عن المتوكل بن الأفطس (ص ٤٠) شيئا عن حضوره مجلس أنس.

(٤) في الأصل: «دون» وما اثبتنا عن النفح (٥ : ٢٣).

(٥) مهضوب: ممطور.

وإذا ما الحِمَى أغارَ عليـــه حاذقُ الطَّعن فالحِمَى منْهوبُ
أســأَلُ الله عَفــوَهُ فلئن سا ءَ مقالى لقد تَعفُّ الغيوب
قد يَنَـال الفَتى الصـغائر طرفا لا ســواها وللـذُّنوب ذَبُوب[١]
وأخو الشِّــعر لا جُنـاح عليه وسَــواءٌ صَدُوقه والـكَذوب

وأنشدنى ، وكتبتُه من خَطّه ، يخاطب امرأة :

يانُورَ نَفْسِىَ حقُّ الضَّيف مُفترضٌ وأنتِ من قَومٍ صِدقٍ ظاهِرِى الكَرِم
مرّتْ ليـالٍ علينا فى جِــوارِكمُ ونحن فى جَفْــوةٍ أفضتْ إلى سَقَم
إن قلت تُبتُ ، فما كانتْ مُفاحشةٌ وأيــن منك مَقـالُ الله فى اللَّمَمِ[٢]
/ أوكان نُسكٌ فما ذو النُّسك فى سَعةٍ أن يَسْتحِلَّ[٣] — وقاكِ اللهُ — سَفْكَ دَمِى [161 B]

وقد تكلّمنا على هذه الأشعار ، ومن انتقدها عليه من العلماء الكبار ، واعتذرنا عنها بأبلغ الاعتذار ، وذلك فى كتاب « وهج الجمر فى تحريم الخمر » .

وشاهدناه فى آخر عمره قــد اتّخذ المسجد الجامع دارًا ، والتفت إلى رواياته وتَواليفه فَروى صغارًا وكبارا . قرأتُ عليه كثيرا وسمعت ، وأجاز لى ولأخى الحافظ أبى عمرو جميع رواياته ومجموعاته . وتُوفى رحمه الله على أحسن حالاته ببلدة إشبيلية سنة ستٍّ وثمانينَ وخمسمائة ، وله أربع وثمانون سنة . وخلّف أموالا عظيمةً ، وكتباً فى كل فن كريمة ، وكان له ولد يُكْنى أبا الحُسين ، وكان سُخْنَةَ عين[٤] ، فأساء ذكْره ، ولم يتَّبع حَسَنه ، فأمر صاحبُ المغرب أن يُصفَّد فى الحديد ، وأن يُلْق

---

(١) الطرف : إصابة أطراف الشىء . يريد : يكاد يلم بالذنوب ولا يقربها . وذبوب : من الذب ، وهو الدفع . والذى فى الأصل : « ظرفا . . . ذنوب » .

(٢) يشير إلى قوله تعالى فى سورة النجم : « الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم » .

(٣) أى لا يحل لذى النسك سفك دمى . والذى فى الأصل : « فاذا . . . أن تستحلى » (٤) سخنة العين : نقيض قرتها .

فى عُنقه ما يتّصل بحَبْل الوريد ، وحُمل إلى السجن الذى بباب حميدة ، على حالة مذمومةٍ / بكلّ لسان غيرِ حَميدة ، ثمّ أُحضر فى موطن جرتْ العادة فيــه بضرب رقاب أهل الظّلم والعُدوان، وهو يَخْجل فى قُيوده و يضطربُ اضطراب الخَيْزُران، ثم أمر بإطلاقه بعـد هَوان ، وخَوفٍ غَلب على أمان . ثم أمر بإحضار كُتبه وهى التى وَرثها من أبيه ، وكانت تقاوِم[1] مالاً جسيًا وتُساويه ، فى كل صنف تشتمل عليه من الرأى وفيه ، فأُوردت النار و بأس الوردُ المَوْرود ، فأُحرقتْ فَسُمع للنار تَسَعْسُع[2] ورُئى لها وَقود ، واحترق الكاغَد وآنزوت[3] الجلود ، وذلك يوم يؤرَّخ به مشهود . [162 A]

*
* *

أنشدنى الفقيه أبو عبد الله محمد بن سعيد بن زرقون، قال : أنشدنا الفقيه المفتى أبو عِمْرانَ مُوسى بنُ عبـد الرحمن بنِ أبى تَليد[4] شيخُنا لنفسه :

حَالِى مع الدَّهر فى تَقلُّبــه كطـائرٍ ضَمَّ رجـلَه شَرَكُ

فهمُّه فى فَـكاك مُهْجتِــه يَرُوم تَخليصَهـا فتَشْـتبكُ

وأصل «الَّلم» فى اللغة: الهَمُّ بالخطيئة من جهةمُقاربتها ، وحديثُ/النفس بهـا من غير مُواقعتها . [162 B]

---

(١) تقاوم : تعادل وتساوى (٢) كذا فى الأصل . والتسعسع : الاضطراب من الكبر . و بالغين المعجمة : صوت الطعن وتحريك الجام فى الفم . وظاهر أن الاثنين غير مرادين هنا .

(٣) انزوت : تقبضت . (٤) انظر الحاشية ٢ (ص ١١٢) .

ثَبت فى الصحيحين عن عبد الله بن عبّاس قال : ما رأيتُ شيئاً أشبه باللّمم ممـا قال أبو هُريرة : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كُتب على ابن آدم حظُّه من الزّنا ، أدرك ذلك لا محالَةَ ، فزِنا العين النظر ، وزنا اللسان النّطق ، والنَّفس تَمَنَّى وتشتهى ، والفرْج يصدّق ذلك أو يكذبه .

ولهـا طرق فى الصحيحين ، منها : كتب الله على ابن آدم حظه من الزنا ، فأخبر صلى الله عليه وسلم أنّ العين نظرها زنا إذا نظرتْ إلى من لا يَحِلّ لهـا النظرُ إليـه من النساء ، وأنها تُوَصِّل ذلك إلى النفس ، فتتمنّى النفس وتشتهى ما رأت العين ، فيكون داعيـاً الى الفرْج الذى هو يكذب الفعل أو يصدقه . وقد تكلمنا عليه فى المجلدة الخامسة من كتاب "العلم المشهور، فى فوائد فضل الأيام والشهور" .

***

أنشدنى الفقيه المحدّثُ المتقن أبو القاسم أحمـدُ بنُ يوسفَ بنِ عبـد العزيز ابن محمّد بن رُشْدٍ القيسى، قال: أنشدنا أبو بَحر/سُفيان بن العاصى[٢] الأسدىّ قال: ، [163 A] أنشدنا الإمام العالم الأوحد القاضى أبو الوليـد هشامُ بنُ أحمدَ بنِ [هشام بن][١] خالد بن سعيد الـكنانى يعرف بالوَقَّشى: ووقّش: قرية بخارج طُلَيطلة ، بينها و بينها اثنا عشر ميـلا . وأبو الوليد الوَقَّشى أحد رجال الكمال فى وقته ، باحتوائه على فنُون المعـارف ، وجمعه لكليّات العلوم ، وهو من أعلم الناس بالنحو واللغة ، ومعانى الأشعار وعلم العروض وصناعة البلاغة . وهو بليغٌ مجيد شاعر ، متقدم حافظ للسنن وأسماء نَقَلة الأخبار ، بصيرٌ بأصولِ الاعتقادات ، وأصول الفقه ،

(١) التكلة من الروض المعطار (ص ١٩٦) عند الحديث على « وقش » .
(٢) انظر الحاشية (٦ص ٢٠٠) .

واقف على كثير من فَتاوى الأمصار ، نافذٌ فى علم الشُّروط والفرائض ، محقّق لعلم الحساب والهندسة ، مشرفٌ على جميع آراء الحكماء ، حَسَنُ النقد للمذاهب، ثاقب الذهن فى تمييز الصـــواب ، ويجمع إلى ذلك آداب الأخلاق مع حسن المعاشَرة ، ولِين الـكَنَف وصِـدْق اللَّهجة . وتُوفى رضى الله عنـه فى دار خال

[163 B] أبى الإمام العالم/الحسيب أبى بكرٍ عَتيق بنِ محمد بن عبد الحميد[١] بدانية، يَوم الاثنين، ودُفن يوم الثلاثاء لليلة بقيت لجمادى الآخرة من ســنة تسع وثمانين وأربعمائة . ومولده سنة ثمــان وأربعمائة .

قال الإمام أبو بَحرٍ ، وكان مختَصًّا به،ويقدّمه على جميع من لقى من شيوخه ، أنشدنا لنفسه :

قد بَيَّنتْ فيــه الطبيعةُ أنهــا   ببَديع أفعــال المُهيْمن ماهرَهْ

عُنيت بمبسَــمِه فخطَّت فوقــه   بالمِســك خَطًّا من مُحيط الدَّائرهْ

. . .

وهذا شعر وهندسة .

وأنشدنا الفقيهُ الإمامُ المحدّثُ الأصوليُّ النّحويُّ اللغوى أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم بن عبـد الله بن باديس بن القائد الحمزى — ينسب إلى حَمزة[٢]. الشَّرق،على مقرَبة من أَشير[٣]،سُميتْ بحمزة بن الحسن بن سُليمان بنِ الحسين بن على

(١) من أهل دانية ، تولى الصلاة والخطبة بجامعها . وكان راوية للعلم ثقة فيما رواه . (الصلة ت ٩٦٧) .

(٢) مدينة بالمغرب . قال البكرى تخرج من مدينة أشير الى شعبة ومنها الى مضيق بين جبلين ثم تفضى الى لخص أفيح ، ومن هذا الموضع تحمل إلى الآفاق ، وهناك مدينة « تسمى حمزة » (ياقوت) .

(٣) أشير : مدينة فى جبال البربر بالمغرب فى طرف إفريقية الغربى مقابل بجانة فى البر . (ياقوت) .

ابن الحسن بن على بن أبى طالب عليهم السلام ، وهو الذى أسسها وبناها . وكان للحسن بن سليمان ، وهو الذى دخل المغرب ، من البنين : حمزة هذا ، وعبد الله ، وإبراهيم ، وأحمد ، ومحمد ، والقاسم ، وكلهم أعقب — مولد شيخنا / بمدينة المَرِيَّة سنة خمس وخمسمائة [164 A] وتوفى رحمه الله بمدينة فاس ، يوم الجمعة بعد الصلاة ، فى أول وقت العصر السادس من شوال سنة تسع وستين وخمسمائة ، وهو يتلو سورة الإخلاص ، يكررها بسرعة . ثم تَشَهَّد ثلاثَ مرات وسقط على وجهه ساجدا ، فرُفِع ميتا ، وذلك بعد خروجه من الحمام وحَلْق رأسه ، واستحداده[1] واستعداده للقاء ربه ، جلّت قدرته .

قرأ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتقنه على أبى جعفر بن عَزْلون صاحب القاضى أبى الوليد الباجى[2] ، وعلى القاضى الإمام أبى القاسم ابن ورد[3] ، وروى صحيح مسلم عن أبى عبد الله بن زغيبة الكلابى[4] يرويه عن العُذرى[5] . ورحل إلى شرق الأندلس للقاء الأستاذ العالم إمام النحو والآداب ، والشارح للحديث والفقه والأصول والأنساب ، أبى محمد عبد الله بن محمد بن السِّيد البطليوسى[6] ، فقرأ عليه كتاب التَّنبيه[7] على الأسباب / الموجبة لاختلاف الأمة ، [164 B] وهو كتاب حسن .

---

(١) الاستحداد : حلق العانة . (٢) انظر الحاشية (٤ ص ١٤) . (٣) انظر الحاشية (١٠ ص ٢١١) .

(٤) هو محمد بن عبد العزيز بن زغيبة من أهل المرية ، كان فقيها مفتيا . ولد سنة ٤٤٥ وتوفى سنة ٥٢٨ هـ (معجم الصدفى ت ١٠٠ . وبغية الملتمس ت ٢٠٥) .

(٥) هو أبو العباس العذرى . (٦) انظر الحاشية رقم (٢ ص ٣٤) .

(٧) فى كشف الظنون : « التنبيه على الأسباب الموجبة للخلاف بين المسلمين » .

وأنشدنا[١] شيخنا هذا الفقيه أبو إسحاق إبراهيمُ بن يوسف الحمزى ، يعرف بابن قرقول/فى سَفْرة صحبتُه فيها سنةَ أربعٍ وستين وخمسمائة ، وأجاز لى جميع رواياته قال : أنشدنا الأستاذ النحوى أبو محمد بن السِّيد[٢] لنفسه :

أخُو العِلْم حىٌّ خالدٌ بعد مَوْته ... وأوصالُه تحتَ التُّرابِ رميمُ

وذُو الجهل مَيْتٌ وهو ماشٍ على الثَّرى ... يُظَنُّ من الأحْياء وهو عَديمُ

وشيوخ شيخنا جملة عديدة ، وتَصانيفه مُتقنة مُفيدة .

*
* *

وممن لقيتُ بحضرة مَرّاكش الوزير الكاتب :

أبو عبد الله الشّاطبىّ

وكان فرداً فى الكِتَابة والشعر والخطَابة ، فمن شعره :

متى وعدْتُك فى تَرْك الصِّبا عِدَةً ... فاشْهدْ على عِدَتى بالزُّور والكَذِبِ

أمَا تَرى اللَّيلَ قد ولَّتْ عساكُره ... وأقبلَ الصُّبحُ فى جَيْشٍ له لَجِب

وجدَّ فى أثَرِ الجَوْزاء يَطْلُبها ... فى الجوّ رَكْضَ هلالٍ دائِم الطَّلب

[165 A] كصَوْلجانِ لُجَين فى يَدَىْ مَلِكٍ ... أدناهُ من كُرةٍ صِيغت من الذّهب[٣]

فقُم بنا نَصطبح صَفْراءَ صافيةً ... كالنّار لكنَّها نارٌ بلا لَهَب

---

(١) انظر (ص ٢٢٤)   (٢) انظر الحاشية ٢ (ص ٣٤)

(٣) أدناه ، أى قربه من هذه الكرة ، التى هى الجوزاء .

وله :

آنْظر إلى البَدر الذى لاحَ لكْ	فى وسَط اللُّجَّة تحت الحَلَكْ
قد جَعَــلَ البحرَ سمــاءً له	واتّخذ الفُــلكَ مكانَ الفَــلكْ

وله أيضا وقد لَسَبَتْ بعضَ سادات المغرب عُقَيْرِبٌ ، فقال وأجاد المَقال :

هَجر الشَّولَةَ قلبُ العقــرِب	وجَفاها بالمَكانِ الأقرب[1]
ثم قالَت أنجُــمُ الأُفْق لهــا	أنتِ منّــا كالبَعِــيرِ الأجرب
لك أختٌ فى الثّرى قد لَسَبَت	سـيّدًا من خَيرِ أهلِ المغرب
فأجابَتْهــا وقالت إنّمــا	غِرت من أَخْمَصه إذ مرّ بي
يَبتغى عنــد النُّعامَى مَوردًا	قَد دعاهُ منه عَذْبَ المشرب[2]
فتغيّظتُ عليــه غَيْرةً	قلتُ للأُخت بهــا ويكِ آضْرِبى
/ يا سَريًّا قد شكا أَخْمَصه	حُمَــةً مسّتْ نفوسَ العَــرب
ليتهــا فى مُقْلتِى أو كَبِدِى	لَسَبَتْ إبرةُ تلك العقرب
تمنّى النَّعْلُ لو سِيقت لهــا	من قُرَى الطّائف أو من يَثْرِب

[165 B]

قال علماء اللغة : لَسَبته العقربُ ولَسَعته ، والاختيار أن يقال لكل مايضرب بفيه : لدغ ؛ ولكل ضارب بمؤخره : لسع ، ولكل قابضٍ بأسنانه : نَهَشَ . يقال : نَهَشَته الحيّة ، بالشّين ؛ ونَهَسَتْه ، بالسّين ، ونكَزَته ، ونَشَطته ، ولَسَعته . فالنّكز : بأنفها ؛ والنّشط : بأنيابها .

---

(١) الشولة : إحدى منازل القمر فى برج العقرب ، وهى كوكبان نيران متقابلان ينزلها القمر . والعقرب : برج من بروج السماء . له من المنازل : الشولة والقلب والزبانى .

(٢) النعامى : من أسماء ريح الجنوب ؛ لأنها أبل الرياح وأرطبها .

والرّياح أربعٌ من أربع نواحِى العالم : الشَّمالُ بفتح الشّين ، وفيها ستّ لغات. ذكرها الإمام أبو بكر بن الأنبارى فى شرح المعلّقات له : شَمال، بإثبات الألف من غير همزة ؛ وشمأل ، بإثبات همزة بعد الميم؛ وشأمل ، بإثبات همزة قبل الميم ؛ وشَمَل ، [166 A] / بفتح الشين والميم من غير إثبات ألف ولا همزة ؛ وشَمْل ، بفتح الشين وإسكان الميم ؛ وشَمول ، بإثبات الواو . وقد احتج ابن الأنبارى لها بشواهد كثيرة . وهى التى تجرى على يمينك إذا استقبلتَ قِبلة العراق ، وهى فى الصيف حارّة ، واسمها البارح ، والجمع البوارح ؛ والجنوب تقابلها . والصَّبا من مطلع الشمس، وهى القَبُول ؛ والدَّبور تقابلها ، وهى التى تهبّ من دُبر الكعبة ، وفيها خشونة وشدّة ، وهى تمحو السّحاب وتُثير العجاج . ويقال للصّبا : أَيْرٌ ، وهَيْرٌ[1] ، وأَيُرٌ، وهَيِّرٌ ، على مثال فيعل . ويقال للشّمال : مَحْوة ، غير مصروفة ؛ وللجنوب : النُّعامى والأزْيَب. شَمَلت الرّيح ، إذا صارت شَمَالا ؛ ودَبَرت ، إذا صادت دَبُورا ؛ وجَنَبت ، إذا صارت جَنُوبا ؛ وصَبَت ، إذا صارت صَبًا ؛ كل ذلك بغير ألف . ويقال : أَشمل القوم ، وأَجْنَبوا ، وأَصْبوا ، إذا دخلوا فى الشَّمال والجَنوب والصَّبا .

فالشَّمال ، هى الرّيح الشاميّة . والجَنوب ، هى الرّيح اليمـانيَّة ، وتسمّى النُّعامى والأزْيَب ، كما قدّمناه . وهى تهبّ من ناحية سُهيل . [166 B] /والصّبا : هى الرّيح الشرقية . ويقال لها : القبول ، تَهُبّ من مطلع الشمس . والدّبور : هى الرّيح الغربية ، يابسة جافية ، ليس فيها نُدُوَّةٌ . وأفضل هـذه الرّياح فى جميع الأزمان ريح الصَّبا ،

---

(١) بفتح الهمزة والهاء وكسرهما .

لهـا نَسيم ورَوْح ، وتَشويق إلى الأحباب والأوطان ، وجلاء للهُموم والأحزان ، وبها نَصر الله العظيم سـيّد أهل الإيمـان . ثبت باتفاق أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال : «نُصرت بالصَّبا ، وأُهلِكَتْ عادٌ بالدَّبُور» . وقال امرؤُ القيس :

إذا قَامتَا تَضَوَّع المسكُ منهما نَسِيمَ الصَّبا جاءَتْ بريَّا القَرَنْفُلِ

/ تضوّع ، أى فاح متفرقا . ونسيمُ الصّبا : تنسُّمها وهُبوبها بضُعْف . وريّا القَرنفل : [167 A] رائحته . ونَصب « نسيمَ الصّبا » لأنه قام مقام نعت لمصدر محذوف ، والتقدير : إذا قامتـا تضوَّع المسك منهما تضوُّعاً مثل [تَضَوُّع] نسيم الصّبا . و « منهما » يعود على أُم الحُويرث ، وأم الرّباب . وقال الشّاعر :

ألا ياصَبَا نَجْدٍ متى هِجْت من نَجد فقد زَادَنِي مَسراك وجداً على وجْد

وقال الآخر، وهو المجنون :

أيا جَبلى نَعمانَ بالله خلِّيَـا سَبيل الصَّبا يَخْلُص إلىّ نسيمُها
فإن الصّبا ريحٌ إذا ما تنسَّمت على نفسِ مَحزونٍ تجلَّت هُمومها
أجِدْ بَرْدَها أو تَشْف منى حرارةً على كَبِدٍ لم يَبْق إلا صَمِيمها

∴

[167 B] الأستاذ المحدّث الفقيه النحويّ الأصوليّ :

أبو القاسم السهيلي

أبو زيدٍ عبدُ الرحمن بنُ عبد الله بنِ أحمدَ بنِ أبي الحسَن ، واسمه : أَصبغُ بن حُسين بن سعدون بن رِضوان بن فَتُّوح ، وهو الدّاخل للأندلس . هكذا أملى علَيّ نَسَبه ، وقال : إنّه من ولد أبي رُوَيحة الخَثْعمى الذى عَقد له رسول الله صلى الله عليه وسلّم لواء عام الفتح ، ذكره أهل السِّير .

نشأ بمالَقة ، وبها تَعرّف ، وفى أكنافها تصرّف ، حتى بزغت فى البلاغة شَمسُه ، ونزعت به إلى مطامح الهمم [نفسُه] . أَخبرنى أنه قرأ القرآن العظيم جمعًا وإفرادًا على المُقرئ الشّهير أبي علىّ الحُسينِ بنِ منصور بن الأحدب[1] ، رحمه الله ، ثمّ قرأه أيضا بالمَقْرأين: مقرأ نافع[2] ، وآبن كَثير[3] ، على الأستاذ المُقرئ أبي الحسن علىّ بن عيسى المَروِىّ[4] ، نزيل مالَقة . وقرأ الكتاب العزيز أيضا بالمَقارئ / الأربعة ، وشيئا [168 A] من العربيّة على المُقرئ النّحوى الزاهد الضرير أبي مَروان عبد الملك بن مُجير[5] ، وسَمع على الإمام أبي عبد الله محمد بن مَعْمر[6] . وسمع كتاب الهداية[7] لأبي العبّاس المهدوىّ على الشيخ الفقيه الأستاذ النحوىّ أبي عبد الله محمد بن سليمان[8] ، يعرف

(١) انظر الحاشية ٣ ص ٢١٢

(٢) هو نافع بن عبد الرحمن أبي نعيم المدنى ، أحد القراء السبعة . توفى سنة ١٦٩ هـ .

(٣) هو عبد الله بن كثير . أحد القراء السبعة . وكان قاضى الجماعة بمكة . توفى سنة ١٢٠ هـ .

(٤) نسبة الى «المرية» .

(٥) فى التكملة (ت ١٧١٥) : « محير » بالحاء . وهو عبد الله بن مجير بن محمد البكرى .

(٦) من أهل مالقة وقد ترجم له ابن الأبار (ت ٤٦٣) .

(٧) فى كشف الظنون : الهداية فى القراءة لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوى المتوفى بعد سنة ٤٣٠

(٨) انظر الحاشية ٥ (ص ٢١١) .

بابن أخت غانم. وقرأ المُوّطأ تفقّها وعَرضا ، ومُنتخب الأحكام لابن أبي زَمنين[١] على الفقيه المحدّث أبي محمد عبد الرشيد المالق . وسمع الموطّأ على خال أبيه الفقيه المحدّث الخطيب الظّاهري أبي الحسن علىّ بن عَيّاش . توفّى بصحراء قُدَيْد[٢] راجعاً من زيارة قبر المُصطفى صلّى الله عليه وسلّم . وقرأ النّحو على الأستاذ أبي الحُسين سليمان بن الطّراوة الشَّيباني ، فلما مات قرأ على الأستاذ النحوى الفقيه أبي محمد القاسم بن دحْمَان[٣] . ورَحل إلى قرطبة، فقرأ القرآن العظيم بالمقَارئ السبعة . / على المُقرئ أبي داودَ سُليمان بن يحيى بمُسجده بباب الجوز[٤] ، [168 B] وقال لى عنه : كان يَحمل أبي رحمهما الله . ثم قرأ الكتاب العزيز بالمقارئ الثلاثة بجامع قُرطبة على المقرئ بها ، الخطيب بجامعها ؛ أبي القاسم عبد الرحمن ابن رِضا[٥] ، وسَمع على الفقيه الحافظ أبي عبد الله محمد بن نَجاح[٦] الذهبي القرطبي ، وعلى الوزير الأديب أبي عبد الله جعفر بن محمّد بن مكّى[٧] . ثم رحل إلى إشبيلية ، فلزم القاضى الإمام أبا بكرٍ بنَ العَربىّ[٨] فأخذ عنه كثيرا من الحديث والأصول والتّفسير ، ثمّ سمع على المحدّث الجليل أبي بكرٍ محمد بن طاهرٍ القَيْسى

---

(١) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين . (بغية الملتمس ت ١٦٩) .

(٢) قرب مكة .

(٣) هو أبو القاسم بن عبد الرحمن بن دحمان . وقد ترجم له الضبي في بغية الملتمس (ت ١٣٠٧) .

(٤) كذا في نفح الطيب (٤ : ١٧) وأشير فيه إلى رواية أخرى وهى «الحور» قال المقرى : و يعرف بباب بطليوس . وفي الأصل : «الجوزى» .

(٥) فقيه محدث توفى سنة ٥٤٥ هـ (بغية الملتمس ت ٩٩٩)

(٦) فقيه متقدم في علم الأحكام ولد سنة ٤٥٥ وتوفى سنة ٥٣٢ هـ . (بغية الملتمس ت٢٩)

(٧) انظر الحاشية (١ ص ٨) .

(٨) انظر الحاشية (٤ ص ٢١١) .

الإشبيلي[١] جملةً من الحديث ، وسمع على القاضى أبي الحسن شُريح بن محمد ، ولزم الأستاذ الماهرَ النحويَّ أبا القاسم بن الرَّمَّاك[٢] فلقن عنه فوائد فى النّحو . وكان لقى قبله الأستاذ الإمامَ النّحويَّ الزّاهد ، أبا القاسم بن الأبرش[٣] ، فلقن عنه فوائد فى النّحو . وأجاز له المحدّث الرّاحل إلى مدينة السّلام أبو الحسنُ عبادُ بن سِرْحان[٤] والقاضى الإمام العالم الأوحد أبو القاسم / بنُ وَرْد ، إلى جماعة من العلماء والنُّحاة [169 A] والأدباء رحمهم الله جميعهم ، وجعل الرُّحْم خَدينهم وكَميعهم[٥] ؛ وكان رحمه الله أقام للتصريف وعِلَل النحو بُرهانا ، وتَيَّم ألبابا وأذهانا ؛ فترشّف من ماء العربيّة أَنِيَّ مُزْنه ، وتوطّأ من أكنافها كُل سَهله وحَزْنه ؛ وأفاض على الطَّلبة من سَجْله ، وجَلَب على النّحاة بخَيْله ورَجْله ؛ وتلقّى الرّاية باليَمين ، وحَوَى الغـايَةَ بالهزيل والسَّمين ؛ وكان ببلده يتسوَّغُ بالعَفاف ، ويتبلَّغ بالكفاف ؛ إلى أن وَصلتُ إليه ، وَصُحِّحَ « الرّوضُ الأنفُ »[٦] بين يديه فطلعتُ به إلى حَضرة مرّاكش فأوقفت الحضرةَ عليـه ؛ فأمروا بوُصوله إلى حضرتهم ، وبَذلوا له من مَراكبهم وخيامهم ونِعمتهم ؛ وقُوبل بمكارم الأخلاق ، وأَزال الله عنه عَلاَمَ[٧] الإملاق ؛ واستقبل بالجاه الجسيم ، والوجه الوسيم ؛ وفى كلّ يوم يُجنيهم من حديثـه أزهارا ، ويُقطفهم من مُلَحه آسًـا وَبهارا ؛ حتّى حسَدَه الطلبةُ وجرّدوا لِمَـلامه حُساما ،

---

(١) ترجم له الضبي فى بغية الملتمس (ت ١٥١) .

(٢) انظر الحاشية (٢ ص ٢٠٠) .

(٣) هو خلف بن يوسف الشنتريني توفى سنة ٥٣٢ هـ (بغية الملتمس ت ٧٢٢) .

(٤) من أهل شاطبة فقيه محدث وله تآليف . سكن العدوة واقرأ بالمرية وكان حيا إلى سنة ٥٠٤ (بغية الملتمس ت ١١١٩) .

(٥) الرحم : الرحمة ، والكميع : الضجيع .

(٦) هو الروض الأنف والمشرع الروى . فى تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة واحتوى . للسهيلى صاحب الترجمة » والكتاب مطبوع وسيأتى ذكره .

(٧) علام : جمع علامة .

وحدّدوا للكلام فُصولا / وأقساما ؛ وكان وُصوله إلى الحضرة والعُمر قد عسا[1] [169 B]
وذَبُل عُوده . وذَهب العيش وأَفَل سُعودُه ؛ فعندما عاش مات ، وهيهات من
الانقطاع لغير الله هيهات ؛ فتفرّد فى لَحْده ومِهاده ، وتوحّد فى نَجْده ووِهاده ؛
وتوسّد التراب والصَّفيح ، وتوهّد اليَباب والفِيح[2] ، ولسانُ حاله يُنشد ما أنشدنيه
غير واحد ، منهم شيخُنا الإمام المُقرئ النحوىّ الزاهد : أبو القاسم عبد الرّحمن
ابن غالب بن الشّرّاط ، قالوا : أنشدنا الأستاذ اللغوىّ النحوىّ أديبُ أهل زمانه ،
أبو الطاهر محمد بن يوسف التميمى[3] :

هأنذا فى التّراب وَحْدى فلا ظَهِيرٌ ولا نَصِيرُ
بالله هَبْ لى دُعاءَ صِدْقٍ يَسْمُو به باعِىَ القَصيرُ
أسرفتُ يارَبّ فى خطَايَا أنتَ بها عالمٌ بَصير
فامنُنْ بعفوٍ وجُد برُحْمَى إليكَ يا ربّىَ المَصير

وكان مُقامه بالحضرة نحواً من ثلاثة أعوام ، كأنّها أضغاث أحلام ، سألتُه
عن مولده ، فأخبرنى أنّه وُلد سنة ثمانٍ وخمسِمائة ، وتُوفّى رحمه الله بحَضْرة / مَرّاكُش [170 A]
يوم الخميس ، ودُفن ظُهرَه ، وهو اليوم السّادس والعشرون من شعبان عام
أحد وثمانين وخمسمائة . قرأت عليه وسمعتُ كثيرا من أماليه التى أملاها
فى معانى الكتاب العزيز وأنواره ، ودقائق النّحو وأسراره ، وغوامض علم الأصول

(١) عسا : جف .
(٢) الفيح : المواضع الواسعة ؛ الواحد : أفيح. يريد الصحراوات .
(٣) من أهل سرقسطة توفى سنة ٥٣٨ هـ . (الصلة ت ١١٧٥) .

وأغواره . وأنشدنى رحمه الله ، وذكر لى أنّه ما سأل [الله] بها حاجةً إلا أعطاه إيّاها ، وكذلك من استعمل إنشادها :

يا من يَرى ما فى الضمير ويسمَعُ　　أنت المُعَدُّ لكل ما يُتوقَّعُ
يا من يُرَجّى للشدائدِ كلّها　　يا مَن إليه المُشتكَى والمَفزَعُ
يا من خزائنُ رِزْقه فى قولِ كُن　　امنُنْ فإن الخيرَ عندك أجمع
مالى سِوَى فقرِى إليك وسيلةٌ　　فبالافتقارِ إليك فَقْرِى أدفع
مالى سوى قَرْعى لبابِك حيلةٌ　　فلئنْ رَدَدْتَ فأىَّ بابٍ أَقرع
ومَن الذى أدعُو وأَهْتِف باسمه　　إن كان فَضْلُكَ عن فقيرٍ يُمنع
حاشا لمجدِك أن تُقنِّط عاصيًا　　الفَضْلُ أجزلُ والمَواهبُ أوسع

[170 B] / أما رفعُ «أجمع» فى هذا البيت ، فيجوز أن يكون توكيدا لمكان «إنّ» الابتدائية ، إذ موضعها الابتداء ، وهى مؤكّدة للجملة ، لم تغيّر معناها وإن غيّرت لفظها . ألا تراهم قد عطفو على اسمِها بالرفع ، وهو اذا استوفت خبرها ، نحو : إن زيدًا قائم وعمرو ، وإذا لم تستوفِ خبرها فلا يُجيز البصريون ذلك . وذلك أنّك إذا قلت : إنك وزيدٌ قائمان ، وجب أن يكون «زيد» مرفوعا بالابتداء ، ويكون عاملا فى خبر زيد ، وإنّ عاملة فى خبر الكاف . ولا يجوز اجتماعُ عاملين على معمول واحد . وأما الكوفيّون فاختلفوا ، فذهب الكِسَائِىُّ إلى جواز ذلك مُطلقا ، سواء تبين عمل «إنَّ» أولم يتبيّن ، نحو : إن زيدًا وعمرو قائمان ، وإنّه وبكر منطلقان . واستدل بقوله جلّ وعلا : (إِنَّ الّذين آمَنُوا والّذِينَ هَادُوا والصَّابِئُون) فعطف

ورفع . وذهبَ الفرّاءُ إلى أنّه لا يجوزُ العطفُ إلا على ما لا يَبين فيه العمل ، / نحو: [171 A]
إنّك وزيدٌ ذاهبان ، لأنّه بعدم التّأثير ضَعُفت ، فجاز العطف كما لو كان على
المبتدأ . وإذا كان كذلك جاز أيضًا توكيد الموضع بالرفع ، والله أعلم .

* * *

وأنشدني أيضا يخاطب شيخَنا المحدِّثَ الفقيهَ اللغويَّ النحوي الأصولي
أبا إسحاقَ إبراهيمَ بنَ يُوسُف ، يعرف بابن قرقول[1] ، أيام كَوْنه بمدينة سَبْتة ، فلما
رَحل منها إلى سَلَا[2] ، قال مرتجلا :

ألَا فسَلَا عمّن عَهِدْتُ تحفِّيًا ... وهل نافعي إن قُلت من لَوعةٍ سَلَا
سَلا عن سَلا إن المَعارفَ والنُّهى ... بها فدعا أُمَّ الرَّباب ومَأْسَلَا[3]
بكَيتُ أسًى أزمانَ كان بسَبْتةٍ ... فكيف التّأسّي حين منزلُه سَلا
وقال أناسٌ إنّ في البُعد سَلْوةً ... وقد طال هذا البُعدُ والقَلبُ ماسلا
فليتَ أبا إسحاق إذ شطَّت النَّوى ... تَحيّتَه الحُسْنى مع الريح أرسلا
فعادت دَبُور الرِّيح عندىَ كالصَّبا ... لدَى عُمَرٍ إذ أمرُ زَيْدٍ تَبَسَّلا[4]

هذا البيت حكاية لأمير المؤمنين عُمر بن الخطاب / رضى الله عنه مع أخيه [171 B]
الشهيد[5] المهاجر ، وكان أسنّ من أخيه وأَسلم قبله ، وشهد بدراً والمَشاهد كلّها
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قُتل يوم اليمامة شهيدا .

فقد كان يُهدِيني الحديثَ مُوصَّلا ... فأصبح مَوْصولُ الأحاديث مُرْسلَا

---

(١) انظر (ص ٢٢٤ ، ٢٢٦) .
(٢) مدينة بأقصى المغرب (ياقوت) .
(٣) يشير الى بيت امرئ القيس فى معلقته :
كدأبك من أم الحويرث قبلها ... وجارتها أم الرباب بمأسل
(٤) تبسل : اشتد وقطع .
(٥) فى الأصل : « السيد » تحريف . وهو زيد بن الخطاب بن نفيل العدوى ، انظر الاستيعاب .

وقد كان يَحْيَا العِلْمِ إذ كان عندنا ... أوانَ دَنَا فالآن بالنأى كَسّلا

فلله أُمٌّ بالمريَّة أنجبَتْ ... به وأَبٌ ماذا من الخير أَنْسلا

وإنى إلى تلك المَوارِد عاطِشٌ ... وإنْ أَلبنَ القلبُ المشوقُ وأعْسَلا

أقمْتُ بشَرْقٍ والأَمانِى بمَغْرِبٍ ... فأصبحتُ فى كفِّ الصَّبابة مُنْسِلا[1]

فلو كنتُ من قَيْد الحوادث مُطْلَقا ... شَدَدْتُ له كُوراً وأَنْضيتُ عَنْسلا[2]

وأرقَلْتُ نحو المجد فالمجدُ عنده ... ولم أكُ فى التَّطْلاب مِمّن تَرَسّلا

العنسل : الناقة السّريعة .

وتصانيفه كثيرة ، فمذهبتها كتاب الرّوض الأنف ، والمشرع الرّوى ، فى تفسير ما اشتمل عليه حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم [واحتوى] ، سمعته عليه . / [172 A] وأنشدنى القصيدَ الذى صَنعه فيه ، الذى أوله :

من سرّه أن يُشِيمَ الطّرف من شَرفٍ ... فى رَوْضةٍ جَمّة الأزهار والطُّرفِ

فناظرُ القَلْب أولى أن يُنزّهه ... من المَعارف وسط الرّوضة الأُنُفِ

فقد أَلاَحَتْ[3] لذى لُبّ أزاهِرُها ... وقد دعَتْ لجَنَاها كَفَّ مُقْتطف

الأبيات إلى آخرها .

---

(١) أنسل الطائر : سقط ريشه . (٢) الكور : الرحل . (٣) فى الأصل : « ألحت » .

وأنشدنا رحمه الله وقد حَضر بين يديه طَعامٌ يُسَمَّى بالمغرب «المُجَبَّنات[١]»

شَغَفَ الفُؤَادَ نَواعِمٌ أبكارُ بَرَدَتْ فؤادَ الصّبِّ وهي حِرارُ
أذْكَى من المِسْك الفَتِيق لناشقٍ وألذُّ من صَهْباءَ حين تُدار
صَفَتِ البواطنُ والظَّواهرُ مثلُها لكنْ حكَت ألوانَها الأزهار
فكأنما صافِي اللُّجين قُلوبها وكأنما ألوانُهنّ نُضَار
عَجَبٌ لَها وهي النَّعيم تَصوغُها نارٌ ، وأين من النَّعيم النّار

وأملى عليّ «كتاب التعريف والإعلام، فيما أبهم في القرآن من الأسماء الأعلام»[٢] وسمعتُ عليه مسألة رؤية الله تعالى فى المنام ، / ورؤية النبي عليه أفضل الصلاة [172 B] وأشرف السّلام، وكلامَه فى حديث الأَمة السوداء ، وأين الله؟ قالت : فى السماء ، كيف سألها عن الأينيَّة ، ولم يسألها عن إثبات إلٰه ، فيقول لها : من الرّبّ ؟ وأملى عليّ السّرّ فى الأعور الدّجال ، وتفسير قول النّبيّ صلى الله عليه وسلم فى : (قل هو الله أحد) ، أنها تعدل ثلث القرآن . وكلامه على قول الله تعالى : (ومَا منْ دابةٍ فى الأرْض ، ولاَ طَائرٍ يَطير بِجنَاحَيْه) ، وكلامه على الله جلّ وعلا (يَتفيَّؤُ ظِلالُهُ عَنِ اليمِين وَالشَّمائِل) ، وكلامه على (سبحان الله) بإعرابها وشرحها . وأملى عليّ رحمه الله «كتاب نتائج الفكر[٣]» وهو من عجائب الدّهر. إلى غير ذلك من مسائله فى فنون العلم والنثر والنظم . وقد أجاز لى ولأخى الحافظ أبي عمرو جميع

(١) نوع من القطائف يضاف اليه الجبن و يقلى بالزيت . (النفح ١ : ١٧٢) .
(٢) الكتاب للسهيلى .
(٣) نتائج الفكر ، كتاب فى علل النحو . (كشف الظنون) .

[173 A] مرو ياته، ومسموعاته ومجموعاته، وقال لى يوما : ياعجبا للحريرىّ حيث يقول/ فى بيتيه :
قد أمنا أن يعزّزا بثالث . فقد جاء من عّززهما بثالث ورابع وخامس وسادس وسابع وثامن وتاسع وعاشر وحادى عشر وثانى عشر ، وأنشد بيتيه :

سِمْ سِمَةً تَحْسُن آثارُها　　واشكُرْ لمن أعطَى ولو سِمْسِمَهْ
والمكرَ مهما اسطَعْتَ لا تأْتِه　　لِتَقْتَنِي السؤددَ والمَكْرُمَهْ

والزّيادة على البيتين :

والمَهرَ مَهْرَ العُرس لا تُغْلِه　　فإنّه مهما غَلا مَهْـرمَهْ
مَن دَمَه صان لحِرْزِ التُّقى　　لم يَخْش من لَوْم ولا مَنْدمه
مَنْ عَمَهُ القَلْب له شِيمةٌ　　لم يَدْر ما بُؤسَى ولا مَنْعمه
أُب لُمَتِى إلى الرِّضا واقتسم　　مالِى معى إنْ شِئْت كالأُبْلُمه

أب : ارجع . ولُمة الرجل من على قدر[1] سنه ، والأُبْلمة : الخُوصة .

ما الكَمَةَ المجتثُّ أَعْراقُها　　إلا كأصل المُرتضِى مَلْكمَهْ

[173 B] الملكمة : مفعلة من الضرب ، يقول : لا يرتضيها / إلا من لا أصل له ، كالكمأة . والكَمَة : الكمأة ، سهّل همزتها ، فنقل حركتها إلى ما قبلها .

ما الحَمَةَ السّوداء إلّا الوَرَى　　فلِمْ ترَى بينهم مَلْحمه

(١) فى الأصل : « من علا سنه » . والتصويب والزيادة من كتب اللغة .

الحمَة هى الحمأة ، مسهّل الهمزة .

فالهَـيْنَ مَهـلًا لا تلُم هيّنـا   فى خَلْقه وٱحذر من الهينَمَهْ

الهيمنة : الـكلام الخفىّ .

والهذْرَ مَهْ دعه وكُن نَاطقًا   بالقَصد إنّ العَاب فى المَذْرمَهْ

هَذْرم فى كلامه : إذا خلط ، ويقال للتّخليط : الهَذرمة . والهذرمة ، أيضا : السرعة فى الـكلام والشيء . والعَاب : العَيْب

كَمْ كَمَهٍ ولم عمًى جَرّه   حُبُّ ذواتِ الخمْـرُ والـكَمْـكمه

الـكَمه(١) : هو الذى يُولد أعمى ، وقيل : هو الذى لا يُبصر فى الليل ، قاله البخارى فى التاريخ ، وخالفه الناس ، فقالوا : الأعشَى ، هو الذى لا يبصر بالليل ، وقيل : الـكَمه : هو ألاّ يرى شيئا .

/ وذوات الخمُر : النساء . والـكمكمة : من زىّ الحرائر ومَن لا يُمتهن من النساء . ورأى عمر بن الخطاب رضى الله عنـه أمة مُكَمكمة فضَربها بالدّرّة ، وقال : لا تَشبّهِينَ بالحرائر(٢) . [174 A]

وقد وجب أن أجعل لهذا الـكتاب نهايةً ينتهى إليها ، وغايةً يقف عنـدها ولا يزيد عليهـا ؛ فإنّ شعر مَن عاصرتُه من شعراء ذلك العصر ، يكاد يخرج عن

(١) هذا شرحه ، والسياق يقضى غيره . فالحديث عن الكمه ، وهو العمى ، الذى يولد به الإنسان . والوصف منه أكمه .

(٢) فى المثل : « تشبهين بالحرائر يا لكاع » .

حدّ الحصر ؛ كالفقيه الأديب الشاعر المُصيب ، أبي محمّدٍ عبد الله ابن الفقيه الأستاذ الأديب ؛ أبي عبدِ الله محمّدِ بنِ الفقيه الأستاذ اللغويّ النحويّ ، أبي محمد قاسم بن شقريق الرعيني ؛ أنشدني كثيرا من شعره ، واقتصر آخرا على تقريظ سيدنا أبي عبد الله الحسينِ عليه السلام ووصف مآثره ، ونظم جواهر مفاخره ؛ راغبا فى شفاعة جدّه،/سيّد ولد آدم صلى الله عليه وعلى آله من بعده ، [174 B]

سمعت الشيخَ الفقيه ، رأس العُدول بسَبْته ، أبا عبد الله ، محمدَ بن الحسن ابن عان، يقول : رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال لى : بَشِّر عبد الله ابن شقريق بالجنّة ، وأشار بإصبعه المقدّسة ، إلى وجهه الكريم ، فبعد أيّام قلائل ظهرت بوجهه بَثْرة صغيرة جدّا ، فلم تزل تعظُم حتى أتت على جميع وجهه . وتُوفى رحمه الله منها سنةَ إحدى وسبعين وخمسمائة ، وهو فى عشر الثمانين سنة ، وشهدتُ جنازته .

ولقيتُ الوزير الأعلى أحمد بن هردوس،موشّى حُللَ الموشّحات، ومُوشّع[1] حبِرَ القصائد المُستملحات ، وهو القائل فى السيّد أبي سعيد :

يا ليلةَ الوَصْل والسُّعود   بالله   عُـــودِى

[175 A] وكأبي عبد الله الرُّصافى[2] ، الصافية من الأكدار فى نَظْم/الأشعار موارده ، وكابن السّكن البديعة فى الفُنون الشّعريّة مَقاصِــدُه ، وكأبي الوليد يونس

---

(١) التوشيع : رقم الثوب بعلم .

(٢) هو محمد بن غالب الرصافى أبو عبد الله ، و يعرف بابن رومى الاندلس (النفح ٥ : ١٥٨) .

القسطلى[١] الفائقة بقلائد الولائد أراجيزُه وقصائدُه . ومن جرى مجراهم من المُجيدين فى الجد والهزل ، ورَقيق النَّظم الجَزْل ، كصاحبنا الوزير أبى القاسم بن البرّاق[٢] ، المَعدود فى الشعراء السبّاق ؛ مررتُ على بلده ومَقرّه ، فخرج إلىّ متلقيًا مع أهل مصره ؛ وقد داسته حوادثُ الأيام دَوْسا ، وغادرت صَعْدة قَوَامه قَوْسا وهو يَسْلُكُ مسالك أهل الصِّبا ، ويميــل به الأدبُ طورًا إلى الجَنُوب وآونةً مع الصَّبا ؛ فعاتبته على بَذل نفسه فى طاعة الهوى جهـدَ الاستطاعة ، مع ما أعطاه الله من المعرفة والآداب ونفائس البضاعة ؛ فقال لى : إنّه كان / وبُرْد شَبابه [175 B] قشيب ، وغُصن اعتداله رطيب ؛ بقَميص النُّسك مُتَقَمِّص ، وبعلم الحـديث متخصص ؛ واجتاز يوماً وبيده مُجلّد من «صحيح مُسلم» بقصر بعض الملوك الأكابر ، وهو من بعض مَناظره ناظر ، لـكلّ مَن هو بمَدْرجة القَصر خاطر ؛ وحُسن المَثانى والمَثالث لديه عالٍ ، ومجَاس أُنسه بخواصّ نُدمائه حال ؛ فقال : اطلعوا لنـا بهذا الفقيه فلعلنا نَضحك منه ونُمـازحه ، ونُجاريه فى مَيدان الأدب إن كان من أهله ونُطارحه ؛ فلمـا مَثُل بين يديه وحيّا ، أمر السّاقى بمُناولتـه كأس الحُميّا ؛ فتَقبّض مُتأفّفا ، وأبدى تَمعُّرًا[٣] وتقشُّفًا ؛ والسلطان يَستغرب ضحكًا من مُستغرب حَركاته لمـا هَجم الرجل عليه ، ويدُ السّاقى ممدودةٌ إليه ؛ واتفق فى / خلال ذلك أن انشقّت من ذاتهـا صُرَاحيةٌ[٤] من صافى الزجاج ، فسال منها [176 A]

---

(١) هو أبو الوليد يونس بن محمد ، من أهل الجزيرة الخضراء توفى سنة ٥٧٦ (ابن الأبار ت ٢١٠٢) .

(٢) هو أبو القاسم محمد بن على بن البراق . ذكره النفح وأورد له شعرا (٥ : ٥١) . وانظر بغية الملتمس (ت ٢٣٥) .

(٣) التمعر : تغير الوجه .

(٤) الصراحية : آنية للخمر .

كالسائل من نجيع الذّبيح من الأوداج ؛ فأظهر السلطانُ التّطيّر بذلك وجَلَا ، فَصَرف ذلك عن خاطره بإنشاده على البديهة مُرتجلا :

وَمجلس بالسّرور مُشتملٍ   لم يَخْلُ فيه الزّجَاجُ عن أَرَبِ
سَرَى بأعطافه تَرنُّحا   فشقّ أثوابهُ من الطّرب

فسُرَّ السلطان وسُرّى عنه ، واستحسن سَماحةَ خاطرِه بهذين البيتين البديعين منه ؛ وأمر له بجائزة سنيّة ، وخِلْعة رائعة بهية .

***

[176 B] وقدانتهى ما أملاتُه من كَلام / مُرْتجل ، وبَديهٍ على عَجَل ؛ ولولا الاستنامة[1] إلى الإغضاء ، وأنّ المُبادرةَ إلى امتثال أمر السّلطان أقرب إلىالإرضاء ، لما أرْعفت[2] لليراع أنْفا ، ولا حمّلت الرّوية على الكتّاب عُنْفا ؛ لبُعْد المَمْلوك عن بلاده ، وكَلَب العدوّ فى البحر على كُتبه وطارفه وتلاده .

فإن وافق اجتهادى أملَه ، ووقفتُ على الغَرض الذى سأله ، فذلك نُكْتة من فَضله عُرِضتْ عليه ، وبضاعتُه رُدّت إليه ؛ ضاعف الله له وعنده موادَّ الإسعاد ، وأخدمه النّصر فى كُل مبدأ ، وخَتم له بالظّفر فى كلّ مَعاد ، وأهلك أعاديه وأبعدهم إبعاد ثمود وعاد . وصلّى الله على سيّد ولد آدم وأَمينه على وحيه الذى بعثه فى أشرف زمان ، وجعله/من عِصْمته فى ذِمّةٍ وأمان ؛ بجِدّ فى عُلوّ كلمة الله غيرَ مقصّر ولا وان ، وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا أهل الزّيغ والعُدوان : [177 A]

فهاكَ ما شئتَ من نَظْمٍ له نَسقٌ   كالدُّر فُصّل فامتازتْ فرائدُهُ

(١) الاستنامة : الاطمئنان .   (٢) أرعف : أسال .

لا حُسْنَ إلا الذى حازت جواهرُه — من البَصِيص[1] وما ضَمّت قلائدُه

أهديتُه لك رَطْبًا لا جمُودَ به — وأينَ من رَطْبه فى الحُسن جامده

ونَفّقته العُلا فى سُوق مَجْدك إذ — رأته وهو مُضَاعُ النَّيل كاسده

وحيثُ أنت فثَمَّ الفضلُ أجمعه — عليك ميسَمُه بادٍ وشاهده

/ فيابْنَ خيرِ مُلوك الأرض دعوةُ من — صِيغتْ من الشَّرف السّامى قواعده [177 B]

فى قَبْضة العُدْم لا جِدٌّ يجدّ له — فيما يَرُوم ولا سَعْدٌ يُساعده

ولا حَمِيمٌ سِوَى شَجْوٍ يُرَدِّده — بين الجَوانح أو هَمٌّ يُكابده

لولاك يا كاملَ الأوصاف لانفصمتْ — عُرَى أمانيه وانسدّتْ مَقاصده

لمّا اشتغلتَ به فِكرًا وكنت له — سِترًا وأوسيتَه إذ قَلَّ فائده

فالله يَجْزيك والمُختارُ من مُضَرٍ — ثمّ الخليفة ذو السِّبْطين والده

---

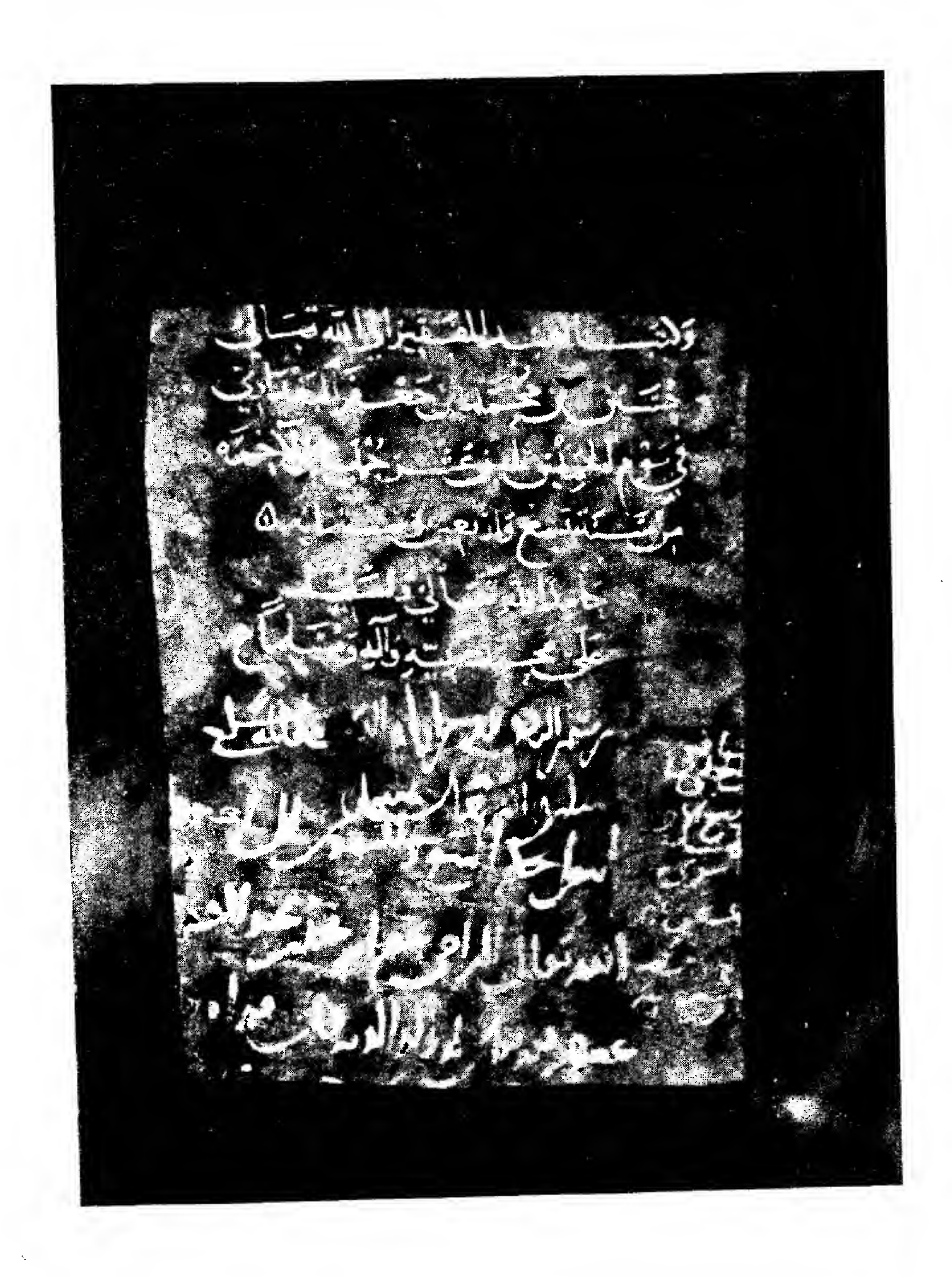
(١) البصيص : اللمان والتألق .

[178 A]

تمّ الكتاب

بحمــد الله ومنّه

وكتب العبد الفقير إلى الله تعـالى حسين بن محمد بن جعفر البغدادى فى يوم الخميس ثامن عشر جمادى الآخرة من سنة تسع وأربعين وستمائة ، حامدا لله تعالى ، ومصلّيا على محمد نبيه وآله ومسلّما .





فهرست كتاب المطرب

الاعلام والقبائل (*)

(*) قدمنا بالكنى ثم أتبعناها بالأسماء على ترتيبها .

(تابع) الأعلام والقبائل

(تابع) الأعلام والقبائل

(تابع) الأعلام والقبائل

(تابع) الأعلام والقبائل

(تابع) الأعلام والقبائل

(تابع) الأعلام والقبائل

(تابع) الأعلام والقبائل

(تابع) الأعلام والقبائل

(تابع) الأعلام والقبائل

(تابع) الأعلام والقبائل

(تابع) الأعلام والقبائل

(تابع) الأعلام والقبائل

(تابع) الأعلام والقبائل

(تابع) الأعلام والقبائل

(تابع) الأعلام والقبائل

(تابع) الأعلام والقبائل

(تابع) الأعلام والقبائل

(تابع) الأعلام والقبائل

البلدان والأماكن

الكتب

القوافى

(تابع) القوافى

الصدر	القافية	البحر	الصفحة	السطر	الشاعر
مررت	واصوبُ	طويل	١٨٠	٨	ابن عبدون
ومن	ذنباً	»	٥٩	٦	ابن رشيق
بدور	الملاعبِ	»	٥٠	٤	محمد بن حبيب
دنا	يعرب	»	١٢١	١١	ابن وهبون
إذا	بعصائب	»	١٦٢	٧	النابغة
وزهدنى	صاحب	»	١٧٣	٦	ابن صمادح
فديتك	التجارب	»	١٧٣	١٠	ابن عمار
وما	الحبَّ	»	١٨٠	٥	ابن عبدون
اججاج	قلبي	»	٢١٤	١٣	—
هجر	الأقرب	مديد	٢٢٧	٥	الشاطبي
أنظر	هربه	بسيط	٣٦	١٢	ابن صمادح
يا من	بى	»	٣٦	٤	»
مى	والكذب	»	٨٧	٨	ابن عياض
الروض	وتحتجبُ	»	٢٢٦	١٠	الشاطبي
امنبر	خطيبُ	مخلع البسيط	١١٠	١١	المتيشى
يهز	العقابُ	وافر	٥٨	١١	المتنبي
أيا	فبابا	»	٣٧	٣	النحلى
عذيرى	الشبابا	»	١٠٤	١٠	ابن الزقاق
فغض	كلابا	»	١٣١	١٣	جرير
إله	ذنوبى	»	٨٣	٤	عبد الملك مروان
إذا	الصواب	»	٨١	٧	الحصرى
غناء	الطربُ	مجزوء الوافر	٤٠	٩	ألاميي
عوجاء	تنسابُ	كامل	١١٥	٨	ابن خفاجه
لم	مقلوب	»	١٤٩	٨	الغزال
لبسوا	حبابِ	»	١٢٦	٩	الاسعد
ما بال	مريبا	»	١٠	٦	ابن زيدون

(تابع) القوافى

الصدر	القافية	البحر	الصفحة	السطر	الشاعر
قد	مصابِ	كامل	٨٠	١٠	ابن شاطر
ما للزمان	العائبِ	»	٩٤	٤	ابن خفاجه
دب	الأشنبِ	»	١٣٨	٧	ابن مرية
بكرت	لشبابى	»	١٤٦	٤	الغزال
قل	نوابى	»	١٦٨	١٠	ابن زيدون
لما	بابِه	»	١٧٢	١٥	ابن عمار
لنا	القليبُ	رجز	٨٣	٩	—
قد	يذهبِ	»	١٣٦	١٤	الغزال
يا قرا	المذهبُ	سريع	١٠	٢	ابن زيدون
اليكها	الثاقبُ	»	٢٤	٤	ابن عبدون
قد	ذوائب	»	٢٤	٨	المتوكل
كلفت	الأغلبا	»	١٤٤	٦	الغزال
أقول	الصائبِ	»	١٩	٩	الصنوبرى
بعض	للأشيب	»	١٣٣	١٣	الغزال
لا يمكن	المذنب	»	١٢٥	٤	»
نجم	منتسبْ	»	١٧٩	١١	ابن اللبانة
ورب	بالعجب	منسرح	١٩	٢	المعتمد
ومجلس	أرب	»	٢٤٢	٣	أبو القاسم بن البراق
ذكر	النجيبُ	خفيف	٢٢٠	٨	ابن زرقون
ليس	العذابِ	»	٩٦	٣	—
خلست	خلوب	مجتث	٢٠٢	٣	ابن فتدله
إن	اكسبِ	متقارب	١٣٥	١٤	الغزال

(ت)

الصدر	القافية	البحر	الصفحة	السطر	الشاعر
ولما	راياتُ	طويل	١٨	١١	المعتمد
وحبب	أحييت	»	١٠٥	٥	ابن الزقاق
تورد	لامات	بسيط	١٩٦	١١	ابن حسداى

(تابع) القوافى

الصدر	القافية	البحر	الصفحة	السطر	الشاعر
كان	جاريات	وافر	١٧٩	٢	ابن اللبانة
ومدامة	حركاته	كامل	٧٦	١١	ابن فتوح
(ث)					
نبئت	حدثا	بسيط	٥٠	١٠	يعمر بن ميمون
لك	حديث	كامل	٧٠	٩	ابن شرف
(ج)					
ا كان	تحرج	كامل	٨٨	١٤	البلغراطى
(ح)					
هلم	سوابح	طويل	٧٥	١٢	ابن العمة
ومرتجة	فرداح	»	١٠٤	٢	ابن الزقاق
يعيبون	الصرحا	»	٦٩	٢	ابن رشيق
مولاى	فريحا	مخلع بسيط	١٦	١٠	المعتمد
وبلقبسية	الشحيح	وافر	٦٨	١١	ابن شرف
وخود	يراح	»	١٠٢	٣	ابن الزقاق
نقلت	الراح	كامل	١٣٠	٩	ادريس بن اليمان
»	الراح	»	١٩٧	٤	» »
وترى	جوانح	مجزوء الكامل	١٦٣	٣	بكر بن النطاح
قم	الصباح	سريع	٥٤	١٤	ابن حمديس
طرقت	صباح	»	٥٥	٥	»
أنظر	الرياح	»	٨٧	٤	ابن عياض

(تابع) القوافى

(د)

الصدر	القافية	البحر	الصفحة	السطر	الشاعر
يرد	راقدُ	طويل	٦	٢	المتنبى
وردت	برود	»	٣٧	٨	ابن صمادح
كأن	غدا	»	٥٥	٩	ابن حمديس
لعمر	السهدا	»	١٠٠	٨	ابن الزقاق
كأن	الغمدِ	»	٣٦	٧	ابن صمادح
سلام	الرشدِ	»	٩٧	٨	على بن لبال
تنبه	الندىِ	»	١٢٧	٨	ابن برد
تعز	عباد	»	١٢٧	٧	ابن الحاج
ألم	بعدى	»	١٨٨	٢	ابن أبى الخصال
ألا	وجد	»	٢٢٩	٩	—
أرقد	صدّه	مجزوء المديد	٧٨	١٣	أبو عامر السالمى
فهاك	مراشدُه	بسيط	٢٤٢	١٧	ابن دحية
مروا	إيقادِ	»	٣٨	١٠	الرازى
يامن	أحد	»	١٥٢	١٢	ابن عبد ربه
الجسم	الجسد	»	١٥٣	١٠	»
يارافيا	اعتقادى	مخلع البسيط	٨٨	١٠	ابن هارون
ياليلة	عودى	»	٢٤٠	١٤	ابن هردوس
واغيد	فريدُ	وافر	١٧٢	٦	ابن عمار
بأيهما	الرقادِ	»	٥	٧	ابن فرج الجيانى
أباح	بوادى	»	١١	٤	حمدة بنت زياد
ببلنسية	البلاد	»	١٠٨	٢	ابن الزقاق
أين	الفاسدُ	كامل	١٢٨	١٤	ابن الرومى
خضبت	زادا	»	٧٩	٩	الحصرى
أنظر	مجدِ	»	٧٩	٢	أبو عامر السالمى

(تابع) القوافى

(ر)

(تابع) القوافى

الصدر	القافية	البحر	الصفحة	السطر	الشاعر
ثنائى	خبرِ	طويل	١٠	١٥	حفصه
متى	الخمرِ	»	٤٥	٧	أبو الطيب المهدوى
عيون	أدرى	»	٤٥	١٧	ابن الجهم
وآنسة	السحر	»	١٠٣	٧	ابن الزقاق
ولائه	العذر	»	١٢٩	١١	ابن شاطر
متسليك	وأوانُوهُ	»	٦٣	٢	—
قلت	جرى	مديد	٤٨	١٠	ابن قاضى ميلته
خلى	ناظرُهُ	بسيط	١٣	٤	المعتضد
سميدع	و يعتذر	»	١٥	١٤	المعتمد
قل	خطرُ	»	٨٤	١٣	ابو الحسن الحصرى
أحاط	يعتبر	»	١١٩	٥	ابن وهبون
كأنما	شفرُ	»	١٢٦	١٢	»
الى	ينفطر	»	١٣٠	١٢	ابن اليمان
هلا	والقدر	»	١٥٣	١٥	ابن عبد ربه
يا عاجزا	وطرُ	»	١٥٤	٨	»
ياصاحبي	ذنبوا	»	١٨٧	٢	ابن القبطرنه
بث	كفرا	»	١٣١	٩	ابن سراج
لا تشبع	زمرا	»	١٦١	١١	ابن أبى الجنوب
الدهر	والصور	»	٢٧	٥	ابن عبدون
متى	البكرِ	بسيط	٩٦	٩	—
رق	بالوتر	»	١٠٦	٢	ابن الزقاق
لم	بصرى	»	١٧٤	١٢	ابن عمار
ها أنذا	نصيرُ	مخلع البسيط	٢٢٣	٨	أبو الطاهر التميمى
غزالى	درّ	وافر	٩٦	١٠	ابن رشيد
أكثرت	امورُ	كامل	١٨	٢	المعتمد
ومرنة	شرارُهُ	»	٤٩	٧	ابن قاضى ميلته
ومن	ذكور	»	٥٦	٧	ابن نباته

(تابع) القوافي

(ز)

(تابع) القوافى

الصدر	القافية	البحر	الصفحة	السطر	الشاعر
		(س)			
سق	مفارسُ	طويل	٧٠	٢	ابن شرف
ولا	أمس	»	٨٣	١٣	عبد الملك مروان
وبيضاء	الشمسِ	»	١٧٦	٤	ابن الحاج
جفوت	باس	»	٢١٣	١٣	غالب بن عطيه
أيها	مجلس	مديد	١٦٦	١٤	المعتمد
أصاخت	عطا	بسيط	٧٦	٧	أبو بكر الأبيض
أخت	والتمسِ	»	٥٣	٨	ابن شيق
سلوا	نفسى	»	٩٠	١٥	ابن العريف
ومقلتى	لباسُ	وافر	١٠٥	٨	ابن الزقاق
تقوس	دوسِ	»	٧٣	١١	أبو على كاتب مؤنس
لقد	وقابوسه	متقارب	٨٤	٧	ابن وليد
اسقيط	الحندسِ	مديد	١٦٧	٢	ابن زيدون
ولما	العسسْ	متقارب	١٦٣	٨	ابن شهيد
		(ش)			
يا ضياء	وشيِ	مديد	١٠٧	٢	ابن الزقاق
قد زارنا	العشىّ	سريع	١٦	١٥	المعتمد
		(ص)			
بأبى	خميصهُ	كامل	١٠٣	٤	ابن الزقاق
		(ض)			
تخط	بيضا	وافر	٨٢	١١	ابن فتحون
ضاقت	غموضى	مجتث	٩٤	٩	الحصرى

(تابع) القوافى

الصدر	القافية	البحر	الصفحة	السطر	الشاعر
		(ط)			
رمت	يخطى	طويل	٢٠٧	٨	أبو بكر بن زهر
عش	المحط	مجتث	١١٦	١١	ابن خفاجة
		(ع)			
وقد	نجيعُ	طويل	٩٥	١٣	ذو الرمة
وتدرى	سباعُ	»	١٦١	٧	ابن شهيد
وما	طالع	»	١٨٤	٣	—
لئن	وأمتع	»	١٩١	٢	أبو القاسم بن الجد
أعندك	شفيعى	»	٧٨	٣	ابن سارة
تظن	توافقُه	»	١٧	١٤	المعتمد
ربعت	لماعُ	مديد	١٥	٥	»
ولن	يرتاع	»	١٥	٩	ابن وهبون
فى ذمة	موضعُه	بسيط	٢٠٨	١١	ابن كميل
استودع	مطلعه	»	٦٣	٥	—
ياثاويا	أربعه	»	١٠٥	١٤	ابن الزقاق
بينى	لم يذعِ	»	١٦٥	٧	ابن زيدون
يا من	واسمعى	»	١٦٦	٨	أبو العميثل
وقفت	الربوعِ	وافر	١٠٥	١١	ابن الزقاق
يا من	يتوقعُ	كامل	٢٣٤	٣	السهيلى
لا تكن	نجيعا	خفيف	٩٥	٧	—
عسى	مستجمعِ	متقارب	١١٦	٢	مهيار
		(غ)			
موز	الماضغِ	مجزوء الرجز	٦٨	٢	ابن رشيق
ياحبذا	الماضغُ	سريع	٦٧	١٥	ابن شرف

(تابع) القوافى

(تابع) القوافى

الصدر	القافية	البحر	الصفحة	السطر	الشاعر
		(ك)			
ودع	استودعَك	مديد	٩	٧	ابن زيدون
يوسف	هوا كا	مخلع البسيط	١٣٣	٥	اليكى
أحامة	ما أبكاك	كامل	٦	٤	الرمادى
ورقاء	وأراك	»	٤٩	١٢	ابن قاضى ميلته
ومرثة	باك	»	٤٩	١٦	»
أنظر	الحلكْ	رجز	٢٢٧	٢	الشاطبي
حالى	شركُ	منسرح	٢٢٢	١١	ابن أبي تليد
إشرب	انفرادكْ	خفيف	١٨	٨	المعتمد
		(ل)			
سألت	وتسهيلُ	طويل	١٨٠	١٢	—
إلا	سلا	»	٢٣٥	٧	ابراهيم بن يوسف
فقد	مرسلا	»	٢٣٥	١٦	»
أيا	حالِ	»	١٨	١٠	—
وقد	هيكلِ	»	٥٥	١٣	امرؤ القيس
وقد	نواهل	»	١٦٢	٤	أبو تمام
أقول	الخال	»	١٨٣	٣	أبو عبد الله السبتى
خل	وارتحلوا	مديد	٢١٥	٤	—
قال	كالجبال	مجزوء المديد	١٣٩	٩	الغزال
لقد	يكلهُ	بسيط	٧٧	٧	أبو عامر السالمى
ومنجنون	ينهمل	»	٩٦	٦	ابن رشيد
كأن	عجل	»	١١٢	٢	الأعشى
قالوا	نزلا	»	١٣٢	٢	ابن سراج

(تابع) القوافى

الصدر	القافية	البحر	الصفحة	السطر	الشاعر
لو	الذبلِ	بسيط	٥٨	٧	ابن رشيق
قد	مرتحل	»	١٦٢	٢	مسلم
أقل	صل	»	١٦٥	١٣	المتنبي
يا فرحة	والوهل	»	١٦٦	٥	أبو الفرج الاصبهانى
غمض	جبل	»	٢٠٢	٧	أبو العباس اللص
وأشهب	الجلال	مخلع البسيط	١١٥	٤	أبو الصلت
أأندب	البليلا	وافر	١٠٢	١٣	ابن الزقاق
وكنت	يزولُ	»	٢١٣	٧	أبو بكر بن عطيه
محيك	كيلا	مجزوء الوافر	٥/	٧	ابن الزقاق
تا الله	لبخيلُ	كامل	٤٣	١٢	—
ملك	يحيلُ	»	٥٢	١٠	ابن زكريا القلعى
يا راجيا	موكل	»	١٤٦	١٤	الغزال
الناس	الأعمال	»	١٠١	٢	»
بعثت	سلسلا	»	١١٠	٢	ابن الحارد
وعسى	وافضلا	»	١١٥	١١	ابن خفاجه
وخديه	وحلاله	»	٩٨	٩	ابن لبال
سكران	الجريال	»	١٢٦	٥	الأسعد بن بليطه
حملت	تذبل	»	١٩٣	٢	البحترى
نفسى	الرسول	مجزوء الكامل	١٧	١١	أبو فراس
سقيا	المصلى	» »	٧٤	٤	على بن حبيب
لما	رسولها	» »	٣٨	٢	أبو سحاق الصابى
رب	الخيالِ	خفيف	١١٤	٩	ابن خفاجه
يا أخى	شمولا	»	١٨٦	١٢	أبو بكر بن القبطرنه
نجدك	ذابلةُ	متقارب	١٢٧	١٣	محمد بن الحسن الكاتب
ونماره	شائلا	»	٢٠	٢	ابن المعتز
وعصرك	الحلى	»	٧١	٧	أبو الفضل بن شرف

(تابع) القوافى

(م)

(تابع) القوافى

(ن)

(تابع) القوافى

الصدر	القافية	البحر	الصفحة	السطر	الشاعر
أراك	الخفقان	طويل	١٣٥	١٠	—
ألست	و برانى	»	١٥٠	١٣	الغزال
كلانى	وطوانى	»	١٥٥	١٢	ابن عبد ربه
أمستنكر	غصنِ	»	١٩٧	١٢	ابن الفخار
زعم	الثانى	مديد	٢٢	٩	ابن حنظلة البطليوسى
يا غزالا	فتونا	مجزوء المديد	٧٥	٢	الحصرى
نفلسر	وحزنى	» »	٧٥	٥	عبد العزيز بن جعفر العذرى
كتابنا	شيبانُ	بسيط	١١٤	٦	ابن خفاجه
أضحى	تجافينا	»	١٦٤	٦	ابن زيدون
فارقتنى	الفانى	»	٨٤	٤	الحصرى
الله	الجناجين	»	٨٨	٦	عياض بن موسى
وقائل	الوسنِ	بسيط	١٣٣	٢	اليكى
عاذلتى	هجينِ	مخلع البسيط	٢٠١	١٢	ابن أبى البسام
صبر	لحبيبين	بسيط	٢١٨	٩	أبو غانم بن وليد
أقبل	علينا	مخلع البسيط	٢٢	١٣	—
جراح	اللسانُ	وافر	٦٠	٥	—
و بدا	لمعانُهُ	كامل	٦٢	١١	محمد بن صالح الحسنى
طرب	اشجانُهُ	»	٦٥	٨	»
أما	الحرمانُ	»	٧٨	٩	ابن ساره
وأعز	رهان	»	١٠٦	١٠	ابن الزقاق
لى	وسكونُهُ	»	١٧٧	١٣	ابن الحاج
لله	البستانِ	»	١٠٩	٤	ابن الحماره
إن	يدونه	»	١٣٢	٧	ابن الفرضى
ملك	التيجان	»	١٧٨	٥	ابن اللبانة
وموسدين	وثالنى	»	٢٠٧	٤	أبو بكر بن زهر
حرف	النون	رجز	٩٠	٥	ابن عازى
وليلة	وسنان	سريع	٣	٨	الرمادى

(تابع) القوافى

الصدر	القافية	البحر	الصفحة	السطر	الشاعر
يامن	يبريني	منسرح	٣٥	١٢	المعتصم بن صمادح
قد	ركا	خفيف	٢٠٨	٤	أبو بكر بن كيل
هويت	السهانا	متقارب	١٨١	٦	المازنى
بعوض	الأغانْ	»	٩٣	٥	السميسر

(ه)

الصدر	القافية	البحر	الصفحة	السطر	الشاعر
ياناز حا	مولاهُ	بسيط	٩	١٢	ابن زيدون
أنا	تيها	وافر	٨	١٥	ولادة
لما	عليه	كامل	١٧	٨	المعتمد
ياليتها	اسطمه	رجز	٧٣	٦	محمد بن ذؤيب
شتان	اشتباه	سريع	٦٩	١٣	ابن شرف
لابن	المها	مجزوء الخفيف	١١٨	١١	أبو سعيد القصار

(و)

الصدر	القافية	البحر	الصفحة	السطر	الشاعر
سامنع	اللهوا	طويل	٨٩	١٢	أبو بكر بن عطاء

(ى)

الصدر	القافية	البحر	الصفحة	السطر	الشاعر
وتحتقر	فانيا	طويل	١٧٨	١١	المتنبى
يا ظبية البان ترعى فى خمائلها		بسيط	٥٨	٧	الشريف المرتضى

الموشحات

الصدر	القافية	البحر	الصفحة	السطر	الشاعر
سدلن ظلام الشعور		—	٢٠٤	٥	أبو بكر بن زهر
أيها الساقى إليك المشتكى		—	٢٠٥	٩	» »



الشعراء وشعرهم

(تابع) الشعراء وشعرهم

ابن حزم

القافية	البحر	صفحة	سطر
مقيم	وافر	٩٢	٥

ابن حسداى

القافية	البحر	صفحة	سطر
مقيم	وافر	١٩٦	١١

ابن حمديس

القافية	البحر	صفحة	سطر
الصباح	سريع	٥٤	١٤
صباح	»	٥٥	٥
غدا	طويل	٥٥	٩
اقتحموا	بسيط	٥٦	١٦،٤

ابن حنظلة البطليوسى

القافية	البحر	صفحة	سطر
الثانى	مديد	٢٢	٩

ابن حبوس

القافية	البحر	صفحة	سطر
الأقدار	كامل	٢٠١	٢

ابن خفاجه

القافية	البحر	صفحة	سطر
زرقاء	كامل	١٢٦	١٤
قريب	طويل	١٢٢	١٣
تنساب	كامل	١١٥	٨
العائب	»	٩٤	٤
وده	كامل	١١٦	٤
وأسير	طويل	١١٤	٣
النظر	مجزوء الكامل	١١١	٨
المحطة	مجتث	١١٦	١١
ورق	منسرح	١١٣	١٠
وأفضلا	كامل	١١٥	١١
الخيال	خفيف	١١٤	٩
وغرام	طويل	١١٦	٨
حمام	وافر	١١٧	٦
شهبان	بسيط	١١٤	٦

ابن دحيه

القافية	البحر	صفحة	سطر
فرائده	بسيط	٢٤٢	١٧

ابن دراج

القافية	البحر	صفحة	سطر
منذر	كامل	١٥٦	١٠

ابن رزين

القافية	البحر	صفحة	سطر
ومعلنا	طويل	٣٩	٦

ابن رشيد

القافية	البحر	صفحة	سطر
در	وافر	٩٦	١٠
ينهمل	بسيط	٩٦	٦
الأقوم	متقارب	٩٥	٣

(تابع) الشعراء وشعرهم

(تابع) الشعراء وشعرهم

(تابع) الشعراء وشعرهم

(تابع) الشعراء وشعرهم

القافية	البحر	صفحة	سطر
ابن فضال			
يسير	طويل	٥٧	٨
تميم	خفيف	٥٩	١٠
ابن فندله			
خاوب	مجتث	٢٠٢	٣
ابن قاضى ميله			
جرى	مديد	٤٨	١٠
شراره	كامل	٤٩	٧
وأراك	«	٤٩	١٢
باك	«	٤٩	١٦
السقيم	«	٤٩	٢
ابن القبطرنه			
وبهاوه	خفيف	١٨٦	٩
ذخروا	بسيط	١٨٧	٢
شمولا	خفيف	١٨٦	١٢
ابن القصيره			
لفائفا	كامل	٧٦	٣
ابن لبال			
وحلاله	كامل	٩٨	٩
حرام	مخلع البسيط	٩٨	١٢

القافية	البحر	صفحة	سطر
ابن اللبانه			
منتسب	سريع	١٧٩	١١
جاريات	وافر	١٧٩	٢
الاسكندر	كامل	١٧٨	٨
وأحامى	خفيف	١٧٩	٨
التيجان	كامل	١٧٨	٥
ابن المعتز			
شائلا	متقارب	٢٠	٢
ابن ميمون			
لم أفق	متقارب	١٩٩	٤
ابن نباته			
ذكور	كامل	٥٦	٧
ابن هارون			
اعتقادى	مخلع البسيط	٨٨	١٠
ابن هانىء			
شنفا	طويل	١٩٣	١٥
المسفر	كامل	١٩٢	١١
الاسكندر	«	١٩٣	٨
ابن هردوس			
عودى	مخلع البسيط	٢٤٠	١٤

(تابع) الشعراء وشعرهم

(تابع) الشعراء وشعرهم

(تابع) الشعراء وشعرهم

القافية	البحر	صفحة	سطر
	بكر بن البطاح		
حوائح	مجزور الكامل	١٦٣	٣
	جرير		
كلابا	وافر	١٣١	١٣
	الحويرى		
سمسمه	سريع	٢٣٨	٤
	الحصرى		
الصواب	وافر	٨١	٧
زادا	كامل	٧٩	٩
خطر	بسيط	٨٤	١٣
غموضى	مجتث	٩٤	٩
الكريم	مجزوء المديد	١٤	٣
بالسقم	بسيط	٧٤	١٢
ختام	وافر	٢٠	٥
فتونا	مجزوء المديد	٧٥	٢
الفانى	بسيط	٨٤	٤
	حفصه		
خبر	طويل	١٠	١٥
	الحكم المستنصر		
الدوائر	طويل	١٢	٤

القافية	البحر	صفحة	سطر
	حمده		
بوادى	وافر	١١	٤
	الخليع		
جمد	سريع	١٩	١٤
	الراضى		
ايقاد	بسيط	٣٨	١٠
	الرمادى		
ما أبكاك	كامل	٦	٤
وسنان	سريع	٣	٨
	رؤبة		
فه	رجز	٧٣	٧
	ذو الرمة		
نجيع	طويل	٩٥	١٣
	السبتى		
وولى	وافر	١٢٥	٨
نوئها	طويل	١٩٥	١٤
	السميسر		
ماء	مجتث	٩٣	٩
الأغان	متقارب	٩٣	٥

(تابع) الشعراء وشعرهم

(تابع) الشعراء وشعرهم

(تابع) الشعراء وشعرهم

اللغـــة

(تابع) اللغـــة

تم طبع هذا الكتاب فى يوم ٥ جمادى الثانية سنة ١٣٧٤

(الموافق ٢٩ يناير سنة ١٩٥٥) م

مدير المطبعة الأميرية

حسن على كليوه

المطبعة الأميرية ١٤١٦٧-١٩٥٤-١٠٠٠

Es éste un libro que habla de dos pueblos, el español y el àrabe; y ofrece un largo periodo de historia que les es comùn. Cuànto deseariamos haberlo trasladado al castellano, pero las circunstancias no eran favorables.

Queremos presentarlo como una ofrenda del pueblo àrabe a la noble nación española, para reanudar viejos lazos y afirmar una cultura en la que ellos y nosotros tenemos parte.

Al Abiary

MINISTERIO DE EDUCACIÒN

DIRECCIÒN GENERAL DE CULTURA

SECCIÒN DE MANUSCRITOS

Al-Muṭrib min Aš'ār Ahl Al-Magrib

POR

IBN DIḤYA UMAR IBN ḤASAN

633 H

EDITADA POR

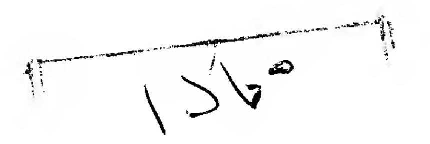
El Prof. IBRAHIM AL ABIARY El Dr. ḤAMID ABD AL MAGUID

Y

El Dr. AḤMAD AHMAD BADAWI

REVISADA POR

El Dr. TAHA ḤUSSEIN



Al-Muṭrib min Aš'ār Ahl Al-Magrib

POR

IBN DIḤYA 'UMAR IBN ḤASAN

633 H

EDITADA POR

El Prof. IBRAHIM AL ABIARY El Dr. ḤAMID ABD AL MAGUID

Y

El Dr. AḤMAD AḤMAD BADAWI

REVISADA POR

El Dr. TAHA ḤUSSEIN

DAR EL ILM LILJAMI'I
Publicada Por